



الجامعة الإسلامية
بمكة المكرمة

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ

وظائف علماء الحجاز و مهندم وحرفهم وأثرها على

الحياة العامة خلال العصر المملوكي

٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م

دراسة تاريخية حضارية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة

نادية عابد محمد العدواني

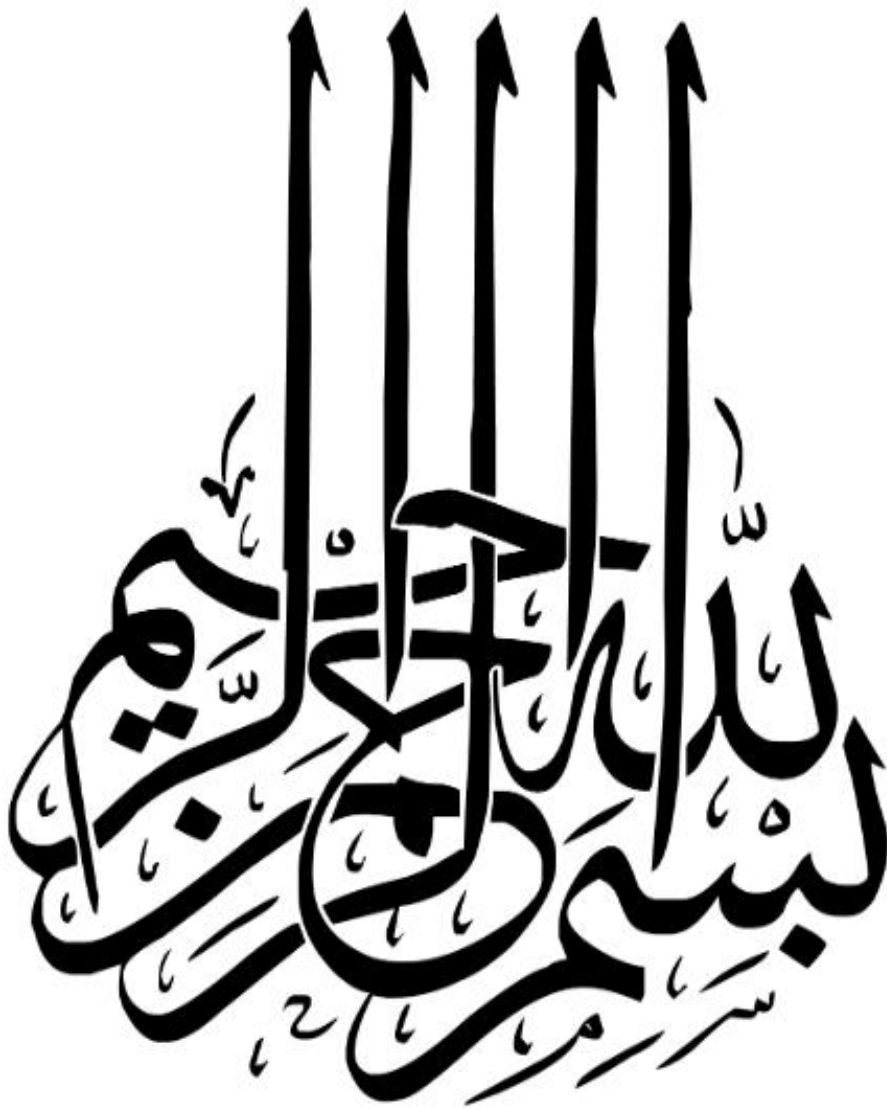
الرقم الجامعي

٤٣٥٨٠١٠١

إشراف

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م



ملخص البحث

انتظم هذا البحث الذي عنوانه "وظائف علماء الحجاز ومهنتهم وحرفهم وأثرها على الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م" على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة؛ فأما المقدمة فتناولت بيان لأهمية الموضوع والأسباب التي دعت إلى اختياره ثم حصر لأهم الصعاب التي واجهت الباحثة أثناء البحث، إلى جانب حصر لأهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ثم تحليل لأهم مصادر ومراجع الدراسة. وأما التمهيد فتناول بالبيان تعريفًا للوظيفة والمهنة والحرفة، وتوضيحًا لفتات علماء الحجاز خلال العصر المملوكي، في الفصل الأول؛ تناولت الباحثة في مبحثين طبيعة الوظائف والمهن والحرف في الحجاز خلال العصر المملوكي، سواء تلك الوظائف والمهن والحرف الأصلية والوافدة والمختلطة. وفي الفصل الثاني؛ تطرقت الباحثة في ثلاثة مباحث إلى بيان وظائف العلماء الدينية والعلمية والإدارية. وأما الفصل الثالث؛ فتطرقت الباحثة في خمسة مباحث إلى ذكر مهن وحرف العلماء الصناعية والتجارية والاجتماعية والعلمية إلى جانب تفصيل الحديث حول حرفة الطب المعيزة. وأما الفصل الرابع فتناول بالبيان في أربعة مباحث أثر وظائف العلماء ومهنتهم وحرفهم على الحياة العامة من الناحية الدينية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية. ليختتم البحث بخاتمة حُصرت فيها أهم النتائج التي أمكن الوصول إليها.

Abstract

This study, entitled "The functions, professions and trades of Hijaz scholars and their impact on public life during the Mamluk period ٦٤٨-٩٢٣ AH/١٢٥٠-١٥١٧"; was organized on an introduction, preamble, four chapters and a conclusion. The researcher during the research, along with a statement of the most important previous studies on the subject, and then an analysis of the most important sources and references of the study. The introduction addressed the statement of the definition of the job and profession and their concept, and an explanation of the categories of scholars Hijaz during the Mamluk era.

In the first chapter, the researcher deals with the nature of jobs, professions and trades in the Hijaz during the Mamluk era, both those jobs and professions and trades, original and mixed. In the second chapter, the research dealt in three topics to explain the functions of religious scientists, scientific and administrative. As for the third chapter, the researcher touched on five trades to mention the trades and professions of industrial, commercial, social and scientific scientists, in addition to detailing the talk about the distinctive craft of medicine. The fourth chapter deals with the impact of the functions, trades and professions of scientists on religious, economic, scientific and social life. To conclude the research with a conclusion that confines the most important results that have been reached.

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى والدي رحمه الله تعالى الذي كان له كل الفضل - بعد الله تعالى - في ما وصلت إليه، غفر الله له وحزاه عني خير الجزاء . وكذلك الشكر موصولاً لوالدتي حفظها الله وأطال في عمرها . كما أشكر المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/عبد الله بن سعيد الغامدي على ما قدم من عون طيلة فترة الرسالة، وما تفضل به من علمه وقته، فله جزيل الشكر والتقدير .

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان لأخواتي العزيزات أسماء وسمية وتهاني على كل ما قدّموا لي من عون ودعم خلال فترة الرسالة، وهو ما كان له أكبر الأثر في إتمام هذا البحث، فيحزاهن الله خير الجزاء، وكذلك الشكر موصولاً لأخواني عبد الله ومحمد ووليد حفظهم الله .

والشكر كذلك لجامعة أم القرى ممثلة في مديرها ولكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ممثلة في عميدها ولقسم التاريخ ممثلاً في رئيسه على ما أتاحوه لي من فرصة إكمال دراستي العليا، والشكر كذلك لمكتبة الملك عبد الله الجامعة التي سهّل لي العاملين به سبل الوصول إلى المصادر والمراجع المطلوبة، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعد على إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز السنيدي الذي تفضل عليّ بمشورته العلمية، وكذا الأستاذ الدكتور متعب القنامي على ما قدم من عون خلال فترة البحث .

فيحزى الله الجميع كل خير

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي يسر لي بعونه وتوفيقه إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلماء وأعلى قدرهم حيث قال سبحانه في محكم التنزيل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿هَلْ يُسْأَلُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ وَالَّذِينَ لَا يُعَلِّمُونَ﴾^(٢)، كما تبه رسول الله ﷺ إلى أهمية العلماء وأعلى شأنهم عندما عدهم ورثة الأنبياء، فالأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم. والعلماء هم أعلم الناس بالله تعالى وأكثرهم خشية له، وفي ذلك يقول جلالا في علاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣). ونظرا للمكانة الدينية والاجتماعية لعلماء الإسلام عموما فقد حظي علماء الحجاز بالتقدير والاحترام من فئات المجتمع كافة وعلى مر العصور، ومن ذلك العصر المملوكي (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م - ١٥١٧م) الذي امتد من منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقامت خلاله دولة كبيرة استمرت على ما يزيد عن قرنين ونصف قرن من الزمان حصنا متينعا للإسلام والمسلمين، واستطاعت بفضل من الله ثم بجهود رجالها المخلصين من القضاء على أكبر خطرين هذا البلاد الإسلامية وهما الخطر المغولي والخطر الصليبي، لاسيما بعد سقوط مدينة بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وما ترتب على ذلك من شعور منصب الخلافة الذي كان ينظر إليه المسلمون في مشرق العالم الإسلامي ومغربه نظرة إجلال واحترام، وقد دفع هذا الوضع المناوئ بالمسلمين إلى تقدير المماليك والنظر إليهم بأنهم حملة لواء الجهاد في العالم الإسلامي ضد جميع المخاطر المحدقة بدولة الإسلام، لاسيما بعد أن تمكنوا من تحقيق التقدير عندما تمكنوا من الانتصار على المغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ووقف المذموم المغولي والقضاء على الأسطورة التي كانت تقول بأن جيش المغول لا يقهر، ولو لم يُقدّر للمماليك الانتصار في هذه المعركة لفضى المغول على أهم معقل للحضارة في بلاد الإسلام وهي مصر^(٤)، ولتعرضت إلى ما تعرضت

(١) سورة المجادلة: الآية ١١

(٢) سورة الزمر: الآية ٩

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٨

(٤) عبد الله الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام، ص ٦٣، ١٠٦.

له بغداد عندما هاجمها هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فاحتفظت مصر بما لها من المدنية والحضارة وظلت القاهرة منارة للعلم ومركزاً علمياً يقصده طلبة العلم من أنحاء العالم كافة^(١).

وبعد هذا الانتصار الكبير حرص سلاطين المماليك على بسط نفوذهم السياسي على الحجاز ليظهروا في صورة الخادم والمدافع عن بلاد الحرمين، ثم تمكنوا من التصدي للخطر البرتغالي الذي هدّد الأماكن المقدسة على الرغم مما كانت تعانيه تلك الدولة من الضعف الاقتصادي بسبب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح^(٢)، إلا أنها ظلت تؤدي هذا الدور في الدفاع عن الأراضي المقدسة حتى سلمت هذه المهمة إلى الدولة العثمانية^(٣). وقد شهدت بلاد الحجاز خلال العصر المملوكي تقدماً علمياً وحضارياً فكثر توافد العلماء من مختلف الفئات من مجاورين ووافدين ورحالة، وكان تزايدهم نتيجة لكثرة الأُرطعة^(٤) والمدارس في تلك الفترة، وكان الدافع والحفز لهذه النهضة العلمية هو حب السلاطين والحكام للعلم وتقريبهم العلماء، ناهيك عن اهتمامهم بإنشاء المؤسسات التعليمية من كتّيب ومدارس وغيرها^(٥). وقد بلغ العلماء منزلة كبيرة في بلاد الحجاز في هذا العصر وأسهموا بشكل كبير وفعال في مجالات الحياة كافة: الدينية، والعلمية،

(١) السيد العربي: المغول، ص ٢٦٣.

(٢) رأس الرجاء الصالح: هو شبه جزيرة في جنوب إفريقيا تقع جنوبي كيب تاون وشمال غربي كيب أجولاس، وهو آخر نقطة في طرف جنوب إفريقيا، وقد اشتهر هذا الرأس البحري بطرقه الجديدة وشواطئه الجميلة. اكتشفه القبطان الإيطالي "بارتلديو دياز" سنة ١٤٩٧/١٤٩٣م وسماه "رأس العواصف"، ولكن الملك البرتغالي "نخوان الثاني" أطلق على الرأس الاسم الحالي على أمل أن يؤدي هذا الاكتشاف إلى وجود طريق بحري إلى الهند. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، (١٥٩/١١).

(٣) أحمد عودات: تاريخ المغول والمماليك، ص ١٢٧.

(٤) الأُرطعة واحدها رباط وتعني في اللغة: ملازمة ثغر العدو، وكان الرباط أول الأمر يقوم بمهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية، فكان يقام في المدن الحدودية المناخمة للعدو، وهو عبارة عن بناء حصين يسكن فيه المتطوعون من المجاهدين في سبيل الله، ولما اتسعت الدولة وزادت هيبتها وسيطرت على مناطق متعددة من الأقطار وما رافق ذلك من تطور في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تغيرت وظيفة الرباط خاصة في المشرق الإسلامي حيث تحول إلى مسكن للفقراء والمساكين وغيرهم، وبعد أن كان في المناطق الحدودية لحماية الثغور صار يبنى في داخل المدن لغرض اجتماعي وهو الإيواء والسكن. ابن منظور: لسان العرب، (٢٠٣/٧)؛ حسين شافعي: الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٥.

(٥) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٣٦؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ١٤٢.

والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحصلوا على مكانة عالية في العالم الإسلامي، وهي مكانة استمدوها من مكانة الحجاز في نفوس المسلمين لضمه الحرمين الشريفين، فكانت تصل إليهم الهبات والصدقات من الحكام والسلاطين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إلا أن ذلك لم يشغل العلماء عن العمل فكانوا يسعون إلى كسب قوتهم وأرزاقهم ولم يقتصر دخلهم على هذه الهبات وتلك الصدقات^(١)، بل تعددت مصادر دخلهم في تلك الفترة وذلك من خلال توليهم العمل بالوظائف، إلى جانب ممارسة بعض الحرف والمهن، مع اهتمامهم بتلقي العلم وما كانوا عليه من تقوى وزهد.

ولأجل أهمية هذا الموضوع فقد توافرت عدة أسباب دعت لاختياره منها:

- جودة الموضوع؛ حيث أنه لم يُدرس في رسالة علمية (ماجستير أو دكتوراة) مفصلة حسب علم الباحثة.
- أهمية فئة العلماء الذين هم أساس المجتمع في كل زمان ومكان.
- شغل الوظائف والمهن والحرف التي عمل بها العلماء في بلاد الحجاز والتي كانت مصدر دخلهم.
- التأكيد على أن دور العلماء لم يقتصر على الجانب الديني والعلمي، بل أسهموا في النواحي الاقتصادية والاجتماعية من خلال توليهم الوظائف واشتغالهم ببعض الحرف والمهن.
- الخروج بصورة واضحة عن الوظائف والمهن والحرف التي عمل بها العلماء وأثرها على نتائجهم العلمي.
- إثبات أن العمل في المهن والحرف مهما كان نوعها وحجمها لا يعيق العالم عن تحصيله العلمي وأداء دوره في مجتمعه.

وقد واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات أثناء إعدادها، ولعل من أهمها كثرة التراجم وتشابه الأسماء مما يتطلب الرجوع إلى كثير من كتب التراجم، هذا زيادة على أن الموضوع يتناول معظم مدن الحجاز ولم يقتصر على مدن معينة، وهو ما استدعى البحث في كثير من المصادر والمعاجم للوقوف على أسماء العلماء في هذه المدن وما قاموا به من وظائف ومهن وحرف، وكان مما زاد من صعوبة الأمر هو قلة المعلومات وتفرقها في تلك المصادر التاريخية، وهو ما استدعى جهداً ومشقة ووقتاً لجمع المادة العلمية وتنظيمها وترتيبها والتأليف بينها.

(١) العز بن فهد: بلوغ القري، (١/٥٣٢)، (٢/٤٥٧).

وأما من حيث الدراسات السابقة؛ فبالرغم من أن عددًا من الدراسات تناولت دور العلماء وإسهاماتهم في المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مناشط الحياة في مجتمعاتهم، إلا أنني - وبعد الاطلاع الواسع حول الموضوع - لم أقف على دراسة أفردت الحديث عن الجانب المتعلق بعمل العلماء وكسبهم، بطريقة شاملة تغطي جميع جوانب الموضوع وتغطي كامل تفاصيله، إلا بحثين اثنين تطرقا إلى الجانب الوظيفي والمهني والحرفي، وكنا بشكل مختصر محدود اقتصر الأول على مكة المكرمة لشروفة المنديل: وهو بعنوان حرف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة في العصر المملوكي، وهو بحث جاء في ثلاثين صفحة، نشر في مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، في العدد ١٤٣٧، ٢٠١٥م، والآخر اقتصر على مدينة دمشق لفريج السبيعي: وهو بعنوان مهنة العلماء وحرفهم في دمشق خلال العصر المملوكي، وهو بحث جاء في عشرين صفحة، نشر في مجلة جامعة أم القرى، في العدد ٦٤، محرم، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.

ولعل من أهم تلك الدراسات التي يمكن الإشارة إليها في هذا المقام:

- حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- خلود البدة: الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- فوزي ساعاتي: أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- متعب بن حسين القمامي: بحث (أضواء على الحرف والصناعات في مكة المكرمة من خلال كتاب العقد الثمين للقياسي). بحث منشور في كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
- محمد بهجت مختار: الصلات السياسية والحضارية بين مصر والحجاز منذ بداية العصر الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس.
- محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، مجلة العصور، المجلد الخامس، الجزء الثاني، ذو الحجة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- نوال طلال الشريف: الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس.
- نوال الفانز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

هذا؛ وقد انتظمت هذه الدراسة وفق الهيكل التنظيمي التالي:

التمهيد:

أولاً: تعريف الوظيفة والمهنة والحرفة.

ثانياً: فئات العلماء في الحجاز خلال العصر المملوكي.

الفصل الأول: طبيعة الوظائف والمهن والحرف في الحجاز خلال العصر المملوكي.

المبحث الأول: وظائف أصليّة ووافدة ومختلطة.

المبحث الثاني: المهن والحرف الأصلية والمختلطة.

الفصل الثاني: وظائف العلماء الدينية والعلمية والإدارية.

المبحث الأول: الوظائف الدينية.

المبحث الثاني: الوظائف العلمية.

المبحث الثالث: الوظائف الإدارية.

الفصل الثالث: مهن وحرف العلماء الصناعية والتجارية والاجتماعية والعلمية والطبية.

المبحث الأول: المهن والحرف الصناعية.

المبحث الثاني: حرفة التجارة.

المبحث الثالث: المهن والحرف الاجتماعية.

المبحث الرابع: المهن والحرف العلمية.

المبحث الخامس: حرفة الطب.

الفصل الرابع: أثر وظائف العلماء ومهنتهم وحرفهم على الحياة العامة.

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية.

المبحث الثالث: الآثار العلمية.

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها لجمع المادة العلمية لهذه الدراسة.

الملاحق وتضمنت مراسيم التعيين لبعض الوظائف، وقوائم بأسماء سلاطين المماليك، وأمراء مكة والمدينة الذين

تولوا خلال العصر المملوكي وغيرها من الملاحق.

دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث :

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر الأصلية والمراجع المتخصصة وبعض الرسائل العلمية والأبحاث العلمية. وكانت المصادر في معظمها من تأليف مؤرخين معاصرين لفترة البحث، وبعضها الآخر من تأليف مؤرخين عاشوا بعد هذه الفترة إلا أنهم نقلوا من مصادر أصلية معاصرة للفترة، ويأتي في مقدمة هذه المصادر:

أولاً: المصادر المكية والمدنية: ومنها كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" لتقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، وهو كتاب مرتب على حروف المعجم، أفاد الدراسة بما تضمنته من تراجم الأمراء والعلماء والقضاة والأئمة في مكة المكرمة، سواء كانوا من أهلها أو من غير أهلها، وما أشار إليه من قيام بعض العلماء بمزاولة بعض الحرف والمهن. ومنها كتاب "إتحاف الوري بأخبار أم القرى" للنجم عمر بن فهد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) وهو من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها الدراسة، فقد جاء على النظام الحولي واشتمل على حوادث متعلقة بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في مكة المكرمة، لاسيما ذكره لتلك المراسيم المتعلقة بالتولية والعزل في الوظائف، وما استحدث في مدينة جدة من الوظائف. وللنجم عمر بن فهد كتاب آخر أفاد البحث وهو "الدر الكمين بذيل العقد الثمين"، وهو تكملة تاريخية لكتاب الفاسي "العقد الثمين"، وقد رتب المؤلف ترتيباً أبجدياً، ساق فيه كثير من تراجم العلماء من أهل الحجاز وغيرهم وذكر من خلال الترجمة ما عملوا به من الوظائف والمهن والحرف. ومن المصادر المكية كتاب "بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى" للعز عبد العزيز ابن فهد (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) رتب مؤلفه على النظام الحولي، وأفاد الدراسة بذكر المراسيم المتعلقة بالوظائف، فضلاً عن ذكرها لفوائد خدمت البحث من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

وأما المصادر المدنية فمما كتاب "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" لمحمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، وهو من أهم مصادر تاريخ المدينة المنورة في العصر المملوكي، وقد أفاد الدراسة بمعلومات قيمة عن المسجد النبوي والوفدين إلى المدينة المنورة من أهل العلم والفضل، وكذا ذكره لتراجم العديد من العلماء الذين عملوا بالمسجد النبوي في وظائف معينة. ومن المصادر المدنية كتاب "نصيحة المشاور وتسلية المجاور" لعبد الله بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) الذي أفاد بمعلومات قيمة عن حكام المدينة المنورة والوظائف الدينية التي كانت في أيدي الإمامية الرافضة ثم تحولها إلى أيدي أهل السنة، هذا فضلاً عن ذكره لتراجم العلماء الذين تولوا الوظائف في الحرم النبوي.

ثانياً: المصادر المملوكية: وعلى رأسها كتاب "الساوكة لمعرفة دول الملوك" لقمي الدين أحمد المقرئ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، وهو من المصادر المهمة للتاريخ المملوكي العام، وقد أفاد بمعلومات عن العلاقات السياسية بين دولة المماليك بمصر وأمراء الحجاز. وأما كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ليوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، وهذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية في العصر المملوكي لأن مؤلفه من الطائفة المملوكية، وقد رتب كتابه على النظام الحولي، وأفاد الدراسة بترجمته لبعض سلاطين المماليك وما ارتبط بتلك التراجم من قرارات التعيين والعزل التي كانوا يصدرونها لبعض الوظائف.

ثالثاً: كتب التراجم والطبقات: وهي من أثبت صور التعبير التاريخي لأنها تضم بين دفتيها معلومات تاريخية ثمينة تكونها معلومات غير مقصودة في حد ذاتها بل تأتي عرضاً أثناء الترجمة لشخصية من الشخصيات، وكان على رأس قائمة هذه الكتب كتاب "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" لقمي الدين أحمد المقرئ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) الذي أفاد الدراسة في كثير من الفصول بما تضمنه من تراجم علماء الحجاز. ومنها كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الذي أفاد البحث بما تضمن من تراجم العلماء ممن تولوا بعض الوظائف أو المهام والحرف. ومنها كتاب "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" ليوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٤٨م)، وقد تضمن تراجم للأمرء والعلماء والسلاطين، وأفاد في كثير من فصول الدراسة بترجمه لبعض علماء الحجاز. ومن تلك الكتب كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" لمحمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وهو من أهم كتب التراجم المملوكية، إذ شملت تراجم طبقات المجتمع كافة، ورتبه صاحبه حسب الحروف الهجائية مستقياً بالترجمة معظم أعيان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي مشرقاً ومغرباً، وقد أفاد البحث في أغلب فصوله بما اشتمل عليه من تراجم العلماء الذين تولوا الوظائف الدينية أو الإدارية، وكذا الذين عملوا بالحرف والمهن.

رابعاً: كتب الرحلات: وهي مصدر مهم من مصادر التاريخ الحضاري لكل أمة، وللأمة الإسلامية خصوصاً، وكان على رأس هذه الكتب رحلة محمد ابن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) المعروفة بـ "الذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، وهي رحلة مائة أدبياً وغزيرة المعلومات تاريخياً، حيث دأب المؤلف على تدوين معلوماته على شكل مذكرات يومية يقيدها على كل مشهد وكل بلدة يمر بها، وهذه الرحلة بالرغم من كونها سابقة للعصر المملوكي إلا أنها أفادت الدراسة بمعلومات متعلقة بالنواحي الدينية والاقتصادية والاجتماعية لأهل الحجاز. وأما الرحلة الثانية هي للرحالة المغربي محمد ابن بطوطة الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) المعروفة بـ "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، وهي

رحلة عالمية جاب خلالها المؤلف معظم أقطار العالم القديم، وكان لإقليم الحجاز نصيبه من المعلومات القيمة التي بُنيتُ على المشاهدة والوصف الحي من المؤلف نفسه، وقد أفادت الدراسة بما تضمنته من معلومات عن المسجد الحرام والمسجد النبوي، وما احتوته من إشارات إلى بعض موظفي المسجدين الشريفين، كما ورد فيها معلومات عن العديد من المظاهر الاجتماعية الحجازية في العصر المملوكي.

خامساً: المراجع: وهي الدراسات الحديثة والمعاصرة التي تناولت موضوع الدراسة من بعض الجوانب، لعل من أبرزها كتاب "الموظفون في المسجد النبوي وأثرهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي" لريم الساج، وهو في الأصل رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، وقد أفاد البحث بما ورد فيه من وظائف في الحرم النبوي دينية وإدارية وخدمية. ومنها كتاب "التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي" لليلي عبد المجيد، وهو كذلك رسالة دكتوراة في الأصل، وقد تضمن عددًا من الوظائف الدينية والإدارية وذكر الناحية التجارية وما استحدثت في ميناء جدة من وظائف خلال هذا العصر. ومنها كتاب "الحياة الاقتصادية في الحجاز وعلاقاته في عصر المماليك" ل محمد العناقرة، وأفاد البحث من حيث النشاط الاقتصادي في الحجاز لاسيما في موضوع التجارة وازدهارها في موسم الحج، هذا فضلاً عن إشارة الكتاب إلى العديد من المهن والصناعات الحجازية خلال الفترة المملوكية. ومنها تلك المراجع القيمة التي عرفت بالوظائف والمهن والحرف ككتاب "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية" لحسن الباشا، وككتاب "الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في العصر المملوكي" لسارة الزهراني الذي تضمن العديد من الوظائف الدينية والإدارية وأشار إلى كثير من المهن والحرف واختصاص بعض الأسر المدنية بها، وككتاب "أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي" لأحمد بدرشيني الذي بين فيه تعلق بعض الأوقاف ببعض الوظائف التي كانت سائدة في العصر المملوكي، كما أشار إلى تلك الوظائف التي استحدثت في ميناء جدة خلال عصره الذهبي تحت الحكم المملوكي.

والله ولي التوفيق

وصلّى الله على سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولاً: تعريف الوظيفة والمهنة والحرفة

ثانياً: فئات العلماء في الحجاز خلال العصر المملوكي

أولاً: تعرف الوظيفة والمهنة والحرفة:

الوظيفة في اللغة من وظف وظائف توظيفاً أي توب ودول^(١)، ويقال وظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً إذا أنزهها إياه^(٢). وتطلق الكلمة في اللغة كذلك على العهد والشرط^(٣) والمنتصب والخدمة المعينة^(٤)، ومن مرادفات الوظيفة في اللغة كلمة "الوجيبة"؛ وهي ما يعوده الإنسان على نفسه كاللازم والثابت^(٥). وذكر الزبيدي أن علماء اللغة اختلفوا هل هي كلمة عربية أم مولدة، ورجح هو أنها مولدة^(٦). وأما في الاصطلاح فالوظيفة هي "ما يُقدَّر من عمل ورزق وطعام وغير ذلك^(٧) من علف أو شراب^(٨)، في زمن معين محدّد"^(٩)، قال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): "ويعتبر الآن في زماننا بالجراية والعليقة^(١٠)، وهذا المعنى لكلمة "الوظيفة" هو معنى قريب من المفهوم الحديث والمعاصر لهذه الكلمة.

وقد كان العمل الوظيفي خلال العصر المملوكي من أهم مصادر دخل علماء الحجاز؛ حيث تسنم هؤلاء عدد من الوظائف الدينية والعلمية والإدارية، وكان الأصل في الترشيح لهذه الوظائف هو المستوى العلمي بالدرجة الأولى ثم يلي ذلك الجانب المذهبي. وحرص الماليك وولاتهم على الحجاز على إسناد هذه الوظائف إلى العلماء سواء كانوا من أهل الحجاز الأصليين أو الوافدين والمجاورين، فضلاً عن بعض الرحالة الذين أقاموا بمدن الحجاز مدة طويلة من الزمن، ولم يكن أمراء الحجاز يراعون الجانب المذهبي في هذا المجال إلا بتوجيه مباشر من سلاطين دولة الماليك في القاهرة، ولهذا فقد

(١) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١٠٤٢/٢).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، (٣٥٨/٩).

(٣) الزبيدي: تاج العروس، (٤٦٥/٢٤).

(٤) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١٠٤٢/٢).

(٥) الزبيدي: تاج العروس، (٣٣٤/٤).

(٦) الزبيدي: تاج العروس، (٤٦٥/٢٤).

(٧) رجب عبد الجواد: معجم المصطلحات الإسلامية، ص ٣٠٤.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، (٣٥٨/٩).

(٩) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١٠٤٢/٢).

(١٠) تاج العروس، (٤٦٥/٢٤). والجراية: جمع جريات؛ وهو الجاري من الرواتب. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١١٩/١)، العليقة:

الفاقة أو البعير يعطيه الرجل القوم يمارون له عليه. أحمد رضا: معجم متن اللغة، (١٩٠/٤).

كان للمذاهب دور كبير في تولي الوظائف، وكان للمذهب الشافعي النصيب الأوفر من هذا التعيين بحكم أنه المذهب الرسمي للدولة المملوكية، وكان من شدة حرص بعض العلماء في مدن الحجاز على تولي بعض تلك الوظائف أنه لم يكن يتأخر عن التحول من مذهب لأخر لتبيل نصيبه من هذه الوظائف^(١). وكان مما زاد من حرص علماء الحجاز على تولي الوظائف هو ارتباط الإقليم الحجازي بال الحرمين الشريفين، حيث كانت تزداد فيهما مكانة منولى الوظيفة لاسيما العليا منها، حيث كان التعيين والعزل يتم بمرسوم من السلطان المملوكي في القاهرة^(٢)، ولهذا فقد سجلت المصادر التاريخية حوادث التنافس الذي وقع بين عدد من علماء الحجاز على تولي بعض الوظائف حتى إن الوظيفة الواحدة كانت تقسم بين اثنين منهما بحيث يشغلانها في وقت واحد^(٣)، كما أن بعضهم لم يكن يتردد في التوجه إلى القاهرة طمعاً في الحصول على الوظيفة من الجهات العليا، بل ولم يقتصر الأمر على مجرد السفر وإنما بذل بعضهم الأموال للحصول على تلك الوظائف^(٤).

وربما المتأمل في هذا الواقع حول تنافس بعض علماء حول الوظائف يجد أن من أسبابه هو تلك المكانة الاجتماعية التي يحوزها منولى الوظائف ببلاد الحرمين، لاسيما إذا علمنا أن حكام العالم الإسلامي كانوا يعملون على تزويد موظفي بلاد الحرمين الشريفين بالأعطيات والهدايا^(٥)، كما كان لهؤلاء نصيبهم من الصدقات الواصلة إلى الأراضي المقدسة من مختلف البلاد الإسلامية^(٦)، هذا فضلاً عن ما كان يقرر لهم على عملهم^(٧).

وأما عن الحرفة فهي في اللغة مشتقة من الاحتراف وهو الاكتساب، يقال: هو يحترف لعباله ويحترف بمعنى يكسب من ها هنا وها هنا^(٨). وأما في الاصطلاح فالحرفة هي الطعمة والصناعة التي يُرتزق منها، وهي جهة الكسب،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٩/٦).

(٢) محمد شماع: القضاء والقضاء في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة،

١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٨٩.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩٤/٦).

(٤) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٠٦/٣).

(٥) المقرئ: السلوك، (٢٣٧/٥).

(٦) العز بن فهد: غاية المرام، (٦٣٢/١).

(٧) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٥٧/٢).

(٨) الزبيدي: تاج العروس، (٦٩/٦).

وكل ما اشتغل الإنسان به وانتفع به فإنه عند العرب يسمى حرفة وصناعة^(١)، ويقولون: صنعة فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، يريدون ذأبه وديدنه. والمُحَرِّف والمُحَرِّف هو الموضع الذي يُحَرِّف فيه، وربما تَحْتَصُّ اللفظتان بالصناعة اليدوية الحاذقة^(٢)، والمُحَرِّف هو صاحب الحرفة، والحِرْفِي الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة منتظمة^(٣).

وكان للعرب - من أهل البادية خصوصاً - موقفاً تاريخياً سلبياً من الحرف حيث اعتبروا كثير منها حرفةً محقرة واستهانوا بمن يحترفها^(٤)، مثل حرفة الحدادة، والتجارة، والصياغة، والخياطة وغيرها، واعتبروا أنه من العار أن يُصاهروا أهل الصناعات والحرف لأنهم دونهم في المنزلة^(٥)، حتى لقد وضع ابن خلدون قاعدة في مقدمته عندما ذكر علاقة البدو بحرفة الخياطة فقال: "وهذه الصناعة محتصة بالعمران الحضري لأن أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون^(٦) الأثواب اشتمالاً، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها"^(٧). وكان السبب وراء احتقار العرب للحرف وازدراؤها هو ذلك العُرف الذي كانوا عليه باعتبار الحرفة عمل وضعي وُجد للعبيد والإماء ولا يليق بالحر حسب زعمهم^(٨).

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، (١٦/٥).

(٢) لويس معلوف: المتجدد في اللغة، ص ١٢٨.

(٣) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١٦٧/١).

(٤) وكان القليل منهم من أيدوا الحرف وعملوا بها ولم يأنفوا من ذلك، كالعامل بالتجارة والرعي والغزل والنسيج. نعيمة بن دهيش: الألقاب والكلمى وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف بغرب الجزيرة العربية عبر العصور، مجلة الدرعية، سنة الثانية عشر، عدد ٤٦، جمادى الآخرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٢٣.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، (١٩٨/٨).

(٦) الاشتغال: هو التفاف الرجل بالرداء أو الكساء وطرحه عن شماله. أحمد رضا: معجم متن اللغة، (٣٧٢/٣).

(٧) ابن خلدون: كتاب العبر، (٣٧٥/١).

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، (٥٤٣/٧).

وأما المهنة في اللغة فهي من مَهَنَ وَمُهِنَ مَهْنًا؛ إذا عمل في ضيعته، ويقال: خرقاء لا تحسن المهنة؛ أي لا تحسن الخدمة^(١). وعليه فالمهنة في اللغة هي "الحذق بالخدمة والعمل"^(٢)، وهو نفس معناها في الاصطلاح^(٣)، فقد عُرِفَتْ بأنها "العمل الذي يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق بممارسته"^(٤)، وفي الحديث الشريف: "ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنة"^(٥)، أي بذلته وخدمته^(٦).

والفارق بين مفهومي الحرفة والمهنة هو أن الحرفة هي عمل يدوي يمارسه الإنسان ويكسب به عيشه ولا يحتاج إلى إعداد مسبق، بل من خلال تدريب قصير، ليكتسب الشخص خبرة واسعة ومهارة يستطيع معها القيام بالعمل بمهارة عالية واتقان، كحرفة النجارة والحداذة والصياغة، فهي تشمل الأعمال التي كانت في الأصل تعتمد على العمل اليدوي. وعلى ذلك فإن مفهوم المهنة أعم وأشمل من مفهوم الحرفة، لأن المهنة تشمل كل عمل يقوم به الإنسان، وأما الحرفة فهي الصناعة أي العمل اليدوي الذي يجريه الصانع في صنعه^(٧).

وقد جاء موقف الإسلام من العمل الحرفي والمهني هو التشجيع والحث عليه وعدم التفرقة بين أنواعه، واحترام الأعمال الحرفية والمهنية كافة ما دامت بعيدة عن المحرمات؛ فللمسلم أن يكسب قوته ومن يعول عن طريق ممارسة أي مهنة أو حرفة أو صناعة شريفة لا تقوم على أمر محرم^(٨). ومما لا ريب فيه أن بعض الحرف استمرت بعد الإسلام، وأخذت فكرة

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، (١٧٤/٦).

(٢) الزبيدي: تاج العروس، (٢١٨/٣٦).

(٣) لويس معلوف: المنجد في اللغة، ص ٧٧٨.

(٤) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٨٩٠/٢).

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، (٤١٨/١) برقم ١٠٨٠. والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير، (١٠٥٨/١) برقم ٥٦٣٥.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، (٤٢٤/١٣).

(٧) قسطنطس عبد الستار: قسطنطس: أرباب المهن والحرف في المجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، المجلد الثاني، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م، ص ٣٢١.

(٨) نعيمة بن دهيش: الألقاب والكلى وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف، ص ٢١٩.

مهانة الاشتغال بالحرف وتحتفي بعد أن حث القرآن الكريم والرسول ﷺ على العمل^(١)، وقد عمل معظم الأنبياء عليهم السلام بالعمل الحرفي؛ فمنهم من عمل بالتجارة مثل نبي الله نوح ﷺ الذي صنع الفلك بأمر الله تعالى كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾^(٣)، كما عمل نبي الله داود ﷺ بالحداثة وقد تحدث عنه القرآن في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَهُ الْفُلْكَ الْحَدِيدَ، أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤)، وعمل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بالبناء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(٥)، وعمل النبي ﷺ بالرعي^(٦) والتجارة. وقد تأسّى بهم العلماء في ذلك فعملوا بالحرف إلى جانب اشتغالهم بالعبادة والعلم، فكانوا مع علمهم وزهدهم وتقواهم أصحاب حِرَف ومن يسعون من خلالها طلباً للرزق الحلال وتوفيراً لقوت عيالهم الواجب عليهم، وهذا إذا دل على شيء فإنما يدل على مدى تطبيقهم وفهمهم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ^(٧).

وكانت من أهم الحِرَف التي عمل بها العلماء حِرَف التجارة والحداثة والحياكة والنساجة والخياطة والصباغة والدباغة والبناء وغيرها، وأما المهن فكان على رأسها مهنة التجارة والتدريس والإقراء والتحديث وغيرها. وقد بلغ من أهمية العمل الحرفي أن بعض العلماء كان يُنسب للعمل أو الحِرَف التي يعمل بها فيقال: فلان التجار، وفلان الحداد، وفلان الصانع وغيرهم كثير. ومن العلماء من نُسب لحِرَف والده كان يقال ابن المجلد، وابن الفخار وغيره. وقد تميزت الحِرَف بتعدد الألفاظ الدالة على الحِرَف الواحدة؛ فيقال الذهبي والصانع للدلالة على الاشتغال بحِرَف صياغة الذهب، والصفار

(١) ثروت حجازي: الحرف اليدوية في مكة، (١٧/١).

(٢) سورة هود، الآية ٣٧.

(٣) سورة هود، الآية ٣٨.

(٤) سورة سبأ، الآيات ١٠ و ١١.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٦) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كُنتُ أُرعاها على قراريط لأهل مكة". الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، حديث رقم ٢١٤٣.

(٧) عبد الباسط الغريب: الطرفة فيمن نسب من العلماء لحِرَف أو مهنة، ص ٢١.

والنخاس للدلالة على حرفة النحاسين وهكذا^(١). كما تميزت الحرف والمهن في تلك الفترة الزمنية بأنها كانت وراثية في الغالب، يتعلمها الابن عن والده وتتحصر في العائلة ولا يسمح للغريب - في بعض الأحيان - أن يتعلم أسرار المهنة والحرفة خاصة تلك التي تحتاج إلى مهارة أو ذكاء وهذا خوفاً من المنافسة^(٢)، كما كان لأصحاب الحرف والمهن تنظيم خاص بهم حيث كان يجتمع أصحاب كل مهنة أو حرفة في سوق خاص بهم يعرف باسم المهنة أو الحرفة التي يعملون بها، وهو ما كانت عليه أسواق الحجاز في العصر المملوكي حيث نجد سوق العطارين وسوق الصاغة وغيرها^(٣)، كما ارتبطت أسماء بعض الأماكن بأسماء بعض المهن مثل باب الخياطين^(٤). ومن تنظيمات أصحاب الحرف التي كانوا عليها أنهم ينضمون بعضهم إلى بعض مكونين طبقة واحدة تتعاون فيما بينها ويتولى رئاستها أبرز رجال الحرفة، حيث كان للمهن أو الحرف شيخ أو رئيس أو عرف مهنته يُقَبَّس اسمه من تلك المهن؛ مثل شيخ الدلائن وشيخ العطارين وشيخ الصبارفة وغيره من شيوخ الحرف والمهن، وكان هذا الشيخ يعد الخبير الفني لتلك الحرفة أو المهنة، وكان يقع على عاتقه مهمة مراقبة أهل سوقه وأهل مهنته من جهة، ومن جهة أخرى كان الشيخ يُشكل حلقة الوصل بين أهل مهنته والسلطة الحاكمة، حيث يقوم بإبلاغ أرباب حرفته ومهنته بالمعلومات والتعليمات المطلوبة من السلطة التي تخص الحرفة والمهنة، كما يتقل إليها شكاواهم ويدافع عنها أمامهم، كما كان يؤخذ رأيه في تحديد كلفة السلع وقيمتها وغيرها من الأمور المتعلقة بالمهنة، فكان هذا الشيخ بمثابة قاض بين أرباب الحرفة والمهنة وحلقة وصل بينهم وبين الناس وبين الجهات المسؤولة^(٥).

(١) عليان الجالودي: سبل عيش العلماء في ضوء كتاب الأسباب للسمعاني، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد الثامن، العدد الأول، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص ٦٧.

(٢) عبد المعطي سمس: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد السادس والعشرون، نيسان، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص ٢٧.

(٣) ثروت حجازي: الحرف اليدوية في مكة، (١/٦٢).

(٤) شرح الشهراني: الحياة الاجتماعية في مكة في عهد المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، أبها، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م، ص ١١٣.

(٥) شرفة المنديل: حروف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، ص ٨، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م؛ فرج السبعي: مهن العلماء وحرفهم في دمشق في العصر المملوكي، مجلة جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص ٣٣.

ثانياً: فئات العلماء في الحجاز خلال العصر المملوكي:

تعدُّ الحجاز من المناطق التي تتنوع فيها الأجناس المختلفة، فقد كان المجتمع الحجازي خليط من عدة جنسيات، فهو مميز في تركيبه الاجتماعي من بين جميع مدن العالم بسبب وجود الحرمين الشريفين^(١)، وقد توزعت هذه الجنسيات المختلفة في أشهر المدن الحجازية وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع وغيرها^(٢)؛ فبالنسبة لسكان مكة الأصليين فقد كانوا من قبيلة قرش - إلى جانب بعض القبائل والعشائر العربية الأخرى التي استقرت في جوار قرش - الذين خرج معظمهم مع الفتح الإسلامي إلى الشام والعراق ومصر والمغرب وغيرها واستقروا فيها، ولم يبق من القرشيين الأصليين في مكة إلا بعض البطون، مع بعض الأسر والعشائر البدوية التي استقرت بجوار البلد الحرام، وكان المكيون من هؤلاء يشكون الربع أو الثلث من مجموع القبائل بمكة في العصر المملوكي^(٣)، وكان من سكان مكة الأصليين كذلك بعض الأسر ذات الأصل القرشي مثل أسرة آل المشبي^(٤) وأسرة بني ظهيرة^(٥) وأسرة بني فهد^(٦)، هذا فضلاً عن الأشراف وهم

(١) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٦.

(٢) محمد بكري: الحجاز (٨٥٩-٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٨٢.

(٣) أحمد بدرشيني: مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٣٣٨؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ص ١٥٦.

(٤) آل شيبه: يسبون إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحجي القرشي، من بني عبد الدار بن قصي، سدة الكعبة المعظمة. وهو بيت من أعرق البيوت وأهمها في مكة، وقد اكتسبوا هذه المكانة المرموقة والتقدير من كافة أفراد المجتمع لأهمية وظيفتهم في خدمة بيت الله الحرام واحتفاظهم بمفاتيح الكعبة التي أضافت لهم شرفاً عظيماً ومكانة عالية، وهم يوارثون السدانة إلى قيام الساعة. الأزرقى: أخبار مكة، (١/٣٧١)؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٨٣، ٢٨٥.

(٥) بنو ظهيرة: أسرة قرشية الأصل تنسب إلى بني مخزوم، وهي من أكبر الأسر المكية عددًا في العصر المملوكي، وهي أسرة علمية عريقة اشتهر الكثير من أفرادها في مكة بالشرف والرئاسة والعلم في أجيال متتابعة طيلة ستة قرون، كما تقلد الكثير منهم الوظائف العالية كالتضاء والخطابة والإمامة ونظارة الحرم والتدريس، وذاعت شهرة هذه الأسرة خاصة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. محمد السلمي: الأسرة الظهيرية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م، ص ٥٦؛ خالد البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٧٠.

الأمراء من أحفاد قتادة^(١) بن إدريس الحسني في مكة وينبع^(٢). وأما المدينة المنورة فكان التركيب الاجتماعي فيها مشابه ومطابق للتركيب الاجتماعي لمكة المكرمة، لارتباط المدينتين المقدستين ببعضهما سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا وفكريًا واقتصاديًا، مع اختلاف بسيط في سكان المدينة الأصليين الذين كانوا من الأوس والخزرج ومن طبقة الأمراء من الأشراف الحسينيين، وكان منهم أسرة آل سنان الشيعية الإمامية قضاة المدينة المنورة^(٣). وأما عن الطائف فكان سكانها من قبيلتي ثقيف^(٤) وهوازن^(٥) خاصة، ومن بعض قبائل قريش وهذيل^(٦) وبجيلة^(٧) والسراة^(٨). وأما جدة فقد كان سكانها الأصليين

(١) بنو قهدة: أسرة قرشية الأصل تنسب إلى محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم بيت علم كبير ينبع فيهم عدد من الحفاظ والمؤرخين والمحدثين، ولهم جهود في نشر الحديث، وألفوا في ذلك المؤلفات العديدة، كما قارنوا العديد من المناصب الدينية، وظلوا يؤدون دورهم وخدماتهم للعلم إلى نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ١٩٢. محمد السلمي: الأسرة الظهيرية في مكة المكرمة، ص ٥٢.

(٢) هو أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن العلوي الحسني القرشي. جد الأشراف المعروفين ببني قتادة الذين ملكوا مكة بعد الحواشم. ولد قتادة في ينبع ونشأ شجاعاً عاقلاً فترأس عشيرته واستولى على ينبع والصفراء، ولما كثرت الفتن بمكة بين المتنازعين على إمارتها قصدوا بجمع قوي فملكها سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م ثم وسع ملكه إلى المدينة واليمن. كان فاضلاً محسناً في بدء أمره ثم أوجد المظالم والمكوس. خنقه بمكة ابنه الحسن وهو على فراش المرض وذلك استعجالاً لموته، وكان هذا في جمادى الآخرة سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وكان عمره تسعون سنة. القاسي: العقد الثمين، (٤/٤٣٨)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٨٨).

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، (٤/٢٢٧)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٦.

(٤) أحمد بدرشيني: مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٣٤٧.

(٥) ثقيف: بطن منسج من هوازن من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن. وزعم بعض النسابين أن ثقيفاً من بقايا ثمود لأن منازلهم بالطائف كانت في القديم للعمالقة ثم نزلتها ثمود. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٥٥.

(٦) هوازن: بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهؤلاء هم اللذين أثار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزاهم. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٤٤٢، عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣/١٢٣١).

في العصر المملوكي من قريش عامة ومن غيرهم من القبائل الحجازية^(١). وأما ينبع فتعدّ عربية خالصة ليس فيها إلا القلة من غير العرب، وقد سكن هؤلاء القرى والأودية والشعاب قبائل متعددة، وكان أكثرهم من قبيلة جهينة^(٢) التي شملت مضاربها أكبر رقعة في تلك المنطقة، وكان يشاركها بنو ضمرة كذلك^(٣).

وقد أسهم العلماء الحجازيون في الجانب الوظيفي فتولوا الوظائف الدينية العليا من قضاء وإمامة، إلى جانب الوظائف الإدارية، وكانت بعض الأسر الحجازية تختصّ ببعض الوظائف التي لا يمكن أن يتولاها غيرهم كاختصاص أسرة بني شيبه بوظيفة الحجابة التي اختصت بها ولا يتولاها غيرهم^(٤).

(١) هذيل: إحدى القبائل المضربة من قبائل الحجاز، وطبجهم أقرب إلى القصحي. تقع ديارهم في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب، وتصل إلى الطائف. وهم عدة بطون منها المطارقة والمساعدية وغيرهما. عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (١٢١٣/٣)؛ عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٧٤٤.

(٢) بجيلة: قبيلة عربية كبيرة، ديارهم السراة الواقعة جنوب الطائف إلى تربة، وتسمى ديار بني مالك. وقد اختفى اسم بجيلة وبقي علماً على موضع جنوب الطائف على قرابة ١٢٠ كيلاً في بلاد بني مالك. الفاسي: شفاء الغرام، (٢٤٩/٢)؛ عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٣٠.

(٣) ابن الجاور: تاريخ المسبب، ص ٣٦؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٦٤.

(٤) محمد بكري: الحجاز، ص ١٨٤.

(٥) جهينة: قبيلة عربية حجازية، تُنسب إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سؤد بن أسلم بن الحافي بن قضاة، وهي من أقدم القبائل التي سكنت في الجهات الغربية للمدينة المنورة، وبعد خروج كثير من القبائل الحجازية مع الفتوحات الإسلامية انحاز من بقي من قبائل جهينة باتجاه الغرب على الضفاف الغربية لوادي ينبع ووادي الحمض وفيما بينهما وبين ساحل البحر الأحمر. وتنقسم هذه القبيلة إلى بطنين رئيسيين هما مالك وموسى، ويدخل تحت كل بطن ما يقرب من ثلاثين فرعاً. محمد العرفي: جهينة ماضيها وحاضرها، ص ٢٢؛ عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٢١٤/١).

(٦) ضمرة: بطن من كنانة بن خزيمة، من العدنانية، وهم بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٦٦٨/٢).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٢٢٩/٦).

وكان من فئات علماء الحجاز في العصر المملوكي من غير سكانها الأصليين ثلاث فئات من السكان الذين كان لهم أثرهم في تقديم فئات من العلماء أسهمت في مختلف مناحي الحياة الحجازية، وهم المجاورون والوافدون وكذا الرحالة:

١- المجاورون^(١): كان غالبهم من الحجاج الذين وفدوا إلى مكة والمدينة من مختلف بقاع العالم الإسلامي على مر العصور لأداء فريضة الحج ثم جاؤوا بالحرمين^(٢)، وكانت مجاورة بعضهم لا تزيد على بضع سنين، في حين نجدها تمتد ببعض الآخر إلى عقود من الزمن، وكان بعضهم يفضل البقاء بمجاورة حتى وفاته^(٣)، كما أن المجاورة قد تكون لسنوات متواصلة تنتهي بخروج المجاور أو وفاته، وقد تُقطع المجاورة بالحج أو الزيارة بين مكة والمدينة^(٤)، ولا يوصف بالمجاور من ولد وعاش بالحجاز^(٥)، كما لم تقتصر المجاورة على من جاؤوا من خارج الحجاز بل شملت كل من قدم المدينتين المقدستين والسكنى بهما؛ فالمكي يجاور بالمدينة المنورة، والمديني يجاور بمكة المكرمة، وكذلك الحال بالنسبة لبقية مدن وأقاليم الجزيرة العربية وغيرها^(٦)، وقد تعدد المجاورة من الشخص الواحد أو الجماعة تبعاً لتكرار أداء مناسك الحج أو العمرة أو الزيارة^(٧)، ولم يكن الدافع الديني من هو الدافع الوحيد للمجاورة، فإلى جانب هذا الدافع الذي كان يعد الدافع الأساسي

(١) المجاورة: أصل الكلمة هو الاعتكاف في المسجد، والمقصود بها هنا هو المقام بمكة والمدينة مطلقاً من غير التزام بشرائط الاعتكاف الشرعي. وقد تكون المجاورة بأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)، ومن المجاورين من جاؤوا في المدن الثلاثة معاً. الزبيدي: تاج العروس، (١٠/٤٨٦)، مادة "جور"؛ عفاف الشهري: المجاورون الشاميون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال العصور الأيوبية والمملوكية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، أبها، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص ١٨؛ عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ)، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٩.

(٢) طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ٢٤٣.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٤/٣١٤)؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٥٨، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ١٤٤.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٩)، (٤/٢٩٩)؛ السخاوي: الضوء اللاحق، (٢/٣٠٤)، (١٠/٩٩)؛ التحفة الطليقة، (١/١٤١).

(٥) سارة الزهراني: الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة، ص ١٦٤.

(٦) أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، ص ٣١٠.

(٧) الصفدي: أعيان العصر، (٤/٦٥٤)؛ عفاف الشهري: المجاورون الشاميون، ص ٢٠.

كانت هناك دوافع للمجاورة منها الرغبة في نشر العلم أو طلبه، فالملاحظ أن غالبية المجاورين كانوا من أصحاب العلم سواء كانوا من العلماء أو الطلاب، فقد أدرك هؤلاء أكثر من غيرهم فضل المجاورة وأثرها في حياتهم العلمية، وذلك من خلال ما يتوافر في بلاد الحرمين من بيئة ومميزات علمية قد لا تتوفر في غيرها^(١)، وهذا يدل أن الغاية من المجاورة لم تكن مجرد الانقطاع للعبادة بل كانت كذلك الجمع بين العبادة وطلب العلم ونشره^(٢)، هذا إلى جانب الدافع الاقتصادي الذي كان له نصيب واضح؛ فقد كان يأتي بعضهم للحج والتجارة فيجمع بين الناحيتين الدينية والاقتصادية مستغلاً بذلك الأسواق الراجعة التي كانت تعقد بمدن الحجاز خلال مواسم الحج والزبارة^(٣)، ومستقيدين بما قام به سلاطين المماليك من إسقاط المكوس^(٤) عن الحجاج والتجار القادمين للحجاز بشكل عام، وإلى مكة والمدينة بشكل خاص، وذلك من خلال منع حكام الحرمين من فرض هذه المكوس وتعييضهم عنها بأعطيات متنوعة^(٥)، وهذا فضلاً عما كان للدوافع السياسية من دور في هذه المجاورة؛ إذ كان الحرمان الشريفان ملاذاً آمناً لمن غادر بلاده بسبب مشكلات سياسية أو خلاف على أمر من أمور الحياة الأخرى^(٦). ولهذا فإن الوظائف الدينية والعلمية في بلاد الحرمين - والتي لا يتولاها في الغالب سوى حملة العلم - كانت سبباً مباشراً لقُدوم العديد من المجاورين ممن أسهموا وشاركوا بفضل جهودهم في دعم الحياة العلمية^(٧)، من خلال

(١) عقاف الشهري: المجاورون الشاميون، ص ٤٠؛ عبد العزيز السبيدي: المجاورون في مكة، ص ٢٠، ٢١؛ علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٣١.

(٢) عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٩٢.

(٣) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد الثامن، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٢٤؛ هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص ٥٩.

(٤) المكوس: جمع مكس؛ وهو جعل يؤخذ على البضائع الواردة من البلاد الأخرى، وقيل هو الضريبة التي يأخذها الماكس وأصلها الجبائية، أو التصريح الذي يعطى على براءة الذمة للحجاج من قبل الزناب بهدف الحج. ويقابل المكس في عصرنا لفظة "الجمرك"، فأصل الكلمة "كمر" تركية وعربته مكس. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١/١٣٤)؛ سمير الدروبي: لفظة المكس؛ أصولها وتطورها الدلالي والتداولي في المعاجم العربية ومصادر التراث العربي، ص ٧٣.

(٥) عقاف الشهري: المجاورون الشاميون، ص ٣٧.

(٦) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٤.

(٧) عقاف الشهري: المجاورون الشاميون، ص ٣٥.

التدريس في الحلقات العلمية في المسجد المكي والمدني وغيرها من المساجد، إلى جانب تعليم الأطفال بالكُتاتيب بحيث فاقوا في ذلك أهل الحجاز أنفسهم، كما عملوا بالتدريس بالمدارس والأربطة^(١). وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتقَدَّ الرجال بشرف المجاورة في مكة والمدينة فحسب، بل شاركت النساء في المجاورة، فلم تكن المجاورة في العصر المملوكي حكراً على الرجال بل عُرِفَت بعض النساء اللاتي كن مجاورات في مكة والمدينة، وكان منهن من كُزرت المجاورة عدة مرات، وهذا ما يفسر ظهور أربطة خاصة بالنساء في تلك الفترة^(٢).

٢- الوافدون: أو المهاجرون؛ وقد شكل هؤلاء جزءاً كبيراً من سكان مكة والمدينة^(٣)، فقد آثر الكثير منهم البقاء والاستقرار بالحرمين الشريفين على مرِّ القرون، واختلطوا بسكانها واندمجوا في المجتمع وصاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي إلى جانب السكان الأصليين، وقد أشار إلى ذلك الرحالة السويسري بوكهارت (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٧م) بقوله: "يمكن القول أن سكان مكة كلهم من الأجانب، أو من نسل الأجانب، باستثناء بعض بدو الحجاز أو أحفادهم الذين استقروا في هذه المدينة وجعلوها لهم موطناً"^(٤)، وقال عن سكان المدينة المنورة: "إن السواد الأعظم من سكان المدينة من أصول أجنبية، وعرقهم متباين تماماً كما الحال في مكة، ولا ينقضي عام دون انضمام بعض المستوطنين الجدد إلى هذه الفئة من السكان، يُزاد على ذلك أن أية قافلة من قوافل الحج لا تمر بالمدينة المنورة إلا وتترك وراءها قلة قليلة من مسافريها الذين يتوقفون في بداية الأمر بهدف البقاء مدة عام أو عامين فقط في المدينة ولكنهم يواصلون العيش والبقاء فيها بصفة دائمة"^(٥).

ولم يقصر استقرار هؤلاء الوافدين على مكة والمدينة بل كان منهم من حطَّ رحاله في مدن حجازية أخرى خاصة تلك الواقعة على ساحل البحر الأحمر مثل جدة وينبع وغيرهما، وتلقب كثير منهم بأسماء بلدانهم الأصلية كالشامي

(١) صفاء الدهام: صفاء الدهام: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٥٦.

(٢) سارة الزهراني: الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٧٠.

(٣) علي سليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢١٨.

(٤) بوكهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، (١/٢٢٧).

(٥) بوكهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، (١/٢٢٧)؛ أغسطس رالي: مكة في عيون نصاري، ص ١٢٨.

والمغربي والأندلسي واليماني والمصري وغير ذلك، كما استقبلت بعض مدن الحجاز أعداداً كثيرة من عرب الجزيرة من حضرموت واليمامة والبحرين وغيرها، وعمل كثير منهم بالحرف المتعلقة بالتجارة، ويضاف إلى هذه الجماعات وفود أخرى من مسلمي شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا الذين وفدوا إلى الحجاز واستوطنوا مدنها الكبيرة واشتهروا بالغنى^(١). ونظراً للمكانة العلمية لمكة المكرمة والمدينة المنورة اللتان كانتا ملتقى العلماء والأدباء فقد شهدتا استيطان عددًا وافراً من الأسر التي قدمت من مختلف أنحاء العالم الإسلامي^(٢)، وعرفت كل أسرة باسم البلد الذي قدمت منه أو باسم من اشتهر من أهلها^(٣)، وقد تعددت هذه الأسر بعدد البلدان التي وفدوا منها، وشكلت الأسر الوافدة من المغرب والشام ومصر السواد الأعظم من الوافدين، ويمكن أن نعزو ذلك إلى قرب المكاني والتفوق السياسي والإداري لمصر على بلاد الحجاز^(٤)، كما شكلت الأسر الأسيوية النسبة الأكبر من النسيج السكاني مقارنة بالأسر الأخرى في مكة المكرمة خاصة^(٥)؛ فكان من أبرز هذه الأسر ذات الأصل الأسيوي أسرة الطبري^(٦) وأسرة القطبي^(٧) وأسرة الكازروني^(٨) وبيت الحضارم^(٩)، وبيت

(١) هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ٤٧.

(٢) وداد الجعيد: وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص ٣٢٣.

(٣) محمد السلمي: الأسرة الظهيرية في مكة المكرمة، ص ٢٦.

(٤) وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٢٤، ٢٩٠.

(٥) خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ٤٧، ٥٢.

(٦) الأسرة الطبرية: هي أكبر الأسر القضائية والعلمية بمكة من حيث عددها وامتدادها لأكثر من ستة قرون قبل انقراضها في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. تنسب هذه الأسرة إلى سلالة من الأشراف سكنوا طبرستان ثم استوطنوا مرة أخرى مكة المكرمة منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكان أول من قدم مكة منهم الشيخ رضي الدين محمد بن أبي بكر بن فارس الحسيني الطبري سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، وظل أفراد هذه الأسرة يخدمون العلم في مكة المكرمة حتى أصبحت من أبرز الأسر العلمية بمكة، وظهر فيها عدد كبير من العلماء الذين تولوا الوظائف الدينية كالتقضاء والخطابة والإمامة، كما تميزت هذه الأسرة بساتها العالمات الجليلات اللواتي جلسن للتدريس وأخذ عنهن كبار علماء عصرهن. الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٦)؛ عبد الله الغازي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، ص ١٩؛ بدرية الغامدي: الأسرة الطبرية في مكة المكرمة في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٥٥، ٦٢؛ لمياء شافعي: مكانة المرأة العلمية في الساحة المكية: النساء الطبريات مثلاً، ص ٣-٢؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٩٣.

الصدقي^(٤) وغيرها كثير. وأما الأسر ذات الأصول الإفريقية فمن أبرزها أسرة الفاسي^(٥)، وأسرة القسطلاني^(٦)، وأسرة المرشدي^(٧)؛ وأسرة النويري^(٨)، وأسرة الذروي^(٩)، في حين نجد أن النسيج السكاني في المدينة المنورة كان يغلب عليه

(١) الأسرة القطبية: من البيوت الهدية التي لم نجد لها جذور تاريخية تبين لنا أصلهم تحديداً، وقد اشتهرت باسم عمهم قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد الذي قدم والده من نهر والة من أعمال الهند إلى مكة حاجاً سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م ثم جاور بها. وقد ظهرت هذه الأسرة منذ ذلك الوقت واستمرت حتى العصر العثماني، واشتهرت بالفضائل، ونبع من أفرادها كثير، ولا زالت بعض الأسر بمكة تلقب بالقطب، ولعلمهم يتسبون إليها. عبد الله الغازي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، ص ٢٣؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٩٩.

(٢) الأسرة الكازونية: تنسب هذه الأسرة إلى مدينة كازرون الفارسية، وتعد من أشهر الأسر المكية التي توارثت الأذان بالحرم المكي، وهم غير الأسرة العلمية الكازونية بالمدينة المنورة. ومن أفرادها من تولى رئاسة المؤذنين بالحرم المكي، ومنهم من عمل بوظيفة الأذان دون الرئاسة، وأول من عرف من هذه الأسرة المؤذن عبد السلام ابن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاكر بن شهرار الكازوني الذي كان مؤذناً بالحرم المتوفى بمكة سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م. الفاسي: العقد الثمين، (٣/١١٨)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٣٤)؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣٠١.

(٣) الحضارم: يطلق لفظ الحضارم على كل من انتسب إلى منطقة حضرموت، وهي بلد فقيرة لم يجد فيها أهلها ما يساعدهم على ممارسة نشاطهم التجاري، فركب أجدادهم البحار صوب شواطئ آسيا، وأفريقيا وكذلك نحو الجزيرة العربية خاصة مكة، والمدينة، وجدة، كما أن الرغبة في الاستزادة من العلم كانت من أهم دوافع هجرة الحضارم إلى مكة، ومن الأسر الحضرمية بمكة أسرة محمد بن سالم بن إبراهيم الحضرمي (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٢م)، وابنه محمد (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، ومن الحضارم بيت باعلوي، وقد اهتم علماء هذه الأسرة ونسابهم بحفظ أنسابهم، وألفوا العديد من المؤلفات لحفظ أنسابهم، وينقسم بيت باعلوي اليوم إلى بيوت عدة وهي بيت سقاف، وبيت عطاس، وبيت جفري، وبيت عيدروس وغيرهم، عبد الله الغازي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، ص ١٨، وداد الجعيد: الهجرات السكانية، ص ٣٠١.

(٤) بيت الصدقي: من البيوت المكية العريقة ذوي الأصل الهندي، وكان يطلق عليهم آل علان، وقد سمو بيت صدقي لرجوع نسبههم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجد هذه الأسرة هو علي مبارك شاه الصدقي الذي كان من علماء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. ومن خلال الاسم يتضح لنا أن هذه الأسرة كانت من أصول قرشية ثم هاجرت خارج الجزيرة العربية في فترة من الفترات ثم عادت إلى مكة في العصر المملوكي. وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣٠٣.

(٥) الأسرة الفاسية: من الأسر المغربية ذات الأصل القرشي والتي هاجرت من بلدهم الأصلي بمدينة فاس بالمغرب الأقصى إلى مكة في حدود سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م عندما قدم إليها جدهم الأعلى محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الإدريسي الفاسي واسوطها، تولى أبناءه

الأسر الوافدة ذات الأصول الإفريقية خاصة والمصرية تحديداً؛ كأسرة ابن صالح^(٢)، وأسرة المطري^(٣)، وأسرة المراغي^(٤)، وأسرة السمهودي^(٥)، وأسرة السخاوي^(٦)، ومن المغرب أسرة ابن فرحون^(٧). وأما الأسر ذات الأصل الآسيوي فقد وفد

هذه الأسرة العديد من الوظائف كالقضاء وغيره، وكان لهم أثر كبير في إثراء الحياة العلمية بمكة المكرمة من خلال مشاركتهم بالتدريس والتأليف، خاصة في علوم الفقه والحديث والتاريخ. الفاسي: العقد الثمين، (٣٦٦/٢)؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣٠٩؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٣١؛ صالح معوق: علم الحديث في مكة المكرمة، ص ١٨٣.

(١) الأسرة القسطنطينية: سميت كذلك نسبة إلى مدينة قسطنطينية تبرز الواقعة في تونس، وقد يُعرف بعض أفراد الأسرة القسطنطينية بالتونزي كذلك. ويرجع نسب هذه الأسرة إلى جدهم الأعلى الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطنطيني. وقد استمر نشاط هذه الأسرة في خدمة العلم بمكة وتولى أبنائها القضاء والوظائف الدينية الأخرى إلى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وبعد العصر المملوكي تغير اسم هذه الأسرة فلم تعد تعرف باسم القسطنطيني وإنما عرفت باسم "أسرة الزين" وذلك نسبة إلى جدهم الزين محمد بن محمد بن أحمد القسطنطيني المكي المتوفي سنة ١٣٢٩هـ/١٣٢٩م. الفاسي: العقد الثمين، (٣٨٧/٢)؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣١١؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ٤٦.

(٢) الأسرة المرشدية: يرجع أصل هذه الأسرة إلى بلدة قوة بمصر، وأول من قدم منهم إلى مكة هو برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر الفوي المرشدي في أوائل عشر السنين وسبع مائة الهجرية، وقد استوطن مكة نحو ثلاثين سنة وتأهل بها إلى أن توفي سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م. وكان لأبناء هذه الأسرة شأن علمي حيث اشتهروا برادتها في علوم اللغة العربية لاسيما علم النحو، كما تولى بعضهم مناصب الإفتاء والإمامة. وقد اقتصرت هذه الأسرة أواخر القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. الفاسي: العقد الثمين، (١٢٨/٣)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٠١؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ٥٨.

(٣) أسرة النويري: تنسب هذه الأسرة إلى ناحية نيرة في مصر، وأول من قدم منهم إلى مكة هو شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن القاسم الجزولي النويري العقيلي الحسيني سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، حيث كان يتردد إلى مكة مرات عديدة ثم تأهل بها سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م. وقد تولى معظم أفراد هذه الأسرة التدريس في العديد من مدارس مكة حتى أصبحت مهنة التدريس وراثية بينهم، كما تولى بعضهم الوظائف الدينية كالقضاء والإمامة بالحرم المكي الشريف. الفاسي: العقد الثمين، (٥١/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٢/٦)؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ٥٢؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٢٠.

(٤) وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣٢٣؛ صالح معوق: علم الحديث في مكة المكرمة، ص ٣٢٦، ٣٣٢.

(٥) أسرة ابن صالح: تنسب هذه الأسرة إلى محمد بن صالح بن إسماعيل الشمس بن التقي الكفائي الشافعي الشيخ الفقيه المقرئ، كان قدومه من مصر للمدينة في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، استمر بعض أفراد هذه الأسرة يتقلدون منصب القضاء والخطابة =

والإمامة بالمدينة المنورة إلى أواخر القرن التاسع الهجري إضافة إلى مشاركتهم في تدريس العلوم المختلفة في المسجد النبوي، السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٥٨٣، حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٠، عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة، ص ٢٧١، ٢٧٣، محمد شتاع: القضاء والقضاء، ص ٢٤٨.

(١) أسرة المطري: عُرفوا بذلك نسبةً لقرية المطرية بمصر، وهم من حيث النسب يرجعون إلى سلالة سعد بن عبادَةَ الخزرجي رضي الله عنه. وتعدّ هذه الأسرة من أقدم الأسر استقراراً بالمدينة المنورة في العصر المملوكي، وقد امتدّت تاريخها على مدى قرنين من الزمان، وكان أول من قدم إلى المدينة المنورة من أبنائها هو أحمد بن خلف بن عيسى الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري سنة ٦٧١هـ/١٢٧١م للعمل مؤدّباً بالمسجد النبوي الشريف. الحموي: معجم البلدان، (١٤٩/٥)؛ محمد شتاع: القضاء والقضاء في الحجاز، ص ٢٦١، ٢٥٣؛ عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢١٤.

(٢) أسرة المراغي: تنسب هذه الأسرة إلى زين الدين أبي بكر الحسين بن عمر بن محمد الأموي العشاني المراغي المصري الشافعي. وقد أنجبت هذه الأسرة العديد من العلماء الذين أذوا أدوارهم في خدمة المدينة الشريفة وأهلها. عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٥٦، ٢٧٨؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣٣.

(٣) أسرة السمهودي: عُرفت كذلك نسبةً إلى قرية سمهود بصعيد مصر، ويتّسبون إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان أول من قدم المدينة من أبناء هذه الأسرة هو الإمام فؤاد الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني المعروف بالسمهودي والمتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، وكان من أسرة ذات شهرة كبيرة بالعلم في مصر. حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣٧.

(٤) أسرة السخاوي: تنسب إلى سخا وهي قرية مشهورة بجنوب مصر، أول من سكن المدينة المنورة من أفراد هذه الأسرة في العصر المملوكي هو الشيخ محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد الشمس أبو عبد الله السخاوي ثم القاهري المالكي، انتقل من القاهرة إلى المدينة واستوطنها سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م، متولياً منصب قضاء المالكية بها، وتعدّ هذه الأسرة من أواخر الأسر العلمية قدوماً للاستيطان في المدينة المنورة في العصر المملوكي، السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٣/١)؛ السمعاني: الأنساب، (١٥٦/٧)؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣٨، ٣٩.

(٥) أسرة ابن فرحون: من الأسر العلمية الكبيرة التي تعود أصولها إلى تونس، وقد استوطن أبنائها المدينة المنورة بعد قدوم جدهم أبو عبد الله محمد بن الفضل بن فرحون البعيري الأدي الجبائي الأندلسي الأصل ثم التونسي. وقد تولى العديد من أفراد هذه الأسرة قضاء المالكية بالمدينة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الميلادي، وكان لهم دورهم في الحياة العلمية من خلال مشاركتهم في القضاء والتدريس بالعلوم المدني والشرف ومدارس المدينة المنورة. ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٦٣؛ حورية السلمي: =

منها إلى المدينة المنورة أسرة الزرندي^(١)، والكازروني^(٢)، وأسرة التستري^(٣) وأسرة الحنجدي^(٤). وأما في مدينة الطائف فقد وفدت إليها بعض الأسر العلمية التي كان لها دورٌ في الحركة العلمية كأسرة عيسى بن محمد بن عبد الله اليمني الأصل

الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٢٧؛ محمد شجاع: القضاء والقضاء في الحجاز، ص ٢٤٣؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦٩.

(١) أسرة الزرندي: يرجع أصل هذه الأسرة إلى خادم الرسول ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه، فهم أنصار يتسبون إلى بني النجار من الخزرج، وأما التسمية فهي نسبة إلى زرندي إحدى المدن الكبرى في إقليم كرمان بهلاد فارس. وأول من قدم من أبنائها إلى المدينة المنورة هو الشيخ أبو المنظر يوسف بن محمد بن محمد الأنصاري الزرندي (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م)، والذي كان قد رحل في طلب العلم إلى مدن كثيرة ثم استقر به المقام في المدينة المنورة أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. الحموي: معجم البلدان، (١٣٨/٣)؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٢٥. محمد شجاع: القضاء والقضاء في الحجاز، ص ٢٣٩.

(٢) بيت الكازروني: تعد من أشهر الأسر العلمية بالمدينة العصر المملوكي، وهم بيت مشهور بالعلم والدين، يتسبون إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكان وصولهم للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري، حيث وفد جدهم محمد بن رزيه بن محمود بن إبراهيم بن أحمد الملقب بالشمس أبي الأدي بن الجمال أبي الثناء المدني الشافعي، وبقيت هذه الأسرة بالمدينة طيلة العصر المملوكي، وانقرض هذا البيت في سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م، وكانت من الأسر التي اشتهرت بالعناية بالفقه وكانت ممن يقصد بالإفتاء، كما شاركوا بالتدريس بالمسجد النبوي وقدموا عدة مؤلفات في الفقه والحديث واللغة، السخاوي: الضوء اللامع، (٩٦/٧)؛ الأنصاري: تحفة الحبيب والأصحاب، ص ٤١٠؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة، ص ٣١، ٣٥٢؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢١٠.

(٣) أسرة التستري: أو الشوشتر: عرفت كذلك نسبة إلى تستر بلد من كور الأهواز من بلاد خوزستان، ويسمونها العرب تستر والفرس يسمونها شوشتر، لذا نجد أن نسبة التستري قد تردد باسم الشوشتر. وقد فدت هذه الأسرة إلى المدينة المنورة في بدايات العصر المملوكي، وكان عميدها هو الشيخ أحمد بن عبد الغني التستري المتوفي بالمدينة سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م. السمعاني: الأساب، (٥١/٣)؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣٥.

(٤) أسرة الحنجدي: عرفت كذلك نسبة إلى حنجد، وهي بلدة مشهورة في ما وراء النهر على شاطئ سيحون. وكان أول من قدم إلى المدينة المنورة من أبناء هذه الأسرة هو مؤسسها أبو الطاهر أحمد بن محمد بن محمد الحنجدي الحنفي وذلك سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، واستمرت هذه الأسرة في المدينة خلال العصر المملوكي وامتدت حتى بداية العصر العثماني ثم انقرضت بموت حسن الحنجدي سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م. وقد شاركت هذه الأسرة في تنشيط الحركة العلمية في المدينة المنورة. الحموي: معجم البلدان، (٣٤٧/٢)؛

الطائفي^(١) وأسرة الزهراني^(٢) وأسرة آل عمران^(٣) وأسرة ابن جميع^(٤). وفي بلاد المخلاف السليماني وأحوازه ومخلاف حلي بن يعقوب^(٥) وما يحيط به من أحواز فقد اشتهرت العديد من الأسر العلمية التي أسهمت بدور فاعل في الحياة العلمية في بلاد السرات ونهامه، وكان من أشهر هذه الأسر أسرة آل الحكمي التي اشتهر أفرادها بالإفتاء والتدريس، وأسرة آل الأسدي التي عمل عدد من أفرادها بالقضاء إلى جانب الاهتمام بالعلوم الدينية، كما اشتهرت في هذه المنطقة أسرات الديباجي وآل شافع بالإفتاء والتدريس، هذا إلى جانب أسرتي آل الطواشي^(٦) وآل الوكيل^(٧).

الأصاري: تحفة الحبيب والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، ص ٢٠٧؛ حورية السعدي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٢٩؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢١٦.

- (١) عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٨٥؛ حورية السعدي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٢١.
- (٢) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٤٦٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٥٦)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٢٤.
- (٣) واشتهر من أفرادها الشيخ موسى بن عيسى الزهراني (ت ٨١١/١٤٠٨م)، كما اشتهر والده الفقيه عيسى بالعلم والفقه. السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/١٨٨)؛ أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ٢٣، ٢٥.
- (٤) اشتهرت هذه الأسرة بالتدريس والاشتغال بالفقه، وكان من أبرز أبنائها الفقيه الزاهد أبو عمران موسى بن عيسى العمراني. الشرجي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ص ٣٤٧؛ أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ٣٤٧.
- (٥) يرجع نسب أسرة ابن جميع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قدم أفراد هذه الأسرة إلى جنوب الجزيرة من بلاد المغرب في حدود سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وكان أول من قدم منهم جدتهم إبراهيم بن جميع، وكان عالماً فاضلاً زاهداً، جليل القدر. أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ٢٨.

(٦) حلي بن يعقوب: سُميت كذلك نسبةً إلى "حلي بن يعقوب" من آل حرام الكنانيين أحد حكامها الأوائل، وهي قرية ساحلية على البحر الأحمر تقع على بعد ٦٠ كلم إلى الجنوب من القنفذة، وعلى بعد حوالي ٤٠٠ كلم من مكة. وقد ارتبط ذكرها كثيراً كمحطة على درب الحاج اليمني، كما أنها كانت مقراً لقبائل الأشراف وبعض حكام مكة في العهد المملوكي. النجم ابن فهد: إتحاف الوري، (٢/١١٢)؛ عاقق البلادي: بين مكة واليمن، ص ٢٨.

(٧) أسرة الطواشي: ترجع أصولهم إلى قبائل الأزد، وأصل بلدتهم بلدة عثر على ساحل ييش في المخلاف السليماني. اشتهر أفرادها بالفقه وغيره من العلوم. غيثان جريس: دراسات في تاريخ نهامه والسراة، ص ٢٧٨.

وقد تميزت هذه الأسر الوافدة - إلى جانب كونها أسر علمية - أنها كانت على مذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكن لوجود الحكام الأشراف من غير السنة تأثير على مذهب هذه الأسر^(١)، ومع مرور الزمن أصبحت هذه الأسر تشكل شريحة من سكان الحجاز لا فرق بينهم وبين السكان الأصليين، وقد تفاوت استمرار هذه الأسر في الظهور والتميز؛ فبعضها لم يستمر سوى مدة قصيرة، والبعض الآخر استمر قرونًا قبل أن تندمج في المجتمعات الحجازية، وبعضها استمر حتى الوقت الحالي^(٢)، وشاركت هذه الأسر العلمية الوافدة في العمل الوظيفي حيث تسلم بعض علمائها عددًا من الوظائف الدينية والإدارية، وأسهم البعض الآخر في دعم النشاط الاقتصادي بالعمل في كثير من الحرف والمهن التي كان لها دور بارز في تنشيط الاقتصاد في الحجاز^(٣). هذا وقد كوّن أبناء هؤلاء الوافدين الجيل الثاني الذي أطلق عليه عبارة أبناء المهاجرين، وهم الذين ولدوا ونشأوا في مكة والمدينة أو إحدى المدن الحجازية^(٤).

٣- الرحالة: فقد تنوعت الرحلات عند المسلمين بين دينية وعلمية وتجارية وسياسية؛ فالرحلة قد تعني الهجرة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام، وقد تعني أداء مهمة كرحلات الوفود والسفارات والتجسس وغيرها^(٥)، ولعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنًا عند المسلمين الرحلة إلى أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة مسجد الرسول ﷺ، وكان من الحجاج من يستغل هذه الفرصة فيسجلون مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم والدروب التي مروا بها وسلكوها والحوادث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة^(٦)، وكانوا إلى جانب ذلك يحرصون على تلقي العلم

(١) أسرة الوكيل: ظهرت في المنطقة في القرن الثامن الهجري/الرابع الميلادي، وكان لعلمائها العديد من المناظرات واللقاءات العلمية مع فقهاء أسرة الطواشي والأسرة العقابية التي اشتهر بعض أفرادها بالقضاء خصوصًا. غيثان جريس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٨٥.

(٢) حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٢٢.

(٣) وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٩٢، ٣٢٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٣٣)؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٤١٥.

(٥) عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٤٣؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٨٢.

(٦) أحمد بدرشيني: مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ١٤؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٩.

(٧) أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٣؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٧١.

في الحرمين الشريفين قبل وبعد أداء فريضة الحج ثم يتوجهون إلى أهم العواصم الإسلامية لتلقي العلم بها كمصر والشام والعراق وغيرها^(١). وإلى جانب هذه الرحلات الوصفية كان هناك نوع آخر من الرحلات التي يركز أصحابها على الجوانب العلمية الثقافية، ويعرف هذا النوع بـ "البرنامج" أو "الفهرس" عند أهل المغرب والأندلس، حيث يكون اهتمام الرحالة مركّزًا على الجانب العلمي والعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم، ويُعرف هذا النوع عند أهل المشرق بـ "المشيخات" أو "المعاجم"، وهي أكثر شيوعًا عند المحدثين^(٢). وعلى العموم فإن الرحلة تعدّ أحد الوسائل المهمة لطلب العلم بسبب تعدد مراكز الثقافة في ديار الإسلام، فكان أهل العلم من الرحالة ينتقلون من إقليم إلى آخر ويتلقون على مشاهير الأساتذة وأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم. وفي الوقت ذاته كانوا ينشرون علمهم بين الناس^(٣)، وقد أشار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٨م) إلى أهمية الرحلة العلمية فقال: "... فالرحلة لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال"^(٤)، وهي في حق طالب علم الحديث أكد حيث تسهم في حفظ الإسناد وصيانة الحديث من التزوير والوضع والكذب^(٥)، كما تسهم في حصول طالب العلم على كثير من الإجازات من العلماء في البلدان المختلفة، وهو ما يؤهله لتولي عدد من الوظائف الدينية كالفقضاء والقنوي والقيام بالتدريس، فضلاً عن ذلك فقد كانت الرحلة تزيد من مكانة طالب العلم في مجتمعه، فيقدر ما كان يقوم به من رحلات، وبقدر كثرة المشايخ الذين تلقى عليهم العلم تعلق مكانته العلمية والاجتماعية ويزداد إقبال الطلاب عليه^(٦)، ولأهمية الرحلة العلمية فقد خرج عدد من طلاب العلم من

(١) خالد البلوي: تاج المشرق في تحلية علماء المشرق، ص ٩١؛ وفاء المزروع: إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة المكرمة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٧٠.

(٢) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٣٠؛ هاني العمدة: كتب البرامج والفهارس الأندلسية، ص ١٤، ١٧.

(٣) أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٢.

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر، (١/٣٥٨).

(٥) صالح معنوق: علم الحديث في مكة المكرمة، ص ١٠٥.

(٦) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٣.

الحجاز وتوجهوا إلى المراكز العلمية المشهورة في المشرق والمغرب كمصر والشام والعراق والأندلس وفارس والهند وبلاد ما وراء النهر وغيرها، وكان يتردد بعضهم على البلد الواحد عدة مرات أثناء الرحلة قبل عودتهم إلى بلادهم^(١).

وأما من ارتحل قاصداً بلاد الحجاز بدافع الحج - فضلاً عن تلقي العلم - فقد كانت الرحلة العلمية إلى هذه البلاد توفر العديد من المميزات التي جذبت أصحاب العلم من العلماء والطلاب، والتي قد لا تتوفر في غيرها من البلاد، منها وجود العلماء الحجازيين الذين بلغوا منزلة علمية أهلتهم للتصذر في كثير من العلوم^(٢)، هذا فضلاً عن وجود كثير من المدارس والأربطة والدروس العلمية الخاصة التي قررها بعض السلاطين والأمراء والموسرين والمكاتب العامة - التي ألحقت بالمساجد والمدارس والأربطة - والمكاتب الخاصة^(٣)؛ كل هذه العوامل كان لها أكبر الأثر في الارتحال إلى بلاد الحجاز، فالحج يعدّ الملتقى العلمي للعلماء من مختلف أنحاء العالم، حيث يأخذ الطلاب عنهم العلم ويحصلون على كثير من الإجازات، ولهذا فقد اكتفى كثير من طلبة العلم بالرحلة إلى مكة المكرمة - وربما المدينة المنورة - ثم العودة إلى بلادهم وعدم مواصلة الرحلة لأمصار إسلامية أخرى، حيث وجدوا ضالتهم التي كانوا ينشدونها في بلاد الحرمين الشريفين^(٤)، وهذه الخصائص التي ميّزت الرحلة إلى الحجاز لم تجذب إليها الرحالة وطلاب العلم من مختلف بلاد العالم الإسلامي فحسب، بل زادت من رغبة كثير من طلاب العلم في الحجاز وعدم الارتحال عن بلادهم نظراً لتوفر الجو العلمي الذي يحتاجون، وهو ما يغنيهم عن الرحلة وتكبد مشاقها^(٥).

(١) عبد العزيز السندي: أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠-٩٢٣هـ)، مجلة الدرعية، السنة التاسعة، العددان الرابع والخامس والثلاثون، جماد الآخرة - رمضان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٥٦.

(٢) عفاف الشهري: المجاورون الشاميون، ص ٣٢.

(٣) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٥؛ آمنة جلال: المكتبات في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١، مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢٥، ربيع الآخر، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م؛ ريم القرياس: رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدمام، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٥٤.

(٤) عبد العزيز السندي: أثر مكة العلمي على بلاد اليمن، ص ١٤٢، ١٦٥؛ قال الشوايكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص ٣٩.

(٥) وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٢٦٥.

الفصل الأول

طبيعة الوظائف والمهن والحرف في الحجاز خلال

العصر المملوكي:

المبحث الأول: وظائف أصلية ووافدة ومختلطة.

المبحث الثاني: المهن والحرف الأصلية والمختلطة.

المبحث الأول: وظائف أصلية ووافدة ومختلطة:

شهدت بلاد الحجاز في العصر المملوكي ازدهاراً ملحوظاً في مختلف النواحي لاسيما الاقتصادية منها، وذلك في ظل الأمن والاستقرار الذي تمتعت به في ظل الحكم المملوكي، وقد تنوع النشاط الاقتصادي في هذا الإقليم ما بين وظيفي ومهني وحرفي، وتميز بسمات عدة زادت من ازدهاره منها إشراف السلطة بالقاهرة على العمل الوظيفي وذلك بأن جعلت التعيين والعزل في معظم الوظائف بيدها ويكون مرسوم سلطاني، كما أنها استحدثت وظائف جديدة وسعت في كثير من الأحيان إلى إرسال موظفين رسميين إلى بلاد الحجاز للقيام بمهام موكله إليهم، كما أشرفت على بعض الجوانب المهنية والحرفية وذلك بإصدار مراسيم تُحدد من التسلط أو فرض المكوس على بعض العهن^(١)، ولهذا فإنه يمكن القول أن تولى الوظائف وممارسة المهن والحرف لم يقتصر على أهل الحجاز بل شاركهم في ذلك عناصر أخرى من الوافدين على المنطقة بشكل متزايد خلال العصر المملوكي^(٢).

وبالبحث والتقصي وُجد أن الوظائف والمهن التي اشتغل بها سكان الحجاز - بادية وحاضرة - تنوعت ما بين أصيلة وُجدت في بلاد الحجاز منذ القدم، بعضها يرجع إلى ما قبل الإسلام والبعض الآخر إلى عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين^(٣)، وبعضها كان وافداً، وهي في الغالب إما من الوظائف التي استحدثتها السلطة المملوكية بالقاهرة للقيام بمهام معينة ولمدة مؤقتة، وبعضها انتهى الأمر باستقرارها في بلاد الحجاز مع من وفد على الحجاز من خارجه^(٤)، وأما النوع الثالث من الوظائف فهو المختلط بين الأصلية والوافدة، وهي لا تعود لحقبة زمنية معينة كما هو الحال في الوظائف الأصلية، أو أنها قدمت من الخارج أو استحدثتها السلطة المملوكية كما هو حال الوظائف الوافدة^(٥). ويمكن تفصيل الحديث عن هذه الأنواع كالآتي:

(١) حول ذلك انظر: خالد التفني: المكوس في الحجاز وأثرها على الجوانب السياسية والمظاهر الحضارية خلال المدة (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١١٧١م).

(٢) رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص ١٩٢.

(٣) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٣١.

(٤) الكثاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (١/١٥).

(٥) علي محمود: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ٨٠.

(٥) فوزي ساعاتي: فوزي ساعاتي: أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد

الأمين لتقي الدين الفاسي، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٤٥.

أولاً: الوظائف الأصلية: وهي الأقدم، وقد وجدت في بلاد الحجاز أصلاً؛ فكان منها ما يرجع إلى ما قبل الإسلام، وكان منها ما ظهر بعد ذلك، ويأتي في مقدمة هذه الوظائف:

١- **وظيفة القضاء:** وهي وظيفة وصفت بأنها "رتبة شريفة ومنزلة رفيعة لا منزلة فوقها من المنازل، ولا رتبة أوفى منها إذا اجتمعت شرائطها وحصل للقاضي ما يقتدر إليه من الخصال، لأنها التي تولى الله تعالى بنفسه وبعث بها رسوله ﷺ وتولاها رسوله ﷺ وقام بها أئمة العدل بعده"^(١). فالقضاء هو النظر في القضايا وإثباتها أو نفيها لإظهار أحكامها على مقتضياتها^(٢)، وهو تبيين للحكم الشرعي الذي يفصل الخصومة والإلزام به، وسمي القضاء حكماً لما فيه من الإحكام، ولما فيه من الحكمة لكونه يكف الظالم عن ظلمه^(٣). والقاضي هو عبارة عن تولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية والأحوال الشخصية وغيرها^(٤). ونظراً لأهمية هذه الوظيفة فقد حرص سلاطين المماليك على إسنادها إلى كبار العلماء ممن وصفوا بالراسخين في العلم، ولعل أبلغ وصف للقاضي هو قول السمعاني (ت ٤٩٩هـ/١١٠٥م): "واعلم أنه لا يكفي أن يكون القاضي بالغاً عاقلاً صالحاً ورعاً حراً مسلماً، له تمييز ورأي في ولأينه حتى يكون عالماً، لأن العلم للقاضي كالآلة للصانع"^(٥).

فالقضاء يعد من الوظائف الأصلية في بلاد الحجاز، كما يأتي في مقدمة الوظائف الدينية، وكان أول من تولى القضاء هو النبي ﷺ حيث كان يقضي في المسجد وفي السوق وفي البيت، ولم يكن له مكان محدد لذلك^(٦)، وقد أمره الله تعالى بالحكم بين الناس في قوله سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٧)، وفي عهد خلفائه الراشدين كان يتولى القضاء الخليفة أو من ينيبه عنه، وفي العصر الأموي كانت مكة

(١) السمعاني: روضة القضاء وطريق النجاة، (٥١/١).

(٢) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٦٠.

(٣) محمد التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي، (٢٠٧/٥).

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، (٤٥١/٥).

(٥) السمعاني: روضة القضاء وطريق النجاة، (٥٢/١).

(٦) محمد التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي، (٢١١/٥).

(٧) سورة المائدة، الآية ٤٩.

المكرمة والمدينة المنورة والطائف تحت إشراف والٍ واحد يتم تعيينه من قبل الخليفة بدمشق ويدير هذه المناطق من مقرة بالمدينة المنورة، حيث يقوم الوالي بتعيين القضاة في كل من مدن مكة والمدينة والطائف^(١). وأما في العصر العباسي فقد تولى الخلفاء العباسيون تعيين القضاة بأنفسهم في بداية دولتهم، ولم يفوضوا ولائهم في التعيين إلا عند الضرورة، وكان من أبرز التطورات التي شهدتها النظام القضائي في هذا العصر هو ظهور منصب "قاضي القضاة"^(٢)، فكان إحداها من أجل تخفيف بعض الأعباء عن الخلفاء الذين كانت إليهم مسؤولية تعيين القضاة في مختلف الأمصار، فكان إيجاد هذا المنصب تأكيداً لفصل السلطة القضائية عن السلطة السياسية، وتمكيناً لاستقلال القضاء بإبعاد رؤساء الدولة عن التحكم فيه، كما أن من عوامل ظهور هذا المنصب في تلك الفترة هو تعدد المذاهب الفقهية في مدن الأمصار حيث أصبح القضاة يصدررون أحكامهم وفقاً لأحد هذه المذاهب^(٣). وكان قاضي القضاة يتولى مهمة تعيين القضاة في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية وعزلهم وتفقد أعمالهم ومراجعة أحكامهم، كما كان يستنوب قضاة في المناطق البعيدة عنه^(٤).

واستمر القضاء على تلك الطريقة إلى أن سيطر العبيديون^(٥) على مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م فسعوا منذ البداية إلى إسناد القضاء إلى فقهاء الشيعة، وجعلوا المنصب على المذهب الشيعي وأصبح المذهب الشافعي في المرتبة الثانية، وظل الأمر كذلك إلى أن تمكن الأيوبيون من القضاء على الخلافة العبيدية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م فأعادوا هذه الوظيفة للفقهاء من أهل السنة، وأخذت السلطة في مصر والحجاز منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي بالحكم في القضاء وفق

(١) سلامة الحرفي: القضاء في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول تاريخه ونظامه، رسالة دكتوراه منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٤٤٤.

(٢) كان أول من تولى منصب "قاضي القضاة" هو الفقيه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب الإمام أبي حنيفة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، (٣٧٨/٦).

(٣) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٨٤٢/٢)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٥٩.

(٤) محمد غرابية: تعدد منصب قاضي القضاة في العصر المملوكي وأثره، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد الثالث عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٢٧٢.

(٥) العبيديون: عُرفوا كذلك نسبة إلى مؤسس الدولة العبيدية (الفاطمية) وهو عبيد الله القدراس المهدي الإسماعيلي المذهب اليهودي الأصل، وقد أسس دولته بالمهدية بتونس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م ثم انتقلت الدولة إلى مصر وظلت كذلك إلى أن أنهى وجودها السلطان الفاتح صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م. ابن شدادة: النوادر السلطانية، ص ٣٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (٢٢٦/١٢).

كتاب الله وسنة نبيه على الأحكام الفقهية للمذهب الشافعي^(١)، ثم ورث المالكي النظام القضائي للأيوبيين وزاد من ارتباط النظام القضائي في الحجاز بالنظام القضائي في مصر وكان كلاهما على المذهب الشافعي وهو المذهب الرسمي للدولة المملوكية، وظل الأمر كذلك حتى استُحدث في مصر سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م نظام القضاء على المذاهب الأربعة^(٢)، فتعدّد القضاة ما بين حنفي ومالكي وحنبلي، إلى جانب الشافعي^(٣)، غير أن الحجاز لم يتأثر بهذه التغيرات إلا بعد سنوات طويلة، حيث استُحدث بمكة سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م منصب وظيفة القاضي الحنفي ثم استُحدث في السنة التالية منصب وظيفة القاضي المالكي، وبعد سنتين استُحدث منصب القاضي الحنبلي^(٤)، ولعلّ السبب في تأخر هذا التغيير في مكة يعود إلى أن أغلب سكانها كانوا على المذهب الشافعي، وكان استحداث هذه المناصب يخضع لكثرة أتباع المذهب الفقهي الذي تقوم عليه؛ فالذي كان يلي الشافعي هو الحنفي ثم المالكي وأخيراً الحنبلي لقلة أتباعه^(٥).

وأما في المدينة المنورة فقد كان القضاء في بداية الحكم المملوكي بيد آل سنان الشيعية الإمامية، ولم يكن لأهل السنة خطيب أو إمام ولا حاكم منهم^(٦)، وكان هذا الوضع - بلا ريب - من آثار حكم العبيديين على مصر والحجاز، غير أنه بعد تزايد أعداد أهل السنة بالمدينة المنورة منذ أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بزيادة أعداد الجاوريين والوافدين إليها، سألوا السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون^(٧) أن يكون لأهل السنة قاض يحكم بينهم، فعين

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٢/٨٤٣)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٦٠.

(٢) أهل العثمانيون بعد سيطرتهم على مصر والحجاز سنة ٩٢٢هـ/١٥١٧م نظام القضاء الأربع. محمد غرابية: تعدد منصب قاضي القضاء، ص ٧٣؛ أحمد باشا: نظرة تاريخية في حدود المذاهب الفقهية الأربعة، ص ٧٣.

(٣) ابن قري بردي: النجوم الزاهرة، (٧/١٢٢). ابن إياس: بدائع الزهور، (١/٣٢١).

(٤) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٦٨؛ علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٤١.

(٥) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٦٧؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٥.

(٦) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٩١.

(٧) هو الملك الناصر أبو الفتح محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح المصري. تولى السلطنة سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وعمره تسع سنوات ثم خلع منها بعد سنة لصغره وأُرسل إلى قلعة الكرك ثم أعيد للسلطنة بعد أربع سنوات ولكن أقام بالقلعة كالحجور عليه، واستمر كذلك نحو عشرين سنة حتى استرجع الملك فدانت له البلدان واستمر كذلك ٣٢ سنة إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وكان له من العمر ٦٥ سنة. الصفدي: أعيان العصر، ص ٥١٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (١٤/٢٢٢).

لهم القاضي سراج الدين الحضري^(١)، فكان أول قاضي وخطيب وإمام لأهل السنة، وبذلك يمكن تحديد انتقال القضاء إلى أهل السنة في المدينة مع مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي^(٢)، وكان القضاء بها في هذه الفترة على قسمين: قسم سنّي يحكم بين أهل السنة والمجاورين، وقسم شيعي يحكم فيه القاضي من آل سنان بين جماعته ومن دُعي إليهم من أهل السنة، ثم لم يلبث أن تغير حال القضاء ورجحت كفة أهل السنة فأصبح القضاء سنّيًا خالصًا في ولاية أمير المدينة سعد بن جمار^(٣) الذي أن منع آل سنان وغيرهم من التعرض للأحكام وعقد الأتكة ورد الأمر كله لأهل السنة^(٤)، واستمر الأمر كذلك حتى سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م حين تأثر النظام القضائي بالمدينة المنورة بما حدث في مصر من تعيين قضاة للمذاهب الأربعة، فعُين لكل مذهب قاضي قضاة يحكم بمذهبه^(٥)، ويُنبى عنه نوابًا من المنتسبين لذلك المذهب^(٦)، وكان لقاضي قضاة الشافعية منزلة أعلى من قضاة المذاهب الأخرى، كما جمع أكثر من غيره بين القضاء وعدد من الوظائف الهامة، وكان يليه في الأهمية القاضي الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي^(٧).

وقد تميز القضاء في العصر المملوكي بكونه من الوظائف المتوارثة؛ فعلى الرغم من أن التعيين كان بمرسوم سلطاني يأتي من القاهرة، إلا أنه كانت هناك أسر قضائية اشتهرت بتولي هذا المنصب بحيث كان في الغالب لا يخرج من أفرادها، ومن هذه الأسر في مكة المكرمة كانت الأسرة الطبرية والأسرة الظهيرية والأسرة النويرية والأسرة القاسية وغيرها^(٨)، وفي

(١) هو سراج الدين عمر بن أحمد الحضري المدني. كان أول خطيب من أهل السنة في ذلك العصر، وبقي في منصبه لمدة أربعين سنة، وقد تحمل خلالها أذى كبير من أتباع الإمامية الروافض. توفي بالمدينة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م. ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٠٩.

(٢) حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣١٧.

(٣) هو سعد بن ثابت بن جمار بن شيحة الحسيني القرشي المدني. كان أحد أمراء المدينة المنورة، تولى إمارتها سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، وبدأ إمارته بمنع آل سنان الروافض ونحوهم من التعرض للأحكام وعقد الأتكة، ورد الأمر لأهل السنة، وهذا بقصد إظهار السنة وإخماد البدع. توفي بالمدينة سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م بعد سنة وأربعة أشهر من إمارته. السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٢٥).

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٠٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٢٥).

(٥) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٦٤.

(٦) محمد غرابية: تعدد منصب قاضي القضاة، ص ٢٥٧.

(٧) محمد غرابية: تعدد منصب قاضي القضاة، ص ٢٧٢، ٢٧٨.

(٨) الطبري: الأوج المسكي في التاريخ المكي، ص ١٨٨؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٧٠.

المدينة المنورة برزت أسرة ابن فرحون وأسرة الكازروني وأسرة المطري وأسرة السخاوي وغيرها^(١)، وكانت أكبر هذه الأسر القضائية وأطولها باعاً في القضاء هي الأسرة الطبرية التي استمرت عليه أكثر من ستة قرون، وكانوا قد حصلوا على النصيب الأكبر في وظيفة القضاء لانقسامهم فريقين شافعية ومالكية، فيما تولى أحدهم قضاء الشافعية وتولى الآخر قضاء المالكية أو إمامتها^(٢).

وكان يُجمع للقاضي في العصر المملوكي بين عدد من الوظائف - إلى جانب وظيفة القضاء - منها إمامة مقام مذهبه، ومشيخة الحرم أو نظره، والحسبة والإفتاء والتدريس والإعادة، ونظر الأربطة، وغيرها من الوظائف، بل كان من القضاة من يجمع بين عدد من هذه الوظائف في الوقت نفسه^(٣). ولأهمية وظيفة القضاء في العصر المملوكي كثر التنافس عليها حتى أن بعض العلماء تحوّل من مذهبه الفقهي إلى مذهب آخر لتولي القضاء^(٤)، كما بلغت حدّة التنافس والرغبة في هذه الوظيفة أن بذل بعضهم الأموال للوصول لمنصب القضاء^(٥).

وبعد القاضي في معظم مدن الحجاز في المرتبة الثانية بعد الأمير أو الشريف، حيث كانت تصله المراسيم مثل الشريف سواء كانت بإقرار أو عزل أو تعيين، وكذلك الحال بالنسبة للخَلَع^(٦)، ومع أن القضاء هو وظيفة دينية مستقلة إلا أنه كان له ارتباط وثيق بالحرمين الشريفين، حيث قد يكون القاضي إماماً وخطيباً في الوقت نفسه^(٧)، وكان القاضي -

(١) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٩٥.

(٢) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٧٠؛ سليمان المالكي: الطبريون، ص ٧٥١.

(٣) محمد الطاسان: القضاء في مكة المكرمة في العصر المملوكي، مجلة العصور، المجلد السادس، الجزء الثاني، ذو الحجة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٣١٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٩/٦).

(٥) العز بن فهد: بلوغ القري، (٥٠٦/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧٨/٩).

(٦) الخَلَع: جمع خَلْعَة؛ وهي خيار المال، وهي ما تخلعه من الثياب ونحوها، أي إعطاؤه أو لباسه إياها. الزبائ وآخرون: المعجم الوسيط، (٢٥٠/١).

(٧) النجم بن فهد: إتحاف النوري، (٤٨٣/٤)؛ العز بن فهد: بلوغ القري، (٣٩٣/٢).

(٨) صالح الجديعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات، ص ٢٢٦.

إلى جانب توليه مهام الفصل في المنازعات وقطع الخصومات - كان له النظر في الأوقاف والأربطة^(١)، وعقد الاتكحة وتوزيع الصدقات التي يقدمها السلاطين والأمراء والتجار والموسرين^(٢)، كما أضيف إليه نظر الحرم الشريف وكذلك الحسبة^(٣). وكان النظام القضائي في باقي المدن الحجازية خلال العصر المملوكي يتبع ما كان سائداً في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فعدينة جدة - وهي ميناء مكة الرئيس - كان تعيين القضاة ونوابهم يصدر من القاهرة، غير أنهم في الغالب كانوا نواباً عن القاضي في المناطق الإدارية التابعة لمكة المكرمة أو المدينة المنورة، ويشغلون إلى جانب ذلك منصب النائب الإداري في هذه المناطق بمرسوم سلطاني^(٤). ففي مكة مثلاً كان يتبع نظام القضاء بها عدد من المناطق التابعة لها إدارياً، فكانت جدة من أهم الموانئ التجارية على البحر الأحمر وهي ميناء مكة الرئيسي وكانت ذات تبعية اسمية لأمر مكة وتحتل بعناية خاصة من سلاطين المماليك في مصر، وكذلك الحال بالنسبة للطائف، والقرى المحيطة بها مثل قرية السلامة^(٥)، ووادي نخلة^(٦)، والمليساء^(٧)، وسوله^(٨)، وغيرها^(٩)، وما قيل عن مكة المكرمة يمكن أن يقال عن المدينة المنورة؛ فقد كانت المدن

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٩٤.

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (١٤٩/٢)، ٢٧٥، ٣٠٢، (٤٥٧).

(٣) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٩٨.

(٤) النجم ابن فهد: الدر الكمين، (٦٧/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨٦/٧)، (١٣٣/٨)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (١٣٩/٣).

(٥) قرية السلامة: أول من ذكرها الحمذاني في صفة جزيرة العرب، وهو من أهل القرن الرابع الهجري، قال عنها: "وفي قبلة الطائف - يعني إلى الغرب منها - حائط أم المقدّر بالله، الذي يدعى سلامة. والسلامة قرية محاذية للطائف من جهة باب ابن عباس، كثيرة البيوت بعضها عامر وبعضها خرب، وذكرها باقوت كما ذكرها العجيمي وأنها كانت معمورة أوائل القرن التاسع الهجري، الحمذاني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٣، الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٤، العجيمي: إهداء الطائف، ص ٦٩، وذكر الفاسي أن محمد بن فتح الله الطائفي كان إماماً بقرية، وله تردد كثير إلى مكة، ويقع بها أوقافاً كثيرة، وكان كثير الزبارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم توفي أوائل سنة ثمان وتسعين وسبع مائة ودفن بالمعلاة، الفاسي: العقد الثمين، (٣٣٦/٢)، (٣٣٥).

(٦) وادي نخلة: نخلة وادي من الحجاز، وفي نخلة يجتمع حاج اليمن وأهل نجد، ومن جاء من قبل الحظ وعمان وهجر ويبرين، فيجتمع حاجه بالوادة وهي أعلى نخلة وهي تسمى نخلة اليمانية، وتسمى النخلة الأخرى الشامية وهي ذات عرق، وأما أعلى نخلة ذات عرق فهي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة النخل، الحموي: معجم البلدان، (٢٧٨/٥). جار الله بن فهد: حسن القرى في أودية أم القرى، ص ٩٩، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١١٣٦.

والقرى والحجر^(٤) التابعة لها - وفي مقدمتها مدينة ينبع التي كانت تحظى باهتمام سلاطين المماليك وأمراء المدينة لما تملكه من موقع هام باعتبارها ميناء المدينة المنورة الرئيس - فكان يعين عليها نواباً عن القضاة يبعون إدارياً للمدينة المنورة^(٥)، وغالباً ما يستقل النائب بالوظيفة وتؤول إليه بعد وفاة أو عزل من ينوب عنه، ومن النواب من تاب في القضاء بمواسم سلطانية خاصة^(٦).

٢- وظيفة الإمامة^(٧): وهي من الوظائف الأصيلية، ومن أجل الوظائف الدينية على مر عصور التاريخ الإسلامي، وقد حرص سلاطين المماليك على أن لا يتولى الإمامة في مدن الحجاز إلا أئمة سُنّة هم في الغالب على المذهب الشافعي^(٨)، وكانت السلطة المملوكية تشرف على تعيين أئمة الحرم المكي الشريف بمرسوم سلطاني يُقرأ في الخطيم^(٩)

(١) الميساء: هي قرية كبيرة من قرى الطائف، قبل وادي لقيم للذهاب إليه، يسكنها جانب كبير من عشيرة الحمدة، وقد تعرف باسمهم، فيها نحو ستين منزلاً، ولعل نفوسها تناهز ثلاث مئة، وهي مشهورة في قرى الطائف بسفرجلها، وفيها كروم عنب ومزارع حنطة وشعير، وكان فيها عدة أبار جف بعضها، وهي تبعد عن الطائف نحو خمسة كيلو مترات، الزركلي: فيما رأيت وما سمعت، ص ٩٧، وذكر الفاسي بعض من أعلام الطائف يشتبهون إليها منهم عيسى بن محمد الميساوي الطائفي المكي قاضي الطائف، ولي نيابة الحكم بقرية الميساء بوادي الطائف عن القاضي محب الدين النويري ثم ولي ذلك عن أبيه، ثم عن القاضي جمال الدين بن ظهيرة، واستأبته في جميع بلاد الطائف ثم ولي ذلك عن القاضي عز الدين النويري، ثم قصره على قرية الميساء، تردد على مكة كثيراً، (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)، الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٣٧).

(٢) سوله: قلعه على رابية بوادي نخلة تحتمها عين جارية ونخل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣/٢٨٥)، البلادي: معجم معالم الحجاز،

ص ٨٥٢

(٣) النجم بن قهد: الدر الكمين، ص ٦٧، السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٦)، (٨/١٣٣)، السخاوي: التبر المسبوك (٣/١٣٩).

(٤) الحجر: جمع حُجرة، وهي كلمة مأخوذة من الحجر، أي الخروج من أرض إلى أخرى وانتقال الأفراد من مكان إلى آخر، وأصلها خروج البدوي من بادية إلى المدن. أحمد رضا: معجم متن اللغة، (٥/٦٠٠).

(٥) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٨٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢١٩).

(٧) الإمامة: في اللغة من أَمَّ القوم وأَمَّ بهم، أي تقدمهم، والإمام هو من يَمُّ المصلين في الصلوات المفروضة والعديد وغيرها من التوافل كصلاتي التراويح والقيام في رمضان، وكذلك الإمام هو من يصحح الاعتداء به. صالح بن حميد: تاريخ أمة في سير أئمة، (١/١٤٢).

(٨) ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٥٢.

بالمسجد الحرام بحضور القضاة والأعيان، حيث يباشر الإمام منصبه بعد قراءة المرسوم ولبسه للخلاعة، كما أن السلطان كان يعين أكثر من إمام لكل مقام بسبب المنافسة على الوظيفة، والعزل - كالتعيين - كذلك يكون من قبل السلطان^(١)، وقد يكون التعيين من جهة أمير مكة^(٢).

وقد شهدت الإمامة تطوراً ملحوظاً منذ منتصف القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر الميلادي حيث انتقلت ظاهرة تعدد الأئمة إلى مكة المكرمة بتعدد مقامات^(٣) الصلاة به^(٤)؛ فبعد أن كان في المسجد الحرام إمام واحد يؤم المصلين على المذهب الشافعي خلف الحجر الأسود، استحدث لكل أتباع مذهب إمام يؤمهم في الصلاة في مقامهم، فأصبح في المسجد الحرام أربعة أئمة سنة وخامس زيدي^(٥) في بعض الأحيان^(٦)، وكان قاضي المذهب هو الذي يتولى

=

(١) الخطيب: أو الجحر؛ وهو موضع من الكعبة المعظمة يقع في الناحية الشمالية الغربية، وكانت العرب في الجاهلية تتحالف وتحلف عدده، كما كانوا يطرحون بهذا الموضع ما عاقت به من الثياب فيبقى حتى تحطّم بحلول الزمان، فسُمي الموضع حطيمًا. الأزرقي: أخبار مكة، (٢٣٣/١)؛ الزبيدي: تاج العروس، (٢٥١/٨).

(٢) بدرية الغامدي: الأسرة الطبرية في مكة المكرمة، ص ٦٠؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ١٧٧.

(٣) صالح بن حميد: تاريخ أمة في سيرة أئمة، (١٥٤/١).

(٤) المقام: في اللغة هو موضع القدمين والجلس والجماعة من الناس، والمقصود هنا أحد المقامات الأربعة للمذاهب الفقهية الإسلامية، وهي بنايات صغيرة مواجهة للكعبة كانت تقام فيها الصلوات الخمس، وهي المقام الحنفي (البهاء الأكبر) بين الركنين الشامي والعراقي، والمقام الشافعي خلف مقام الخليل، والمقام الحنبلي تجاه الحجر الأسود، والمقام المالكي بين الركنين العراقي واليماني. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٣٣؛ الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٧٦٨/٢)؛ حسين بإسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٢٥.

(٥) أول من ذكر تعدد الأئمة في الحرم المكي بشكل منفصل هو الرحالة الأندلسي ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) فقال: "للحرم أربعة أئمة سنة، وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية، وأشرف أهل هذه البلدة على مذهبهم، وهم يزيدون في الأذان على حيّ على خير العمل، على إثر قول المؤذن: حيّ على الفلاح، ولا يجمعون مع الناس وإنما يصلون ظهرًا أربعًا، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتهم"، ابن جبير: رحلته المعروفة بالندوة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٧٨.

(٦) المذهب الزيدي: أتباع زيد بن علي الحسين بن علي عليه السلام، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل قاطمي عالم زاهد شجاع سخي، خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أو الحسين، كما كانوا يرون جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل، الشهرستاني: الملل والنحل، (١٥٤/١).

(٧) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٣٧. فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٦.

عادةً إمامة أهل مذهبه في الحرم، وقد يعهد السلطان إلى شخصين من مذهب واحد يتولى أحدهما الإمامة في مقام ذلك المذهب والآخر يتولى القضاء فيه^(١). وكان أئمة المقامات الأربعة يُعينون من قبل السلطان ولا يمارسون عملهم إلا بعد قراءة مرسوم تعيينهم في المسجد الحرام وبحضور جمع من أعيان مكة^(٢). وعلى الرغم من تعدد الأئمة والمقامات بالمسجد الحرام إلا أن السلطة المملوكية بالقاهرة كانت ترفض وجود إمام زيدي، وعندما كان يتجرأ أحد أمراء مكة المكرمة على تعيينه بين الحين والآخر كانت السلطة المملوكية تبادر بإصدار الأوامر بإيقافه^(٣).

وأما عن صفة أداء الصلوات المفروضة بالحرم المكي بوجود أربعة أئمة؛ فقد كانت تقام الصلاة الواحدة أربع مرات حيث يصلي أتباع كل مذهب خلف إمامهم، وكان يبدأ بالصلاة إمام المقام الشافعي خلف مقام إبراهيم^(٤) ثم يعقبه إمام المقام الذي يليه في الشيع وهو الحنفي ثم المالكي ثم الأقل أتباعاً وهو الحنبلي، وتُستثنى من الصلوات صلاة المغرب التي كانوا يصلونها في وقت واحد لقصر وقتها رغم ما يسببه ذلك من تداخل أصوات الأئمة واختلاف حركاتهم، وهو الأمر الذي دعا بعض سلاطين المماليك إلى منع تعدد الأئمة في صلاة المغرب؛ ومن ذلك ما حدث سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م عندما أبطل السلطان الناصر فرج^(٥) صلاة المالكي والحنفي والحنبلي في صلاة المغرب بسبب الضرر المترتب على المصلين

(١) طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، ص ٢٥٦.

(٢) نوال الفانز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء خلال العصر المملوكي، ص ٥٧.

(٣) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٣٥؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٢٥.

(٤) كان الإمام الشافعي يصلي أحياناً في مقام إبراهيم عليه السلام. عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٧٣.

(٥) هو الملك الناصر أبو السعادات زين الدين فرج بن برقوق بن أنص الجركسي البلغاوي العثماني المصري. ثاني سلاطين المماليك الجراكسة.

تبع بالسلطنة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م وعمره عشر سنوات، فقام بتدبير ملكه الأتابك إيشمش، وقد كثرت في عهده الفتن لفترة ثم انتظمت

له الأمور إلى سنة ٨١٤هـ/١٤١١م عندما نادى الأمراء بتخلعه فسجنوه في قلعة دمشق ثم أثبتوا عليه الكفر وقتلوه في صفر سنة

٨١٥هـ/١٤١٢م، وكان له من العمر ٢٤ سنة. ابن حجر: إنباء الغمر، (٧/٨٩)؛ المقرئ: السلوك، (٣/٢٨١).

من التَّشْوِيش واللبس عليهم أثناء الصلاة^(١)، وقد استمرَّ هذا المنع إلى موسم حج سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م فعاد الوضع على ما كان عليه بأمر السلطان المؤيد^(٢).

وأما في المسجد النبوي فعند أوائل العصر المملوكي ظلَّ الإمام الشافعي الإمام الأساسي للمسجد وهو الذي يؤدي الصلاة بالناس، وكثيراً ما كان يجمع إليه الخطابة أيضاً^(٣)، واستمرَّ الأمر كذلك إلى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حيث كانت البداية لتعدد الأئمة في المسجد النبوي حين سعى شيخ الحرم لدى السلطنة المملوكية في إحداث محراب للحنفية، وقد عارض أهل المدينة تعدد الأئمة بمسجدهم بقوة، غير أن المراسيم السلطانية صدرت سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م بإحداث محراب للحنفية إلى جانب محراب الشافعية^(٤)، ثم توالى ظاهرة تعدد الأئمة من المسجد الحرام إلى المسجد النبوي على المذاهب الفقهية الأربعة^(٥).

ومما يلاحظ حول وظيفة الإمامة في العصر المملوكي، وتَّسع تراجم العديد من العلماء في ذلك العصر، نلاحظ ما كان يُعرف في ذلك العصر بـ "إمامة الغلمان" الذين كانوا يحفظون القرآن ويحتمونه في تلك السنة، فإذا أتمَّ أحدهم الحفظ في أي وقت من أوقات السنة ظلَّ ينتظر حتى مجيء رمضان فيحضر إلى الحرم ويحضر معه شيخه الذي حفظه وأبوه وزملاؤه الذين يحفظون معه وبعض الأقارب، فيقوم الغلام بصلاة التراويح ويقرأ القرآن كله في أثناء الشهر أو أقلَّ بسماع شيخه

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤٦٦/٣).

(٢) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، (٥٠٩/٣)، والملك المؤيد هو أبو النصر شيخ بن عبد الله الجركسي الحمودي الظاهري. كان من كبار أمراء المماليك ثم تولى الأتابكية للخليفة العباس بن محمد سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، وصار مدبراً للمملكة وعاد معه إلى القاهرة ولم يلبث أن خلع العباس وتولى السلطنة في السنة نفسها. توفي بالقاهرة سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، وكان له من العمر ٦٥ سنة، وكانت مدة سلطنته ثمان سنوات. ابن حجر: إنباء الغمر، (٤٣٥/٧)؛ ابن تغري بردي: مود الطائفة في من ولي السلطنة والخلافة، (١٣٦/٢). "وقد جمع أخباره وسيرته، بدر الدين العيني، في كتاب أسماه "السيف المُنهد في سيرة ذكر سيرة الملك المؤيد".

(٣) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، (٥٠٩/٣).

(٤) حورية السملبي: الأسر العلمية في المدينة المنورة، ص ٣٣٦.

(٥) عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٣.

(٦) ريم السابح: الموطعون في المسجد النبوي، ص ٩٠.

والحاضرين، ويكنن ذلك بمنزلة اختبار له وشهادة منهم على حفظه، ثم يعمل له والده حفل بمناسبة ختمه ابنه للقرآن الكريم^(١).

٣- وظيفة الخطابة: وهي من الوظائف المرتبطة بالإمامة، والخطابة لغة من اختطبت يخطب خطبة وخطبة، والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب^(٢)، والخطيب هو من يقوم بأداء خطبة الجمعة والعيد والاسسقاء وخطبة عرفة^(٣). وتعد الخطابة من الوظائف ذات الارتباط الوثيق بسياسة الدولة وإن كان محتواها دينيًا متضمنًا للوعظ والإرشاد؛ فقد كان الخطيب يأمر الحاكم الذي يأمره بالدعاء للسلطان أو الأمير الذي يميل إليه بالولاء أو يرجو منه هبات مالية^(٤)، وقد أشار ابن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) إلى بعض ضوابط وشروط الخطابة بقوله: "لا بأس بالدعاء للسلطان ونحوه في الخطبة، فإن صلاحه صلاح للمسلمين، وأما الالتفات في الخطبة والدق على درج المنبر في صعوده، والدعاء إذا أنهى صعوده قبل أن يصل إلى الخراب، والمجازفة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والإسراع في الخطبة الثانية، كل ذلك مكروه"^(٥).

وأكثر ما يظهر الجانب السياسي في الخطابة في موسم الحج؛ فالخطابة بالرغم من غلبة الطابع الديني والتعليمي عليها من حيث الشرح الكامل لشرعية الحج وفوائدها، وتعليم الناس كيفية تأدية نسكهم، إلا أنها تحمل في طياتها كثيرًا من الأغراض السياسية والإعلامية والدعائية للحاكم الذي تتم تحت رعايته تأدية هذه الشعيرة الدينية، كما أن بعض الزعماء السياسيين يستغلون موسم الحج - وخصوصًا في المشاعر - لنشر آرائهم السياسية وبيان دعوتهم، لأن ذلك أسرع في كسب المناصرين وفي انتشار دعوتهم في الأقطار الإسلامية، لما للحجاج من أثر سياسي في أقاليمهم^(٦).

(١) صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٢٥٢).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، (١/٣٦١).

(٣) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٤٦.

(٤) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ٢١٠.

(٥) ابن طولون: قد الطالب لرغل المناصب، ص ١٥٨.

(٦) أميرة مداح: المشاعر المقدسة عبر العصور، ص ١٧٢.

وقد تعدّد الخطباء كما تعدّد الأئمة؛ فكان منهم الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي، وتولى هاتين الوظيفتين في العصر المملوكي كبار علماء السُّنة، وكاتباً - مثل معظم الوظائف الدينية في ذلك الوقت - من الوظائف المتوارثة في كثير من الأحيان، حيث اشتهرت بها عدد من البيوت التي تكاد تكون محصورة فيها، وبلغ الحرص على هذه الوظيفة واستمرار توارثها داخل الأسرة أن بعضهم كان يعهد بالوظيفة من بعده لابنه حتى لو لم يصل إلى السن المناسب لتوليها، فكان الوالد يولي من ينوب عن ابنه الصغير إلى حين بلوغه السن المناسب^(١)، وكان من مظاهر هذا الحرص كذلك أن بعض العلماء تحول من مذهبه الفقهي إلى مذهب آخر لتولي هذه الوظيفة^(٢). والخطابة كالإمامة؛ فقد كان التعيين في هذه الوظيفة يتم بمرسوم سلطاني وبحضور القضاة والأعيان، ويباشر الخطيب بعد قراءة المرسوم ولبسه للخلاعة، وكذلك العزل فقد كان يتم من قبل السلطان^(٣)، وبعد تعدّد المقامات وُجد نظام الاشتراك في الوظيفة الواحدة كالخطابة وغيرها لأكثر من شخص؛ فمنهم من تولى نصفها^(٤)، ومنهم من تولى الربع، وغالباً ما يكونون من الأقارب^(٥).

وأما عن الخطابة والإمامة في باقي المدن الحجازية فقد تولّاها بعض العلماء في المناطق التابعة لمكة المكرمة والمدينة المنورة كمدينتي جدة وبنبع والطائف وغيرها، وكان من العلماء من تولّاها في هذه المناطق نيابة، فكان يُجمع لهم بين الخطابة والإمامة وعقد الأئمة نيابة عن القضاة^(٦).

٤- وظيفة الأذان^(٧): يُعدّ الأذان من الشعائر المهمة في الإسلام، فهو وسيلة الإعلام بدخول الوقت ودعوة الناس لأداء الصلاة^(٨)، وهو من الوظائف اللازمة في المساجد والجوامع والمدارس والخواق والأربطة، وغيرها من المؤسسات

(١) السخاوي: الثبر المسبوك، (٢/٢٢٠).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٣).

(٣) بدرية الغامدي: الأسرة الطبرية في مكة المكرمة، ص ٦٠؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ١٧٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٩٤).

(٥) النجم ابن فهد: الدر الكمين، (١/٥٣٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٩٨).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٢٣٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢١١)، (٨/٢٩٩).

(٧) أما عن تشريع الأذان "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحينون الصلاة ليس ينادي لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم:

اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولاً تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فناد بالصلاة" البخاري: الصحيح، ص ١٥٤، "كتاب الأذان"، كما جاء في إبداء تشريع الأذان

الدينية التي تقام فيها الصلاة ويؤذن فيها للصلاة^(١). وكان التعيين في هذه الوظيفة يتم من قبل السلطان المملوكي في القاهرة والقاضي الشافعي بالحرم وأmir الأتراك (المماليك) المقيم بمكة^(٢)، وكان للمؤذنين رئيس يدعى "رئيس المؤذنين" أو "الرئيس"، كما كان يطلق عليه أحياناً "المؤذن الزمزمي"^(٣) لأنه يؤذن من على قبة زمزم^(٤)، وهو الذي يبدأ بالأذان ثم يتبعه باقي المؤذنين الذين يؤذنون من منائر المسجد الحرام، وكان الرئيس يهتم بشؤون المؤذنين والتأكد من وجود كل مؤذن في منارته وقت الأذان^(٥)، إلى جانب عدد من المهام التي أضيفت إليه في العصر المملوكي، منها الدعاء للسلطان من على قبة زمزم^(٦)، والدعاء لأمير مكة عند التولية على نفس القبة^(٧)، أو لمن يريد أمير مكة الدعاء له من أسرته^(٨)، ومنها النداء للصلاة على من مات من الأشراف أو عند موت أحد الأعيان^(٩)، ومنها الصدح بالمدايح النبوية في المناسبات الدينية^(١٠).

عندما هم النبي ﷺ حين قدم المدينة أن يجعل بوقاً يهتفون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالنافوس فنهت ليضرب به للمسلمين للصلاة، وبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد ﷺ رؤيا النداء فأثنى النبي ﷺ وأخبره فقال ﷺ: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم إلى بلال فألقها إليه فليؤذن بها فإنه أئدى منك صوتاً". ابن هشام: السيرة النبوية، (١٥٠/٢).

(١) هدى عبد الفتاح: معجم مصطلحات الحرف والفنون، ص ٥٥.

(٢) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (١٦٦/٣).

(٣) ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠١؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ٨٨.

(٤) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٨٧.

(٥) قبة زمزم: هي بيت مربع وفي جدرانه ثمانية شبابيك ثلاثة مواجهة للكعبة، وثلاثة جهة المدرج، واثنان بجانب الباب، والباب في وسط، وفي هذين الشباكين حوضان تملآن من زمزم للشراب، وفوق قبة البئر بيت آخر مقام على أعمدة لشيخ زمزم أي: رئيس المؤذنين يصعد إليه بدرج من جهة مقام الحبلي فيطلع رئيس المؤذنين وهو شيخ زمزم ليؤذن ويتبعه سائر المؤذنين في جميع الأوقات، الكردي: التاريخ القويم، (٥٣٥/٢).

(٦) حسن مقابلة: الرسوليون والمماليك في الحجاز، ص ٨٩.

(٧) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ٢٨٩.

(٨) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣٤٨/٤).

(٩) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ١٧٤؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ٢٨٨.

(١٠) الفاسي: العقد الثمين، (٢٠٠/٢)؛ ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٦٣.

(١١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٨٣٣/٢).

وأما الأذان بمكة في غير المسجد الحرام، أي على منائر المساجد الأخرى الواقعة على جبال مكة خاصة؛ فقد كان للمؤذنين على هذه الجبال جامكية^(١) يسيرة تصل من القاهرة مع ما يصل لمؤذني المسجد الحرام وأرباب الوظائف به^(٢)، وقد حذدت وثيقة السلطان الأشرف شعبان^(٣) أربعة مؤذنين غير مؤذني المسجد الحرام تكون وظيفتهم إعلان الأذان بالجبال الأربعة المحيطة بمكة وتولون تبليغ الأذان للأماكن البعيدة، واشترطت الوثيقة أن يدعو هؤلاء المؤذنين في وقت السحر للسلطان الواقف ولجميع المسلمين^(٤). وأما عن المسجد النبوي فقد كان له في العصر المملوكي أربعة منائر على أركانه وخامسة للمدرسة الأشرفية، فكان رئيس المؤذنين يؤذن من منارة باب السلام، وهي المنارة الرئيسية القريبة من الحجرة النبوية^(٥)، وبلغ عدد المؤذنين في المسجد النبوي أكثر من عشرين مؤذن، بكل منارة خمس من المؤذنين، يزيد عددهم بالاشتراك^(٦)، وقد ينوب أحد المؤذنين عن الرئيس عند غيابه^(٧).

٥- وظيفة المكبر: ومن الوظائف الأصلية وظيفة "المكبرون" أو "المبلغون"، وهي من الوظائف الدينية التي كانت تابعة للآئمة المقامات الأربعة، حيث كان كل إمام يحتاج إلى مكبر أو أكثر، وكان هؤلاء المكبرون غالباً من المؤذنين، وكانت

(١) الجامكية: من الألفاظ الفارسية المستعربة، والكلمة مشتق من "جامه" بمعنى اللباس. وترد هذه الكلمة في النصوص التاريخية بمعنى الأجر أو الراتب أو المصلحة. السيد أدبي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٤٥؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٥١.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، (٣٩٨/١).

(٣) هو الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التركي المصري. تولى السلطنة بعد عمه المنصور محمد سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م وعمره عشر سنين، وقام الأمير بلبغا العمري بتدبير ملكه إلى أن قُتل بلبغا فصفوا الحال للملك الأشرف حتى قُتل في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م وكان له من العمر ٢٤ سنة. ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٩٩/٢)؛ ابن تقي بردي: الدليل الشافي، (٣٤٣/١).

(٤) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ٩٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥١/١).

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥١/١).

(٧) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، (٣٥٤/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٤/٤).

وظائفهم تزيد التكبيرات وراء الإمام، إذ إن صوت الإمام ربما لا يسمعه جميع المأمومين، وكان عدد المكبرين يزيد بزيادة عدد المأمومين^(١).

٦- وظيفة المؤقت: وهي وظيفة أصلية ارتبطت بتحديد رفع الأذان في المساجد والإعلام بوقت الصلوات المفروضة، وكذلك صلاة العيدين والاستسقاء، وكان يطلق في الغالب على منولى هذه الوظيفة "الميقاتي" أو "المؤقت" أو "الميعاد"^(٢)، وترتبط هذه الوظيفة في الغالب بالحرمين الشريفين وغيرها من المساجد الكبيرة في مدن الحجاز، حيث كان يتم تعيين مؤقت مهمته تحديد موعد الأذان وإقامة الصلاة، وكانت لها أهميتها الكبيرة في ذلك العصر إذ كان رئيس المؤذنين يعتمد عليها في تحديد شروعه في الأذان وتبعه في ذلك بقية المؤذنين^(٣)، وكان من شروط منولى هذه الوظيفة الإمام بعلم الهيئة^(٤) وبجهة القبلة، خاصة في المساجد البعيدة عن الحرمين الشريفين.

٧- وظيفة الإفتاء: وظيفة الإفتاء والفقوى هي من الوظائف الدينية المهمة التي تبيين الحكم الشرعي لمن سأل عنه، وهي في حقيقتها الإخبار بحكم الله تعالى في الوقائع بدليله^(٥). وتكمن أهمية هذه الوظيفة فيما يترتب عليها من إجابة السائلين في الأحكام والمسائل الشرعية وأمورهم الدينية والدنيوية^(٦)، هذا فضلاً عما يترتب عليه من أمور مهمة على المستوى السياسي للدولة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو^(٧)، وقد كان لها دور في دعم أحكام القضاة، وهي مهمة في تنظيم النواحي الاقتصادية مثل أحكام البيوع والدين والوقف وغيرها من المعاملات الاقتصادية، إلى جانب إسهامها في معالجة العديد من الجوانب الاجتماعية كالنكاح والطلاق والميراث^(٨). ولأهمية هذه الوظيفة فقد كان يلزم لمن تصدى لها أن

(١) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، ص ٦١.

(٢) ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٦٥.

(٣) خلود الهدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ١٩٨.

(٤) علم الهيئة: هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويسدّل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية معينة. ابن خلدون: كتاب العبر، (١/٢٦٠).

(٥) عبد الله آل خنين: الفتوى في الشريعة، ص ٢٨.

(٦) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١١١٦)؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٨٤.

(٧) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/٨٠٨).

(٨) حمد الحزيمي: المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة خلال الفترة (٩٢٣-١٣٤٣هـ/١٥١٧-١٩٢٤م)، رسالة ماجستير =

يكون عالماً متمكناً في علم الفقه وأصوله خاصة، وفي غيرها من العلوم الشرعية الأخرى، هذا إلى جانب اشتراط حصول المفتي على إذن بالفتوى وذلك بإجازة عدد من العلماء له^(١).

وقد زادت أهمية الفتوى بعد سيطرة المذاهب الفقهية الأربعة على مختلف الجوانب الحياتية^(٢)، والذي أذى بدوره إلى تعدد القضاة وأئمة المقامات فتولد عن ذلك التنوع اختلاف في الأحكام من مذهب إلى مذهب، ولهذا فقد كانت الفتوى تُسند في الغالب إلى قضاة المذاهب الأربعة لأنهم كانوا الأكثر علماً، وكانت تكتب فتاواهم إلى جانب من اشتهر بالفتوى من العلماء الآخرين^(٣). ومن جهة أخرى فإن وظيفة الفتوى كانت تزداد أهميتها في الحجاز في موسم الحج خاصة، حيث يقدم آلاف المسلمين إلى مكة والمشاعر المقدسة لأداء مناسك الحج ثم إلى المدينة المنورة للصلاة في مسجد النبي ﷺ، فكان يتصدّر العلماء والفقهاء للإفتاء وبيان المناسك والأحكام^(٤)، وكان من العلماء والفقهاء من يجلس للفتوى في موسم الحج ويكون مقصداً للحجاج ممن التبس عليهم أمر من أمور المناسك^(٥)، ولم تقتصر الفتوى في مواسم الحج على فقهاء مكة والمدينة المحليين، بل كان علماء بعض الأمصار الإسلامية يحجون وفتون الناس خلال حجهم^(٦). والذي يمكن توكيده هنا أن فتاوى القضاة الأربعة وغيرهم من العلماء الراسخين في العلم كانت تدون وتعم على الناس في أقاليم الحجاز كافة، وأما ما دون هؤلاء فلم تكن فتاواهم تدون ولا تعم بل يكفي فيها السماع فقط و كانوا يحضون بالتقدير في مجتمعاتهم^(٧).

غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م، ص ١٦٣.

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١١١٧).

(٢) ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٢٥٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٣٩)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٧٦؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٢٢.

(٤) إبراهيم الجديع: النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي، ص ٩٣.

(٥) أميرة مداح: المشاعر المقدسة عبر العصور، ص ١٦٤.

(٦) إبراهيم الجديع: النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي، ص ١١٣.

(٧) حمد الحزيمي: المقامات في المسجد الحرام، ص ١٦٤.

٨- وظيفة الحسبة: وهي وظيفة تُعنى بالأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن منكر إذا ظهر فعله^(١)، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَأُمُورٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، ومنهم من عرفه بأنه "أمرًا معروف ونهيًا عن المنكر وإصلاحًا بين الناس"^(٣). وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية ارتباط الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: "إذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعث به هو النهي عن المنكر"^(٤). ويقال للمحسب: صاحب الحسبة ومسؤول الحسبة وناظر الحسبة ووالي الحسبة^(٥). وقد بين القلقشندي أهمية الحسبة بقوله: "فالحسبة هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن، موضوعها هو التحدث في الأمر والنهي، والتحدث في المعاش والصنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته"^(٦).

وهذه الوظيفة هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، وتعد من الوظائف الهامة المتعلقة بالأسواق والإشراف على المكاييل والموازين وإزالة المنكرات^(٧)، وأمر العامة بأداء الصلوات الخمس في جماعة، وبصدق الحديث، وأداء الأمانات، ومنع الغش في الصناعات والبيع وغيرهما^(٨). وللمحسب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاية والقضاء ونحوهم^(٩)، وقد تشعب وتضيق سلطات المحسب وفق ما تكون عليه اختصاصاته من سعة وضيق إلا أن سلطته لا تخرج إجمالاً عن ما يُعرف بالتعزير^(١٠)، فله أن يستخدم ما يراه من صور التعزير ملائماً للأمر

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٣١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٦.

(٤) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ص ١١؛ محمد إمام: أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٧.

(٥) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١٠٣٠).

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، (٤/٣٧).

(٧) مجموعة مؤلفين: ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحسب، ص ٢٢؛ ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٦٦٨.

(٨) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ص ١٦.

(٩) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ص ١٧.

(١٠) التعزير: هو عقوبة غير مقدرة تجب حقاً لله تعالى أو لأدمي في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة. وأما في مجال الحسبة فهي زجر =

بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الظروف في كل حالة^(١)، ولهذا فقد اشترط على المحتسب أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه^(٢)، كما اشترط بعضهم أن يكون عفيفاً خيراً، عارفاً بالأمور، لا يوتشي^(٣)، حراً عدلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات^(٤).

ولما كانت الحسبة بهذه الأهمية ضمن الوظائف العامة، فإن التعيين فيها كان في غالب الأحيان من قبل السلطة المملوكية بالقاهرة، وكان يصل أمر التعيين بمرسوم يقرأ في المسجد الحرام أو المسجد النبوي بحضور القضاة والأعيان، شأنها في ذلك شأن باقي الوظائف الدينية الأخرى المهمة، والعزل - كالتعيين - يكون من السلطان كذلك، إلا أنه في بعض الأحيان كان يُعهد لأمر مكة بأمر التعيين والعزل معاً^(٥). وكان الاختيار قديماً يقع على الصالحين وأهل العلم إلا أنه منذ منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي - وتحديدًا في عصر المعاليك الجراكسة (٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ/١٣٨٢م - ١٥١٧م) - أصبح يتولاها أمراء عسكريون من المعاليك^(٦)، وهم في الغالب أمراء الترك الراكزين^(٧) الذين جمعوا بين الحسبة وباشية مكة^(٨)، وقد استعان هؤلاء الأمراء بالأعوان والنواب ليساعدوهم على إتمام العمل نتيجة لكثرة مهام المحتسب^(٩).

وتأديب في المنكرات التي ليس فيها حد في الشرع، سواء وقع الفعل على حق الله تعالى كترك الصلاة والصوم، أو على حق العباد بأن أذى مسلماً بغير حق، أو على حق مشترك بين الله والعبد، محمد إمام: أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٠٢.

(١) محمد إمام: أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٠٢.

(٢) الشبزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٢١٣.

(٣) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة، ص ١٩٢.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٣١٥.

(٥) التجم بن فهد: الدر الكمين، ٤٢٥.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٧٣/٣)؛ ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٦٧٠.

(٧) سيأتي الحديث عن وظيفة الأمير الراكز عند تفصيل الحديث عن الوظائف الوافدة.

(٨) التجم بن فهد: الدر الكمين، ٢١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٧٣/٣)، (١٠/٤).

(٩) محمد السلمي: الأسرة الظهيرية في مكة المكرمة، ص ١٤٣.

٩- وظيفة السدانة: أو الحجابة؛ وهي في الجمل خدمة الكعبة المشرفة بتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه^(١)، هذا إلى جانب العناية بتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح الكسوة إذا تمزقت، واستقبال زوارها، والنظر في كل ما يتعلق بأمورها^(٢). وتعد الحجابة من الوظائف الإدارية القديمة التي يعود تاريخها إلى بداية بناء الكعبة نفسها^(٣)، وهي في بني شيبه منذ ما قبل الإسلام ثم أقرهم عليها النبي ﷺ يوم فتح مكة وأعطاهم مفتاح الكعبة وجعلها متوارثة فيهم إلى قيام الساعة^(٤). وما استحدث في هذه الوظيفة خلال العصر المملوكي هو ظهور منصب "شيخ السدنة" سنة ١٢٥٧هـ/١٢٥٩م، وذلك عندما تولاه "إدريس الشيبه"^(٥)، وربما استعان شيخ السدنة بمن يتوب عنه عند غيابه^(٦)، وقد استمر هذا اللقب يُطلق على من يتولى السدانة حتى الوقت الحاضر^(٧).

ولما كانت الحجابة من أشرف الوظائف وأعلاها مكانة ضمن وظائف الحرم المكي الشريف، وما أن السلطنة المملوكية في القاهرة كانت حريصة على أن يكون لها التعيين في مثل هذه الوظائف الجليلة؛ فقد كان التعيين عليها يتم بمرسوم سلطاني يصدر من القاهرة لمن يقع عليه الاختيار من آل بيت الشيبه^(٨)، غير أنه كان يفوض شريف مكة في بعض الأحيان في تولية وعزل من يتولى هذه الوظيفة^(٩). وأما بخصوص نظام من يتولى هذه الوظيفة من قبل أبناء بيت الشيبه فلم يكن

(١) الصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام، (١/٢٥٥).

(٢) أحمد مصطفى: أسرار الكعبة المشرفة، ص ٢٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (١/٢٥٩).

(٤) الأزرقي: أخبار مكة، (١/٣٧١).

(٥) هو أبو غانم إدريس بن غانم بن مفرج الشيبه البغدادي المكي، شيخ الحجة وفاتح الكعبة، كان متولياً لفتح الكعبة سنة ١٢٥٧هـ/١٢٥٨م.

ابن تقي بريدي: المنهل الصافي، (٢/٢٨٦).

(٦) محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، مجلة العصور، المجلد الخامس، الجزء الثاني، ذو الحجة،

١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٢٩٦.

(٧) أحمد الرعي: مظاهر العناية بالكعبة المشرفة منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

القصيم، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م، ص ١٣٣.

(٨) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٢٧٠).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٩٣)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٢٧٠).

الأمر قائم على التوارث بحيث يرث الابن أباه، بل يتولاها الأكبر سنًا والأجدر بالمتصب^(١). وكان الشيبين حريصين على أداء مهمتهم المسندة إليهم في العصر المملوكي من فتح باب الكعبة وإغلاقه وحفظ مفتاح الكعبة لديهم^(٢)، والمشاركة في غسل البيت^(٣)، وتفقد الكعبة وما تحتاج إليه من إصلاحات وأعمال تتم داخلها^(٤)، واستلام الكسوة الجديدة التي كانت تُبعث مع الركب المصري واستبدالها بالكسوة القديمة^(٥).

١٠- وظيفة البواب: ويقصد به حارس الباب أو حافظه، وهو الحاجب^(٦)، والمقصود بالبوابين في هذا الموضع من الحديث هم القائمون على خدمة أبواب المساجد ومراقبة دخول المصلين وخروجهم منه^(٧)، وهي وظيفة تستوجب على أصحابها ملازمة الباب ليلاً ونهاراً، وهي من الوظائف الضرورية للمسجد الحرام والمسجد النبوي خاصة ومساجد الحجاز عامة والتي كان لبعضها أبواباً متعددة^(٨). وقد أسندت هذه الوظيفة للقضاة على الرغم من أن هذه الوظيفة لا تحتاج إلى إجازة علمية بل فقط كفاءة على أداء العمل، ولم يشترط التفريغ لهذه الوظيفة إلا مرسوم سلطاني صدر سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م باستبعاد القضاة من هذه الوظيفة حيث لم يكونوا قادرين على القيام بأعبائها إلى جانب وظائفهم، ونص على أن تسند إلى من ليس له حرفة ولا صناعة ولا شغل من الفقراء والمساكين، كما نص هذا المرسوم على ملازمة الأبواب وعدم الغياب عنها إلا للضرورة^(٩).

(١) الصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام، (١/٣٢٨).

(٢) أحمد الرعي: مظاهر العناية بالكعبة، ص ١٣٨.

(٣) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢/٢١٢)؛ العز بن فهد: بلوغ القري، (٢/٥٤٠).

(٤) العز بن فهد: بلوغ القري، (٣/٥٩٧).

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، (١/٢٠٩)؛ أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي ص ٢٧٧.

(٦) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (١/٢٦٠).

(٧) صالح بن حميد: تاريخ أمة في سير أئمة، (١/٢٢٨).

(٨) ذكر تقي الدين الفاسي أن المسجد الحرام كانت له تسعة عشر باباً، وذكر السخاوي أن المسجد النبوي كانت له أربعة أبواب. الفاسي:

شفاء الغرام، (١/٣٩٢)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٥٠).

(٩) المقرئ: السلوك، (٧/١٥٦)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٦٤٥).

١١- وظيفة نائب الحرم: وهي من الوظائف الإدارية الهامة المتعلقة بالمسجد الحرام، حيث يقوم صاحبها بمراقبة الموظفين من أئمة وخطباء وبوابين وفراشين وكناسين وغيرهم، وهي غير مشيخة الحرم الأعلى مكانة، حيث إن نائب الحرم قد يتوب عن شيخ الحرم في بعض الأمور أو في حال انشغاله، وهذه الوظيفة هي في حقيقتها نيابة عن أمير مكة في إدارة شؤون المسجد الحرام، وعنده أوامر سلطانية بذلك^(١).

١٢- وظيفة الوقاد: وهو الذي يضع الزيت في قناديل المسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرهما من المساجد، ثم يشعلها لتضيء جوانبه ليلاً^(٢)، فهم المتولون لأعمال الإضاءة في الحرمين الشريفين وفي غيرها من المساجد^(٣)، وكان يشترط في الوقاد أن يكون عارفاً بمقدار الزيت الذي تحتاجه القناديل إلى وقت طلوع الفجر، وأن يكون ثقة وقوياً أميناً قادراً على العمل^(٤). وقد لقيت إضاءة المساجد اهتماماً واضحاً منذ فجر الإسلام، وكان الصحابي تميم الداري^(٥) أول من أسرج المساجد^(٦)، وقد اعتنى حكام المسلمين على مختلف العصور بوظيفة الوقادة، وكان من مظاهر هذا الاهتمام أن عينوا لها فئة مخصوصة تعنى بخدمة المساجد ومرافقتها تحت إشرافهم المباشر، وحددت لهم مرتبات شهرية تدفع لهم، وامتد الاهتمام بالإضاءة حتى العصر المملوكي حيث أصبح العاملين بها يعرفون بالوقادين، وزاد عدد القوام الذين يتولون العناية بالقناديل في المسجد الحرام والمسجد النبوي وأصبح لهم شيخ مسؤول عنهم يعرف بـ "شيخ الوقادين"، ولكن هذه المشيخة لم تكن مخصوصة ببيت واحد من قديم الزمان^(٧). وكان من مهام شيخ الوقادين تنظيم أمور الوقادين ومراقبة

(١) حمد الحزني: المقامات في المسجد الحرام، ص ١٥٣؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢٧٨.

(٢) محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص ٣٠٩؛ قال الفائق: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٦٤.

(٣) صالح بن حميد: تاريخ أمة في سير أئمة، (٢٠٤/١).

(٤) ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٩٧؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢٠٦.

(٥) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري اللخمي الشامي ثم المدني. صحابي جليل. كان نصرانياً ثم أسلم سنة ٦٣٠م وأقطعته

النبي ﷺ قرية حبرون بفلسطين. انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فنزل ببيت المقدس، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد النبوي.

كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين. توفي بفلسطين سنة ٦٦٠م. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

(١٩٣/١). ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٨١/١).

(٦) الككاوي: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (١٣٠/١)؛ صالح الرعي: الإضاءة في الحرمين، ص ٧٠.

(٧) الطبري: الأراج المسكي في التاريخ المكي، ص ١٨٨؛ صالح الرعي: الإضاءة في الحرمين، ص ٧٢.

أعمالهم والإشراف على أدوات الوقادة والإثارة وما يختص بحاصل المسجد الحرام من زيت وشمع وقناديل وغير ذلك، وصرفها حسب الحاجة دون إسراف أو إهمال^(١)، وكان من مهام الوقادين الأساسية إخراج الشمع وتعمير القناديل بالزيت نهاراً وإسراجها بعد المغرب ثم إطفائها صباحاً بعد صلاة الفجر، وغسل القناديل وتنظيفها باستمرار، وإخراج الزيت من المخزن وإعادة ما زاد منه، كما كان من مهامهم حصر ما يرد للمسجد من مال وقناديل وزيت وشمع وآلات وغيرها^(٢)، لاسيما إذا علمنا أن كثير من الهدايا المتعلقة بالإضاءة كانت تصل إلى الحرمين الشريفين من الحكام المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، فقد قدموا الكثير من القناديل الذهبية والفضية والشمعدانات الثمينة والزيت وجميع ما يخص جانب الإضاءة^(٣).

تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك مناسبات مستثناة تزداد فيها الإضاءة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وقد تصل إلى خارج حدود الحرمين الشريفين، وكان يحدث ذلك في أوائل الشهور الهجرية وفي العيدين وشهر رمضان ومواسم الحج والعمرة والزبارة وغيرها^(٤)، وقد يشمل إيقاد القناديل والشموع في الشوارع والمسعى والحللات التجارية احتفاءً بقدوم أحد الأمراء المماليك أو الشخصيات المهمة^(٥).

١٣- وظيفة حاكم السوق: وهي من الوظائف الإدارية التي كانت وثيقة الصلة بالنشاط التجاري، وكانت مهمة صاحبها الإشراف على كل ما يحدث في الأسواق وتنظيمها. وكان يلحق بهذه الوظيفة، وظيفة أخرى مرتبطة بها وهي وظيفة كاتب الضبط، ومهمة متولّيها ضبط وكتابة ما كان يحصل في الأسواق من مكوس وضرائب وغيرها^(٦).

(١) نوال الفاتن: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٦٤.

(٢) ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٢٢٢؛ فوزي ساعاتي: أسماء الذين تولوا الوظائف الدينية والإدارية، ص ١٤٧.

(٣) صالح الرعي: الإضاءة في الحرمين، ص ٩١؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٢٢٢.

(٤) الديلم بن فهد: إتحاف الوري، (٢/٥٢٨)؛ نوال الفاتن: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٦٤.

(٥) صالح الرعي: الإضاءة في الحرمين، ص ١١٢.

(٦) صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات، ص ٢٣٩.

ثالثاً: الوظائف الوافدة: أي تلك الوظائف التي جلبها معهم المهاجرون والوافدون للحج والعمرة والزبارة والحجورة، ثم غدت تُنافس تلك الأصلية التي كانت موجودة في الحجاز أصلاً، وقد شاعت الوظائف الوافدة في الحجاز وعمل بها بعض العلماء، ولعل من أهمها في العصر المملوكي:

١- وظيفة نظر جدة: وهي من الوظائف المالية^(١) التي استحدثت في العصر الأيوبي ثم استمرت حتى العصر المملوكي^(٢)، وكان التعيين فيها يتم من قبل أمراء مكة ثم طرأ عليها تطوراً ملحوظاً بدأ منذ عهد السلطان الأشرف برسبائي^(٣) في حدود سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م حين أصبح نظر مدينة جدة وظيفة سلطانية يُعين متوليها بمرسوم سلطاني يختاره السلطان ويخضع عليه، ويكون في الغالب من كبار الموظفين المدنيين لاسيما من القضاة^(٤)، واستمر الأمر كذلك حتى سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م حين تحول نظر جدة إلى وظيفة عسكرية يولاهها أحد أمراء المماليك من ذوي الرتب العسكرية^(٥)، ولم يكن متولي هذه الوظيفة ملزماً بالبقاء في الحجاز عموماً أو في مدينة جدة على وجه الخصوص، بل كان يأتي إليها وقت الحاجة عندما يطلب السلطان في القاهرة منه ذلك، وكانت مهمة الناظر الأساسية هي جباية المكوس من التجار والحجاج القادمين إلى ميناء جدة لصالح أمراء مكة قبل قيام الدولة المملوكية، وفي العصر المملوكي سعى سلاطين المماليك إلى تنصيب نائب لهم في مدينة جدة تكون مرجعيته القاهرة^(٦)، وعززوه بقوة عسكرية لتساعده على أداء مهامه في تحصيل

(١) ابن ماتي: قوانين الدواوين، ص ٢٩٨.

(٢) حسن مقابلة: الرسولين والمماليك في الحجاز، ص ٧٢.

(٣) هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين برسبائي بن عبد الله الدقماقي الظاهري الجركسي. أعتقه الملك الظاهر برقوق ثم ترقى في المناصب العسكرية والإدارية إلى أن تسلط سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م. كان ملكاً مبدعاً، منقاداً للشرعة، يحب أهل العلم، ويرى للجهد، حيث غزا قبرص وافتتحها وأسر ملكها سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، كما عمر المدارس والأوقاف ونماها. توفي بالقاهرة سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م. المقرري: السلوك في معرفة دول الملوك، (٣/٤٤٠)؛ ابن تغري بردي: مورد الطائفة فيمن ولي السلطنة والخلافة، (١٥١/٢).

(٤) العز بن فهد: بلوغ القري، (٥٦٥/٢).

(٥) علي محمود: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ٨٠.

(٦) خالد الثقفي: المكوس في الحجاز، ص ٢٠٢.

الرسوم الجمركية^(١)، ثم تطور أمر هذه الوظيفة فأوكل السلطان لناظر جدة مهمة جباية أموال التجار ممن قضوا نخبهم في بلاد الحجاز أو في الطريق إليها^(٢)، وقد أشار إلى ذلك المرسوم الذي صدر سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م، وكان من ضمن ما ورد فيه: "أن جميع من يموت بمكة المكرمة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء وإنما ميراثه لصاحب مصر، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة"^(٣)، ثم لم يلبث الأمر طويلاً حتى جعل السلطان لأمير مكة نصيباً من هذه الأموال بمرسوم سلطاني جديد صدر سنة ٨٨١هـ/١٤٣٩م، وكان من ضمن ما ورد فيه: "من مات بمكة المكرمة ولم يكن له وارث يكون من أشرفي"^(٤) إلى ألف للشريف، وما فوق ذلك للسلطان"^(٥). كما كلف ناظر جدة بضبط العشور والتأكد من عدم وجود أشياء لم تعشر، وببضح ذلك من مرسوم سلطاني صدر سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م كان مما ورد فيه: "... وأن الذبش^(٦) يدسون فيه شيئاً كثيراً لم يعشر، والمقصود ببحرصون في ذلك، وأن بعض الأشياء لأناس لم تعشر فتضبطون لنا هذا وتعرفونا به"^(٧)، وكلف ناظر جدة كذلك بإلزام التجار بدفع رسوم إضافية كرواتب للموظفين الذين كانوا يساعدون الناظر في عمله، مثل الشاد والقباني والصيرفي وغيرهم^(٨).

ولما كانت هذه الوظيفة من الوظائف السلطانية العالية المكانة، فإن التعيين والعزل والإقرار فيها كان من قبل السلطان المملوكي، وكانت مراسيم تعيين نائب جدة أو إقراره على وظيفته تأتي ضمن مرسوم تولية أو إقرار أمير مكة ورئيس قضائتها، حيث كان ضمن المرسوم التوصية بنائب جدة ومساعدته للقيام بالمهام المكلف بها، ومن نماذج هذه

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٩٢١/٣)؛ هند الضيف: أسواق الحجاز، ص ١٥١.

(٢) خالد التفقي: المكوس في بلاد الحجاز، ص ٢٠١.

(٣) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، (١٤٣/٣).

(٤) الأشرفي: هو الديار المنسوب إلى السلطان المملوكي الأشرف برسباي والذي راجح في الحجاز منذ سكه سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م إلى نهاية العصر المملوكي، وقد ضرب ليحل محل العملة الإفرنجية. فاطمة المباركي: الأزمات الاقتصادية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ص ٤٤.

(٥) العز بن فهد: غاية المرام، (٥٢٣/٢).

(٦) الذبش: مفرد أدبش؛ وهو أثاث البيت وسقط مآعه. الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٢٧٠/١).

(٧) العز بن فهد: بلوغ القري، (٥٧٣/٢).

(٨) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٨٠/٣)؛ حسن مقابلة: الرسولين والمماليك في الحجاز، ص ٧٢.

التوصيات الواردة في المراسيم السلطانية المرسلة إلى أمير مكة ما ورد سنة ٨٨١هـ/١٤٣٩م بأن "لا يعارض في شيء مما يريد، وأنه من المقربين لنا"^(١)، وكانت هذه التوصيات السلطانية مما يؤكد على مكانة نائب جدة وأهمية المهام التي كان يقوم بها^(٢). ويبدو للباحث أن ما كان يشهده ميناء جدة والمدينة ذاتها من ازدهار ملحوظ في النشاط التجاري بحكم موقعها الهام على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، فضلاً عن كونها بوابة مكة المكرمة قد جعلها تحظى باهتمام السلطان المملوكي في القاهرة وبالتالي اختار لها هذه الوظيفة التي تعد من الوظائف الوافدة على الحجاز عامة وجدة خاصة.

٢- وظيفة شاذ العماثر: والشاذ^(٣) اسم فاعل من شذ بمعنى قفى أو أوثق، وقد شاع استخدام هذا اللفظ في دولة المماليك للدلالة على موظف كان له حق التقوية بالهيمنة على كل السلطات من سيطرة ومراقبة وإشراف وتفتيش ومعاونة وتوجيه وتعمير واستثمار وغير ذلك، وربما قيل له المشد^(٤). وصاحب هذه الوظيفة - سواء في مصر أو في الحجاز - يكون في الغالب من أمراء العشرات^(٥)، وينفذ رغبة السلطان فيما يتم إحداثه أو تجديده من المنازل أو القصور والأسوار والمساجد وغير ذلك^(٦)، ولهذا كان يراعى عند اختيار صاحب الوظيفة أن يكون من العارفين بالهندسة والبناء وذوي العفة والأمانة^(٧). وكانت من أبرز المهام التي يكلف بها شاذ العماثر في الحجاز هو تنفيذ ما يأمر السلطان بعمارة أو

(١) العز بن فهد: غاية المرام، (٢/٥٢٣).

(٢) العز بن فهد: بلوغ القري، (٢/٥٠٥).

(٣) استخدمت كلمة "الشاذ" في العصر المملوكي للدلالة على وظائف مختلفة كانت كل منها تحدد اختصاصها بحسب نوع الشذ الذي يتولاه الموظف، وكثيراً ما أضيفت كلمة شاذ إلى اسم الإدارة أو الجهة التي يتولى الموظف شذها، وقد عرفت دولة المماليك أنواع كثيرة من الشاذين مثل شاذ الأحباس وشاذ الأوقاف وغيرهما. حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٢/٦٠٤).

(٤) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٢/٦٠٤).

(٥) أمراء العشرات: هي الرتبة الثالثة من رتب الأمراء في الجيش المملوكي، يكون في خدمة صاحبها عشرة ممالك على الأقل، وقد يصلون إلى عشرين مملوكاً، مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب أمراء المنين

التاريخية، ص ٤٧

(٦) محمد العمارة: المعجم العسكري المملوكي، ص ١٧٨.

(٧) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٢/٦١٧).

تجديده في مكة^(١)، وكانت مهامه متممة لمهام من يتولى وظيفة ناظر الحرم والذي كان في الغالب يشرف على الإصلاحات المتعلقة بالحرم أو الكعبة أو المشاعر من بناء أو تعمیر أو ترميم، وربما جُمع للشاد بين عدد من الوظائف يؤدّيها خاصة تلك التي تخص الجانب المعماري^(٢)، وكان تعين شاذّ العمائر في الحجاز يتمّ بمرسوم سلطاني يتضمّن إخبار أمير مكة بتعيينه، وقرأ المرسوم بحضور القضاة والأمير الراكر (قائد القوة المملوكية بمكة) وغيرهم من الأعيان^(٣).

٣- وظيفة شاذّ جدة: وما يلحق بوظيفة شاذّ العمائر وظيفة شاذّ جدة^(٤)، وهي من الوظائف الوافدة التي استُحدثت في العصر المملوكي، وكان يطلق على مَولِيها "شاذّ جدة" أو "شاذّ ديوان جدة"، وكان تعيينه يتمّ بمرسوم سلطاني يصدر مباشرة من القاهرة ويحمّله الشاذّ معه إلى جدة^(٥)، وكان صاحب هذه الوظيفة المهمة يتولى استخلاص ما يتقرر على الطوائف والأفراد من المعاملات المالية من حيث التحصيل والصرف، كما كان يقوم بالتفتيش على الدواوين ومراجعة حساباتها، وكان يتحمّ على شاذّ جدة أن يكون موجوداً في جدة في موسم الهندي^(٦)، وكذا في مواسم العمرة والحج حيث تصل مراكب الحجاج والمعتمرين إلى جانب قوافل التجار من شتى أنحاء العالم الإسلامي^(٧).

٤- وظيفة الأمير الراكر: تُصنّف هذه الوظيفة ضمن الوظائف العسكرية، وكانت مهمة مَولِيها - الذي هو أحد أمراء المماليك المقربين إلى السلطان في القاهرة - الإقامة بصفة دائمة في مكة المكرمة ليكون عوناً وسنداً لأميرها في تثبيت حكمه، حيث كانت تكثر المنازعات بين الأمراء الأشراف على الحكم، فكانت سبباً مباشراً في استحداثه هذا

(١) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٢٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٩٣)، (٧/٢٦٢).

(٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/١٧٨)، (٥١١).

(٤) ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٧٨؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٢٤؛ محمد الطاسان:

الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص ٣٠٥.

(٥) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٣٢٤).

(٦) موسم الهندي: عُرف كذلك بسبب وصول سفن التجارة الهندية المحملة خاصة بالتوابل، وكان هذا الموسم يبدأ من شهر جمادى الأولى إلى أواخر شهر رجب من كل عام، وقد يمتد إلى شهر شعبان. علي محمود: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ٨٢.

(٧) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٥٨.

المنصب^(١). وقد عُرف متوليها بـ "الأمير الراكر" في إشارة إلى إقامته الدائمة بمكة، بحيث كان لا يغادرها إلا بعد وصول أمير آخر يحل محله، وقد استمرت هذه الوظيفة حتى نهاية العصر المملوكي^(٢)، كان مبدأ ظهورها في عهد السلطان الظاهر بيبرس^(٣) الذي عين سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م شمس الدين الظاهري^(٤) نائباً له في مكة المكرمة، وذلك بناءً على طلب أمير مكة إدريس^(٥) وأبي نبي الأول^(٦) حيث سألاه أن "يؤمر عليهم أميراً من جهة نائباً في مكة، تقوى به نفسهما، ويرجع أمرهما إليه، ويكون الحل والعقد على يده"، إلا أنهما لم يلبثا أن أخرجاه في العام التالي من مكة^(٧)، ثم تجدد وجود هذه الوظيفة منذ سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م عندما أمر السلطان الأشرف برسباي الأمير قرقمأس الشعباني^(٨) بأن يتولى قيادة ثلة من الجند

(١) القاسي: العقد الثمين، (٤/٨٥).

(٢) عدنان الحارثي: وظيفة الأمير الراكر في مكة المكرمة، ص ١٩٩.

(٣) هو الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس بن عبد الله العلوي البندقداري الصالحى التجمي الجركسي. كان من خواص ممالك الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ثم صار أتابكاً للعساكر بمصر في عهد الملك قطز حيث قاتل معه المغول بعين جالوت ثم اتفق مع أمراء الجيش على اعتيال قطز فقتلوه وتولى هو السلطنة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م. كان شهيداً شجاعاً، معنياً بأمر السلطنة. توفي بدمشق في المحرم سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، وكان له من العمر ٥٤ سنة. ابن الوردي: تاريخه، (٢/٢٢٤)؛ الصفي: أعيان العصر، ص ٣٢٢.

(٤) هو الأمير شمس الدين مروان بن عبد الله الظاهري الصالحى. كان نائباً للأمير عز الدين أمير جندار الظاهري، وقد جتمع مع السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م. العز بن فهد: غايه المرام، (٢/٤٦).

(٥) هو إدريس بن قتادة بن إدريس العلوي الحسني القرشي المكي. ولي إمرة مكة نحو سبعة عشر سنة شريكاً لابن أخيه أبي نبي الأول ثم انفرد بها وقتاً سيراً ثم دخل في صراع مرير مع شريكه أبي نبي حتى تمكن الأخير من قتله بمنطقة خليص في ربيع الآخر سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م. العز بن فهد: غايه المرام، (١/٦٤٠)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (١/٢٨١).

(٦) هو نجم الدين أبو نبي (الأول) محمد بن حسن بن علي العلوي الحسني القرشي المكي. شارك والده في الإمارة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ثم وثب على عم أبيه إدريس فقتله سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م واستقل بالإمارة وظل عليها مدة أربعين سنة إلى أن توفي بمكة في صفر سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، وكان له من العمر ٧١ سنة. السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٧٣)؛ دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص ٢٧.

(٧) عدنان الحارثي: وظيفة الأمير الراكر في مكة المكرمة، ص ٢٠٢؛ فاطمة الكليبي: الوظائف السياسية والإدارية في مكة، ص ٥٥.

(٨) هو الأمير قرقمأس الشعباني الظاهري. كان في بادئ أمره من ممالك الظاهر بقوق ثم ترقى في المناصب حتى صار من كبار الأمراء. كان عفيفاً عارفاً، له شجاعة وإقدام وفروسية مع حروب وشدة إعجاب بنفسه وتعاظم، حتى لقد عُرف بـ "أهرام ضاح" أي جبل الأهرام =

أرسلها إلى مكة لمعاونة أميرها، ومنذ ذلك الحين أصبحت وظيفة ثابتة مهمتها دعم أمير مكة في تثبيت سلطانه^(١). وكان متولى هذه الوظيفة يعين ويعزل بمرسوم سلطاني، ويختار من بين أمراء المثني^(٢)، ويرسل من القاهرة على رأس قوة عسكرية مرافقاً لركب الحاج، وكان إذا استبدل بأخر غادر مع الحاج^(٣). وقد ورد ذكره في المصادر التاريخية بالعديد من الألقاب، منها الأمير الراكز، وأمير الجند الراكز بمكة، ومقدم المعاليك السلطانية، وباش المعاليك، وباش المعاليك السلطانية، وأمير الترك^(٤). وكان من مهام هذا الأمير - إلى جانب مهمته الرئيسة وهي الحماية العسكرية لمكة - الحضور في الحرم عند قراءة المراسيم السلطانية، حيث كانت تأتيه المراسيم بالإقرار في وظيفته والتوصية عليه أو إضافة وظائف إليه^(٥).

٥- وظيفة المباشر: وهو الموظف الذي كان يكلف بإدارة الأعمال والإشراف على تنفيذها، وإجراء المبيعات والمشتريات المتعلقة بها، واستخدام عمالها، وكان يطلق عموماً على الموظفين العاملين بالدواوين مسمى مباشرين^(٦)، كما أطلق هذا المسمى على الموظفين الإداريين الذين كانوا يتولون وظائف متنوعة تتعلق بديوان جدة، سواء كان ناظرًا أو شاذًا أو مباشرًا^(٧). وكان المباشر يعين بمرسوم سلطاني يتضمن الإخبار بمجيئه يُرسل مع خلعة أمير مكة وقاضيتها^(٨).

لثكبره. قُتل بالإسكندرية بعد الفتن التي أشعلها ضد السلطان المملوكي بالقاهرة سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م. ابن حجر: إنباء الغمر، (١٠٣/٤)؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل في ذيل الدول، (٦٥/٥).

- (١) فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية في مكة، ص ٦٢؛ هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ١٤٤.
- (٢) أمراء المثني: هي رتبة عسكرية من مراتب الجيش في العصرين الأيوبي والمملوكي حملها كبار الضباط ممن كان تحت قيادتهم من الفرسان، مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ٤٦.
- (٣) عدنان الحارثي: وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة، ص ٢٠٥.
- (٤) محمد العمارة: المعجم العسكري المملوكي، ص ٥٨.
- (٥) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤٨٤/٢، ٥٣٧)؛ الغز بن فهد: بلوغ القرى، (٦٤٧/٢).
- (٦) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٩٨٢/٣).
- (٧) علي محمود: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المعاليك، ص ٨١؛ سلاوي السليمان: جدة في العصر المملوكي، ص ١٠٨.
- (٨) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٥٤١/٤).

ثالثاً: الوظائف المختلطة: وهي الوظائف المختلطة بين الأصلية والوافدة، أي لها بعض من صفات الوظائف الأصلية وبعض من صفات الوظائف الوافدة، ولعل من أبرز تلك الوظائف المختلطة التي عمل بها علماء الحجاز في العصر المملوكي:

١- **وظيفة الفراشة:** وهي من الوظائف الإدارية الخدمية التي ارتبطت في الغالب بخدمة الحرمين الشريفين وغيرها من المساجد، وهي وظيفة تعني بكس المسجِد وتنظيفه من الأوساخ والاهتمام بأمر الفرش والسجاجيد، والقيام بالخدمة العامة داخله، وغيرها من الأمور المرتبطة بخدمة المصلين ومن يحضر من طلبة العلم للدراسة أو من يأتي للاعتكاف وغير ذلك^(١). وعمل الفراش في الحرم الشريف أوسع وأكبر من عمل غيره في بقية المساجد، فمن مهامه بالمسجِد الحرام تنظيفه من الأوساخ والطين عند دخول السبيل والمطر للمسجِد^(٢)، وتعمير القناديل نهاراً وإسراجها عند حلول الليل وإطفائها في المساء والصباح، وإخراج المتبقي من الشمع والزيت كل ليلة إلى المستودعات المخصصة لذلك وتسليمها "لأمناء الزيت والحواصل بالمسجِد الحرام"، وقد وُجد عدد من الفراشين ممن جمع بين وظيفة الفراشة وأمانة الزيت والحواصل^(٣). ومهام الفراشين في المسجِد الحرام هي نفس مهامهم في المسجِد النبوي، إلا أن الفراشين في المسجِد الحرام يشاركون كذلك في غسل الكعبة، كما أسندت إليهم المحافظة على الجرار المستخدمة في شرب ماء زمزم والاهتمام بنظافتها واستبعاد التالف منها^(٤)، في حين تميز الفراشون في المسجِد النبوي بفرش الروضة الشريفة ونصب السمائر على الأبواب الأربعة للحجرة النبوية^(٥)، وكان من هؤلاء الفراشين - في الحرمين الشريفين معاً - من اجتهد بالخدمة تطوعاً، ومنهم من أخذ الأجر على

(١) فوزي ساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ٢٣؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢١٤؛ محمد الطاسان: الوظائف

الدينية والإدارية بالمسجِد الحرام، ص ٣٠٩.

(٢) فوزي ساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، ص ٢٣.

(٣) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢١٤.

(٤) فوزي ساعاتي: أسماء الذين تولوا الوظائف الدينية والإدارية، ص ١١٤٩؛ ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٩٠.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٦١/١).

عمله^(١)، وكان عددهم كبيراً حتى أن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ذكر أن عدد الفراشين بالمسجد النبوي كانوا أربعين، وكانوا يندون بالإشراك^(٢).

وكان على رأس هؤلاء الفراشين مسؤل يُعِين محلياً يعرف "بشيخ الفراشين"، وهو الذي يقوم بالإشراف على الفراشين والتأكد من قيامهم بالأعمال الموكلة إليهم، كما له حق التعيين والعزل عندما يبدر منهم تهاون أو عدم التزام^(٣). وكان يتم تعيين شيخ الفراشين بالحرم المكي الشريف من قبل ناظر الحرم، ويُشترط فيه أن يكون قد مارس مهنة الفراشة قبل أن يُرقى إلى المشيخة. وقد عرفت الفراشة ومشيختها نظام التوارث والجمع بينها وبين وظائف أخرى كوظيفة المكبر وغيرها^(٤).

٢- وظيفة خدام المسجد الحرام والمسجد النبوي: عرفت مساجد الحجاز وفي طليعتها الحرمين الشريفين ما كان يُعرف بالخدم، وهم الذين يقومون على خدمة الحرمين الشريفين والحجوة الشريفة^(٥)، وهم في الغالب من الطواشية^(٦) المعروفين بالأغوات^(٧)، وهم ينحدرون من أصول مختلفة منهم الحبشي والرومي والتكروري والهندي وغيرهم^(٨)، وقد

(١) صالح بن حميد: تاريخ أمة في سيرة، (١/٢٢٨).

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٦٢)؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢١٥.

(٣) فوزي ساعاتي: أسماء الذين تولوا الوظائف الدينية والإدارية، ص ١٤٥؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٢١٦.

(٤) المقرئ: درر العقود، (٢/٥٢٤)؛ التجم بن فهد: الدر الكمين، (١/٢٠).

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف إلى سقوط الخلافة العباسية ببغداد، ص ١١١؛ حسن بركة: المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة، ص ١٢٣.

(٦) الطواشية: جمع طواشي، من التطوُّش؛ وهو جبة الذكر، وأُطلقت الكلمة على العبد المخصي، وانتشرت في العصر المملوكي خاصة للدلالة على الخدم الخصبان الذين استخدموا في الطباق السلطاني وكذلك في قسم الحرم في القصر السلطاني، وكانت لهم حرمة وكلمة نافذة، وكان يرأسهم شيخ يطلق عليه "شيخ الطواشية"، الزبيدي: تاج العروس، (١٧/٢٤٨)؛ حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ص ١٤.

(٧) الأغوات: جمع أغا؛ ومعناه في اللغة التركية الرجل العظيم ورئيس الخدم في المنزل. وتطلق هذه الكلمة غالباً على خدام الحرمين الشريفين الذين كان يحصل لهم غاية التعظيم ونهاية التكرم، كما تُطلق الكلمة على الذين يشغلون وظائف ذات صبغة عسكرية. وهناك أغوات بضع وأغوات سود، وكذلك الأغوات الذين في خدمة والددة السلطان وأميرات القصر السلطاني. وأول من استخدم الأغوات في الحرمين الشريفين هو السلطان الفاتح صلاح الدين الأيوبي. الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٣. طرفة العبيكان: الحياة العلمية =

وصف ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) أخوات المسجد النبوي بأنهم "السنة الحارسين للمسجد النبوي، وهم قتيان أحابيش وصقالية ظراف الحيات، نظاف الملابس والشاريات"^(٢)، في حين وصفهم ابن بطوطة (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٦م) بقوله: "وخدام المسجد الشريف قتيان من الأحابيش وسواهم، وهم على هيئات حسان وصور نظاف وملابس ظراف، وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام"^(٣)، وأما مؤرخ المدينة ابن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) فقد عذهم "من أشهر بالخير والبر ووقف النخيل ووقف الدور واعتاق الخدام والعبيد والإماء وكهالة الأيتام"^(٤)، وكان منهم "من جمع - إلى جانب الدين والعبادة - الانشغال بالعلم وسماع الحديث وكتب العلم مع ملازمة للصلاة في الصف الأول، وكان منهم المتفقه المتعبد الذي يصحب العلماء ويشغل عليهم"^(٥)، بل كان منهم من نال المشيخة في الرواية والتحديث^(٦)، ومن اشتهر بالإقراء كذلك^(٧). ولعل إطلاق كلمة "الآغا" على هؤلاء الخدم لما كان لهم من السلطة والنفوذ، فكلمة "الآغا" عند الأعاجم تعني الرجل الثري صاحب المنصب والجاه، وعن الأعاجم أخذها الحجازيون^(٨).

وقد شهدت هذه الوظيفة تنظيمًا دقيقًا واهتمامًا بمن يقوم بها منذ عهد السلطان الفاتح صلاح الدين الأيوبي^(٩) الذي أولى من يقوم بهذه الوظيفة اهتمامًا كبيرًا وأوقف عليهم أوقافًا واسعة^(١٠)، ثم تطور الاهتمام بهم بعد ذلك في العصر

والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، ص ٢٦١.

(١) السخاوي: تحفة اللطيفة، (٦١/١).

(٢) ابن جبير: الذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ١٧١.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٣٥.

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤٢، ٥٣.

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور ص ٤٦.

(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، (١٠٣/٢).

(٧) الديلم بن فهد: الدر الكمين، (٣٥٤/١).

(٨) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤٠؛ محمد الكردي: التاريخ القويم، (٣٨/٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمه، (٢٠٨/١).

(٩) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الدويني الكردي الأصل الكرمني المولد الأيوبي، الملقب بالملك الناصر صلاح الدين. نشأ بدمشق وتلقه وتأدب ثم دخل مع أبيه وعمه شيركوه في خدمة الملك نور الدين زنكي وترقى في المناصب حتى استطاع السيطرة على مصر مع اعترافه بسيادة نور الدين عليها، ثم أنهى صلاح الدين الحكم العبيدي (الفاطمي) بمصر وأعلن بالولاء للخليفة العباسي ببغداد، ثم

المملوكي حيث زادت تلك الأوقاف وتنوعت^(١)، كما زادت أعداد الأغوات في المسجد الحرام والمسجد النبوي بحسب زيادة عدد الراغبين في الإيقاف من السلاطين والأمراء والأثرياء^(٢).

وكان من أهم واجبات الأغوات في المسجد الحرام والنبوي هو المحافظة على الهدوء والنظام^(٣)، ومراقبة تجاوزات الروافض لقبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإخراج من يتخلف في الحجرة الشريفة، وقد يضطرون لضرب من يتأخر عن ذلك^(٤)؛ وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن الصباغ (ت القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ذلك بقوله: "والله لقد رأيت الطواشية والحيشية يدفعون المتأقلين في الزيارة، يضربونهم بالقضبان ويقولون لهم: أخرج رحم الله عبداً زار وانصرف كما هو الحق"^(٥).

٣- وظيفة ناظر^(٦) الوقف: أي القيم المشرف على الوقف؛ ويقصد بالوقف تلك الأراضي والمنشآت التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية أو للمجاهدين والفقراء أو للميتامى وفك العبيد، ولبناء المساجد والحصون والمدارس والبيمارستانات والزوايا والأربطة والخانات، أو لغيرها من المنافع العامة^(٧)، والناظر هو المسؤول على النظر في أموال

واصل جهاده ضد الصليبيين حتى فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. توفي بدمشق في صفر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وكان له من العمر

٥٧ سنة. ابن شداد: النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية، ص ٣٥٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، (٤٤/٢).

(١) الأنصاري: تحفة الحبيب والأصحاب، ص ٥٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٦٣/١).

(٣) سليمان مالكي وآخرون: دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين، ص ٢٤.

(٤) سليمان مالكي وآخرون: دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين، ص ٤٦.

(٥) ريم السابح: الموقوفون في المسجد النبوي، ص ١٨٩.

(٦) ابن الصباغ: نسبة الأخبار وتذكرة الأخبار، ص ١٧٢.

(٧) الناظر: مفرد نظار؛ وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين الذين يشاركون الوزير في تصرف شؤون البلاد في الدولة المملوكية. وقد عرفت

وظيفة الناظر في الدولة الأيوبية بمدلول محدود إذ كانت مهمة مؤيلا متعلقة بالمال والحساب، وكان ديوان المال في عهد الأيوبيين يسمى

ديوان النظر، ثم اتسع استخدام هذه الكلمة في العصر المملوكي حيث تعدد النظائر في الدواوين والإدارات الحكومية. حسن الباشا:

الفن الإسلامي، (١١٧٩/٣)؛ حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ص ٢١٧.

(٨) حسن محمود: الرسوليون والمماليك في الحجاز، ص ٩٣.

الوقف، واليه يرفع حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد ما من حقه العمارة والتنمية^(١)، فهو المسؤول عن القيام بمصالحه وحسن استغلاله وجمع ريعه وصرفه في الوجوه التي سماها الواقف حسب شرطه^(٢). وقد تعددت الأوقاف في العصر المملوكي فمنها ما كان مختصاً بالحرمين الشريفين ومنها ما كان مختصاً بالمؤسسات العلمية أو الاجتماعية، وكان السلاطين والأمراء والتجار يحرصون على وقف الأراضي والدور وغيرها لاستمرار الإثقال على الوقف وبالتالي استمراره في القيام بمهامه. وقد تعدد نظار الأوقاف فكان منهم ناظر المدرسة الموقوفة، وناظر الرباط، وناظر البيمارستان وغيرهم، وكان تعيين هؤلاء يتم في الغالب من قبل السلطة القائمة في الحجاز، وأما في حالة الوقف الخاص فكان حق التعيين للواقف نفسه، يعين من يريد في حياته ويشترط من يتولى النظارة بعد مماته^(٣)، وكانت هذه الوظيفة تسند في الغالب للقضاء إلى جانب عملهم الأساسي في القضاء^(٤).

٤- وظيفة ناظر الحرم: وهي من الوظائف الإدارية المهمة التي يقوم متولّيها بالإشراف على الخدمات المتعلقة بالحرم أو الكعبة أو المشاعر^(٥) من بناء أو ترميم أو تعمیر، هذا فضلاً عما لمولّيها من حق الإشراف على العاملين في الحرم، وحق العزل أو التعيين في الوظيفة، وأكثر عمله هو النظر في ما يخص هذه الأعمال من الإثقال والصرف عليها، وقد عدها ابن مماتي من ضمن الوظائف المالية^(٦)، نظراً لما للأمر المالية من أهمية في صرفها في مستحقاتها، ولهذا فقد كان يطلق على متولّيها "المشرف المالي"^(٧). ونظراً لأهمية هذه الوظيفة في العصر المملوكي فقد كانت تسند أحياناً لشيخ الحرم، كما أن

(١) شيخة الدوسري: أوقاف النساء في بلاد الشام، ص ١١٨.

(٢) حسين شافعي: الرباط في مكة المكرمة، ص ٢٢٦.

(٣) ليلى عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٨٢؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٤٦.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٨٧).

(٥) المشاعر: جمع مشعر؛ وهو المعلم والمنعبد من منعباته وموضع مناسك الحج، ومنه سُمي المشعر الحرام (أي مسجد مزدلفة). الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (١٢/١٩١).

(٦) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٢٩٨؛ ليلى عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ٢٦٦؛ فوزي ساعاني: أسماء الذين تولوا الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص ١٢٥؛ محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص ٣٠٢.

(٧) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١١١٧).

مَوَّلِي هذه الوظيفة كان يعين من قبل السلطان المملوكي بمرسوم سلطاني يصدر من القاهرة مباشرة، وكان يَؤَلِّها من كان يَتَمَعُ بمركز علمي أو ديني في المدينتين المقدستين^(١)، كالقاضي أو الخطيب وغيرهما^(٢)، فكان يُجمع لهؤلاء بين الوظيفتين معاً^(٣)، كما كان يَؤَلِّها في بعض الأحيان بعض الأمراء العسكريين من المعاليك^(٤).

٥- وظيفة خدمة درج الكعبة: وهي وظيفة اقتضتها طبيعة باب الكعبة المرتفع عن الأرض، فقد اقتضى الرُقْيَ إليه وجود سلم مخصص مناسب^(٥)، وكانت مهمة خدام الدريج هو دفع كرسي الدريج من مكانه في المسجد الحرام إلى باب الكعبة حيث يفتح ثم يعاد إلى موضعه بعد غلق الباب، وقد أوضحت هذه الوظيفة وثيقة للأشرف شعبان نصت "على وجود خدام للسلم الذي يتوصل من عليه إلى فتح باب الكعبة الشريفة، وأن مهمتهم هي تنظيف السلم، وأن يصرف لهم ثلاثمائة درهم نقرة كل سنة"، غير أن الوثيقة لم تذكر عدد الخدام^(٦).

(١) محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص ٣٠٢.

(٢) عبد الكريم باز: ناظر الحرم في العصر المملوكي، ص ١٤٣، ١٤٦.

(٣) المقرئ: درر العقود، (٣/٣٥٩)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٣/٦٨).

(٤) الديلم بن فهد: الدر الكمين، (٢/٣٤٠)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٠).

(٥) سنوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص ٨١؛ إيلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة، ص ١٥٤.

(٦) راشد التحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ١٠٣.

المبحث الثاني: المهن والحرف الأصلية والمختلطة:

أولاً: المهن والحرف الأصلية: تنوعت المهن والحرف الأصلية في بلاد الحجاز بين الزراعة، والرعي، والاحتطاب، وصناعة الجريد، وصيد سمك، وغيرها، ولأن الزراعة من أهمها فتبدأ بها:

١- الزراعة: عُرف النشاط الزراعي في الحجاز منذ وقت مبكر؛ إذ المعروف عن الحجازيين اعتمادهم في الزراعة على مياه الأمطار ومياه العيون والآبار التي تنتشر في نواحي عديدة من هذا الإقليم^(١)، ورغم أن مدن الحجاز الكبرى كمكة وجدة لم تكن أراضي صالحة للزراعة إلا بعض الأراضي القليلة الواقعة خارج حدودها، ولهذا فلم يعمل أهل مكة وجدة بحرفة الزراعة إلا القليل بعكس المدينة المنورة التي اشتهرت بمزارعها وبساتينها^(٢)، فقد وصفها ابن شاهين الظاهري (ت ٨٩٣هـ/١٥٨٥م) بأن لها "بساتين ونخلاً كثيراً"^(٣)، وكانت تعتمد في زراعتها على مياه الآبار والعيون، ولعل من أشهر هذه الآبار "بئر أريس"^(٤) و"بئر رومة"^(٥) و"بئر البصة"^(٦)، وأما العيون فكان من أشهرها عين النبي ﷺ^(٧)، وعين الأزرق

(١) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٦١.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧.

(٣) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٣.

(٤) بئر أريس: عُرفت نسبة إلى اسم رجل من اليهود، وكانت تقع بالقرب من مسجد قباء، ويقال: إن فيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه- في السنة السادسة من خلافته، قد خربت وتهدمت وبني بأعلاها سكن لمن يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء. والحديقة والبئر وقف على الفقراء الواردين والصادقين للزراعة، وفقها شيخ الخدام بالحاضرة الشريفة النبوية عزيز الدولة ربحان البلاذري الشهابي قبل وفاته بعامين أو ثلاثة، وذلك سنة سبع وتسعين وستمائة، الفيروز آبادي: المغامم المطابة في معالم طابة، ص ٢٥، ٣١؛ السمعوني: وفاة الوفاء، (٣/٩٤٢).

(٥) بئر رومة: تقع في عقيق المدينة، وهي البئر التي اشتراها عثمان رضي الله عنه- ثم تصدق بها، وكانت بئر رومة قد تهدمت جوانبها، ولم تزل على ذلك إلى أن ورد قاضي مكة شهاب الدين أبو العباس بن محمد الطبري إلى المدينة الشريفة زائراً في حدود الخمسين وسبعمئة، فعمل على عمارتها من ماله الخاص، ابتغاء الأجر والمثوبة من الله سبحانه وتعالى، فجاءت في غاية الحسن والافتان، الفيروز آبادي: المغامم المطابة في معالم طابة، ص ٤٢؛ المطري: التعرف بما أنست المهجرة من معالم دار الهجرة، ص ١٥١.

(٦) بئر البصة: هذه البئر قريبة من البقيع؛ على يسار السالك إلى قباء، وهي حديقة كبيرة محوط عليها بمخاط، الفيروز آبادي: التعرف بما أنست به معالم دار الهجرة، ص ١٥٣.

(٧) عين النبي - صلى الله عليه وسلم- أيام الخندق كان الصحابة يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم- ويحافون البيات فيدخلون به =

أو العين الزرقاء^(١)، وعين الشهداء^(٢)؛ هذا فضلاً عن مياه الأمطار التي كانت تساعد بشكل نسبي في ازدهار الزراعة فيها؛ ولهذا كانت المدينة تستغني عن الاستيراد من الخارج في كثير من الضروريات؛ بل كانت تصدر الفائض الزراعي إلى مكة المكرمة^(٣)، وكان من أهم محاصيلها التمور^(٤). ويُسَمَّى المدينة المنورة إقليمياً بلدة "خير"^(٥) التي اشتهر أهلها بالعمل في حرفة الزراعة لاسيما زراعة النخيل^(٦). ومن المدن الحجازية الزراعية مدينة ينبع وبها الكثير من العيون، كما وُصفت بأنها حصن به نخيل وماء وزرع، وقد أخذ اسمها من الفعل المضارع لكثرة بنايعها، ويذكر أن بها مائة وسبعين عيناً^(٧)، وهي مدينة كثيرة العمائر والأسواق والنخيل^(٨)؛ أما الطائف فقد اعتمدت في الزراعة على مياه الأمطار^(٩)، وقد وصفها

كحرف بني حرام فبييت فيه حتى إذا أصبح هبط، وقد قر رسول الله صلى الله عليه وسلم - في العينة التي عند الكهف فلم تزل تجري حتى اليوم، وهذه العين في ظاهر المدينة وعليها بناء، وهي مقابلة المصلى، ابن الجار: الدرة الثمينة، ص ١٠٩. وذكر الفيروز آبادي عن هذه العين: فأما عين النبي صلى الله عليه وسلم - فليست تعرف اليوم، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت وعفا أثرها، الفيروز آبادي: التعرف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ١٦٣؛ السهودي: وفاة الوفاء، (٣/٩٨٤).

(١) العين الزرقاء، أو عين الأزرق: هي أشهر عيون المدينة المنورة على الإطلاق، فقد قدمت للمدينة خدمات كبيرة منذ أن أجزاها مروان بن الحكم وإلى المدينة بأمر الخليفة الأموي معاوية بن سفيان رضي الله عنهما، واستمر الاهتمام بها خلال القرون التالية، وتقع العين في قباء، وأصلها بئر في حديقة نخل غربي مسجد قباء، هيام عيسى: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القدس يوسف، ١٤٣١هـ، ص ١٩٨.

(٢) حفها مروان بن الحكم بأمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ويظهر أن العين اندثرت فأجرى فرد الدين زنكي عيناً أخرى تحت جبل أحد عرفت - أيضاً - عين الشهداء، ظلت قائمة حتى أوائل القرن العاشر الهجري، هيام عيسى: الحج إلى الحجاز، ص ١٩٨.

(٣) أحمد بدرشيني: مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ١٨١؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٧؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٨٦.

(٤) ابن الصباح: نسبة الأخبار وتذكرة الأخبار، ص ١٧٥.

(٥) خير: مدينة تاريخية شمال المدينة المنورة، وقد بولغ في عدد نخيلها فقيل: ثلاثة ملايين نخلة، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٥٨١.

(٦) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٦٩.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢/٤٥٠)؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٨٦٧.

(٨) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٦.

ابن الجاور بقوله: " الطائف سامية باردة الماء، صحيحة الهواء، كثيرة الفواكه، زراعتهم الحنطة اللقمية التي تشابه النول^(١)، وقد وصفها ابن الصباح في رحلته بأنها: " كثيرة الماء، كثيرة الشجر، منها تأتي الفواكه إلى مكة الشريف^(٢) ". والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، ويوجد بها من العنب العذب مالا يوجد مثله في بلد من البلدان؛ وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل، وفواكه أهل مكة منها،^(٣) كما كانت تنتشر في الطائف بكثرة أشجار السدر وخاصة في وادي وج^(٤) وكذلك التين البري^(٥)، وقد كانت المزارع بالطائف -إضافة إلى قيامها بسد الحاجات الغذائية- عبارة عن منبجعات يقصدها أصحابها خاصة الأغنياء منهم للترويح، كما اشتهرت بعض القرى المجاورة للطائف بالنشاط الزراعي منها وادي نخلة والوهط،^(٦) والوهبط،^(٧) وقد وصفها الظاهري بأنها بلد عجيبة كثيرة الماء والشجر،^(٨) كما تميزت العقيق -موضع الطائف، ويطلق على مواضع أخرى بالمدينة المنورة وغيرها- بوجود البساتين، وكذا قرية السلامة كان بها الكثير

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩؛ محمد العنقاوة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٦٦.

(٢) ابن الجاور: تاريخ المسبصر، ص ٣٦.

(٣) ابن الصباح: نسبة الأخبار وتذكر الأخبار، ص ١٣٦.

(٤) رافوت الحموي: معجم البلدان، (٩/٤)؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٠٥٦.

(٥) وادي وج: هو وادي في الطائف، وادي فحل يتجه شرقاً فتأخذ عن يساره نخلة الشامية، وعن يمينه ليه فيمر في طرف مدينة الطائف من الجنوب الغربي ثم الجنوب ثم الشرق، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٧٩٢، وذكر السهيلي أن وجاً كان رجلاً من العمالة حوط له مواله هذه القرية التي تنسب إلى اسمه فضبطوا وادها ما بين بناء الصخور، وشيدوا له به القصور، وغرسوا أشجاراً، وفجروها أنهاراً، وكان رجلاً نجدي الأصل؛ غير أنه إذا رجعت الإبل وقت الصيف تطلب المياه جاء هو بأمواله فأزطها مضاحي نجد قرب وج، ويمنع هو أيام الثمر بقرية وج، الميرقي: بهجة المهج في فضائل الطائف ووادي وج، ص ٢٤؛ العجيمي: إهداء الطائف من أخبار الطائف، ص ٤٥.

(٦) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ١١٢.

(٧) الوهط من أعمال الطائف، كان كل فاكهة الطائف ومكة منها، وقرية الوهط مزارع وعين كبيرة، ابن الجاور: تاريخ المسبصر، ص ٣٢؛ العجيمي: إهداء الطائف من أخبار الطائف، ص ٧١.

(٨) الوهبط أرض زراعية في أعلى وادي وج جنوب الطائف، وهي ليست بعيدة عن الوهط، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٨١٥.

(٩) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٣.

من البساتين،^(١) والمليساء - كذلك - كان يوجد بها البساتين والآبار^(٢)، وكانت هذه القرى تُصدّر إلى المناطق المجاورة ومكة؛ ونظراً لما تقوم به الطائف والقرى القريبة منها من دور اقتصادي وخاصة في مجال الزراعة استُحقت أن تسمى بستان مكة^(٣). ومن الأودية التي اشتهر أهلها بجرفة الزراعة وادي مر الظهران^(٤)، الذي كان يمد مكة المكرمة وجدة بما تحتاجه من المحاصيل الزراعية وغيرها^(٥)، كما كانت منطقاً تهامة^(٦) والسراة^(٧) (الواقعة بين الحجاز واليمن)؛ التي كان أهلها يرحلون إلى مكة مرتين في السنة لأداء العمرة والحج، وكانوا يغمرون أسواق مكة المكرمة بالبضائع والسلع وما يؤدي إلى رخص الأسعار فيها^(٨)، وقد تحدّث عنهم الرحالة ابن جبير بقوله: "ومن لطيف صنع الله - عز وجل - لهم فيه اعتناء كريم منه سبحانه بحرمه الأمين أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم من أهل الجبال حصينة باليمن تعرف بالسراة، وهم قبائل شتى كجيلة وسواها، يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية في

(١) العجيمي: إهداء الطائف من أخبار الطائف، ص ٦٩.

(٢) العجيمي: إهداء الطائف من أخبار الطائف، ص ٦٨.

(٣) الميورقي: بهجة الميخ في فضائل الطائف ووادي وج، ص ١، محمد العنقري: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٩.

(٤) مر الظهران: مر القرية والظهران هو الوادي، وهو من أكبر أودية الحجاز، ومر عيون كثيرة وتخلل، تقع شمال مكة المكرمة. القلقشندي:

صحيح الأعشى، (٤/٢٦٠)؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٥٥٧، ١٥٥٨.

(٥) أحمد الشرف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٣٧.

(٦) تهامة: هي تلك الأراضي الجبلية التي تمتد من الجنوب عند اللوث إلى العقبة في الأردن بين سلسلة جبال السراة شرقاً، والسهل الساحلي

غرباً، وتعدّ تهامة في الحجاز أكثر مناطق خصباً وأصلحها للزراعة، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٢٨٣.

(٧) السراة: هي السلسلة الجبلية الواقعة غرب بلاد العرب، والممتدة من اليمن جنوباً إلى الحجاز ثم الشام شمالاً، وتخترق هذه السلسلة أودية

وشعاب كثيرة ليست على مستوى واحد من حيث الاسواء، فمنها الشامخ في العلو، ومنها المنخفض، ومنها المتوسط في الارتفاع،

وقد أطلق بعض الجغرافيين القدامى على هذه السلسلة اسم الحجاز، كما يطلق عليها اسم الطود، ويختص بهذه التسمية الجزء الجنوبي

من جبال السراة الذي يبتدئ بالطائف شمالاً، وينتهي بنجران ثم صعدة وصنعاء جنوباً، ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الجبال

بالجبل الأسود؛ لأن صخوره بركانية سوداء، كما يسمى بالسراة أو السروات، وكل قسم فيها ينسب إلى القبيلة التي تسكنه. غيثان

جريس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطى، ص ١٣٢، ١٣٤.

(٨) أحمد بدرشيني: مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ١٧٣؛ غيثان جريس: دراسات في تاريخ تهامة

والسراة، ص ١٧٨.

العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوباء إلى ما دونها، أو يجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجتمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، ويصلون في الألف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه فيستقون ويدخرون، وترخص الأسعار وتعم المرافق؛ فيعد منها الناس ما يكفيهم لعائهم إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش. ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا درهم؛ إنما يبيعونه بالخرق والعباءات؛ فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويبيعونه به ويشارونهم، وأنهم متى أقاموا عن هذه الميرة بلادهم تجذب، ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم، ويوصلهم بها تحصب بلادهم، وتقع البركة في أموالهم^(١) واستمرت أهمية السرو في تزويد أهل مكة بالميرة في عصر المعاليك؛ إذ يؤكد الرحالة ابن بطوطة الذي زار مكة أول مرة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ما قاله عنهم ابن جبير. كما كانت قبيلة بجيلة -وهي من قبائل السرو- تؤدي دوراً رئيسياً في تزويد مكة، ولم تزل قبائل السرو -وبصفة خاصة بجيلة- تحضر الميرة إلى مكة طيلة العصر المملوكي، وقد أشار عبد العزيز بن فهد إلى أثر قدومهم في أسعار الحنطة في كل من سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، وسنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م^(٢)، فمكة المكرمة -وكما ذكر فيها ابن جبير- تجبى إليها الثمرات من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومنافع ومناجر ومرافق^(٣)؛ أما عن جدة فقد وصفها ناصر خسرو بقوله: "ليس في جدة شجر ولا زرع، وكل ما يلزمها يحضرونه من القرى"^(٤) فكانت تعتمد على ما يرد إليها من المحاصيل على الوديان المجاورة، وهذه الوديان تعتمد في زراعتها على مياه الأمطار والعيون مثلها في ذلك مثل باقي المدن الحجازية، كما كانت تعتمد -أيضاً- على ما يحمله الحاج من المحاصيل الزراعية؛ فضلاً عن أن ملاك الظهير الزراعي بجدة كانوا يجلبون المزارعين من المغرب، وفي هذا يقول ابن جبير: "إن الله قد جلب إليها من المغاربة ذوي الأبصار بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع" ومن أشهر هذه المزارع مزرعة بين جدة ومكة، وهي مزرعة واسعة تداولها بعض أثرياء

(١) ابن جبير: رحلته المعروفة بالتذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ١١٠.

(٢) ريشارد موتيل: دراسات في تاريخ مكة والمدينة وجدة، ص ١١٣.

(٣) ابن جبير: رحلته المعروفة بالتذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٥٣.

(٤) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٣٧.

مكة بالشراء، وغرسوا بها نخيلاً بلغ عشرين ألف نخلة^(١)؛ فضلاً عن المناطق المجاورة لها التي كانت بمثابة الظهير الزراعي الذي كانت تستمد منه جدة ما تحتاجه؛ والظاهر أن المغاربة اشتموا في بقعة عريضة حول جدة ومكة المكرمة سواء للتجارة أو الزراعة^(٢).

هذا وقد ارتبط النشاط الزراعي في بلاد الحجاز بالعديد من الحرف والمهن أهمها: صناعة الحصير والجريد والخصف وهي من الحرف الهامة التي وجدت في الحجاز؛ لأنها تلي حاجات كثيرة للناس^(٣)، وهي من الصناعات المنتشرة في بلاد الحجاز^(٤) وتعتمد على استخدام سعف النخيل التي تخفف وتشدب وتصنع منه أنواع من الحصير تسمى الخصف؛ فضلاً عن صناعة المراوح والحصير والزناجيل^(٥) كما يصنع من السعف الأوعية الكبيرة التي توضع بها الحبوب^(٦). وقد كانت صناعة الحصير من أهم السلع المطلوبة في مدن الحجاز، ويشير ابن جبير أنه بلغ من أهمية الحصير أنه استخدم في بناء البيوت فيذكر عند حديثه عن جدة: "أكثر بيوتها أخصاص، وفيها فنادق مبنية من الحجارة والطين وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف"^(٧)، و من العوامل التي أدت إلى رواج هذه الصناعة وازدهارها في جدة أنه كان يشكل جزءاً أساسياً من مبانى ذلك العصر، وأن استخدام الحصير أو الأخصاص في المباني ليس معناه تدهور مستوى المعيشة؛ وإنما اضطر الأهالي في جدة في تلك الأزمان أمام حرارة الجو والرطوبة العالية إلى ابتكار وسيلة تعدّ من أبداع وسائل التكيف في ذلك الزمان، إلى جانب أن مثل هذه البيوت والاستراحات المزودة بالأخصاص كانت -من المؤكد- تلقى إقبالاً كبيراً من

(١) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٧٣؛ وسن سمين: الزراعة والصناعة في الحجاز خلال العصر الفاطمي، مجلة أبحاث البصرة، المجلد ٣٦، العدد الثاني، السنة ١٤٣٣هـ/٢٠١١م، ص ٢٠٨.

(٢) محمود السيد: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ٩٣.

(٣) قاسم غنيمات: الصناع من الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، ص ٩٢.

(٤) عبد الله سيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية، ص ٨٦؛ سعاد الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٩٥.

(٥) سعاد الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة، ص ١٩٥.

(٦) محمود السيد: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ٩٣.

(٧) ابن جبير: رحلته المعروفة بالذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٥٣.

الواقدين على البلاد في مواسم الحج والعمرة والتجارة.^(١)، وقد اشتهرت في المدينة المنورة والأودية المحيطة بمكة لتوافر أشجار النخيل بها، وتفنن أهلها في صناعة المكائل أو الزنايل أو القفف التي كانت تستخدم في حمل الأغراض المنزلية، وكذلك في حمل الأثربة، كما استخدموا سعف النخيل في صناعة الحصر الذي يستخدم في فرش الأرضيات، وموائد الطعام، وكذلك المراوح، والجبال، والأرائك والأسرة.^(٢)

ومن المهن المرتبطة كذلك - بالجانب الزراعي مهنة التمار: باع التمر،^(٣) وقد اشتهرت العديد من المدن الحجازية بإنتاج التمر مثل المدينة المنورة وينبع،^(٤) وإلى جانب كون التمر غذاءً أساسياً لأهل الحجاز فقد استخدم لعلاج بعض الأمراض، كما استخرج منه الدبس وشراب التمر^(٥)، كما بقي تمر المدينة بصفة خاصة سوقاً رائجة، وعدت من أجمل الهدايا التي يحملها الحجاج والمعتمرون.^(٦)

ومن المهن المرتبطة بالجال الزراعي أيضاً - مهنة الفاكه، وهو من يبيع أصناف الفاكهة صيفاً وشتاءً،^(٧) وكانت لها سوق خاصة يقال لها: سوق الفاكهة، وقد اشتهرت بعض المدن بالحجاز بزراعة الفواكه مثل مدينة الطائف وغيرها من مدن وقرى جبال السروات التي وجد بها أسواق تجارية متخصصة تعرض فيها مختلف أنواع الفواكه والخضروات^(٨)، وقد أشار ابن بطوطة إلى أن تجارة الفاكهة كانت من ضمن التجارات في سوق المسعى حيث ذكر: " أن بين الصفا والمروة سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه"^(٩).

(١) ابن جبير: رحلته المعروفة بالتذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٥٣؛ وسن سمين: الزراعة والصناعة في الحجاز، ص ٢١٦.

(٢) ثروت حجازي: الحرف اليدوية في مكة، ص ١٩٤، ١٩٨.

(٣) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٣٥٧، حسن باشا: الفنون الإسلامية، (١/٣٣٩).

(٤) ابن شاعين: زبدة كشف الممالك، ص ١٦؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٩.

(٥) هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ٢٩، ٥٠.

(٦) سعاد الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة، ص ١٩٥.

(٧) محمد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ص ٣٣٣.

(٨) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ٨٦؛ هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ١٩٦.

(٩) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ١٥٥.

وكذا من الصناعات المرتبطة بالنشاط الزراعي صناعة الزيت من العنب وتجفيفه، وقد اشتهرت بها مدينة الطائف حتى إنها أنتجت أجود أنواع الزيت، كما قامت هذه الصناعة بمكة المكرمة والمدينة المنورة،^(١) وقد تركزت زراعة الكروم أو العنب بالدرجة الأولى بالطائف وكثرت بساتينه في الطائف.^(٢) وزيت الطائف يضرب بجسمته المثل.^(٣) ومن الصناعات - أيضاً - صناعة الحلوى التي أشار إليها ابن جبير خلال رحلته فذكر: "أما الحلوى فيصنع منها أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود على صفات شتى، إنهم يصنعون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة واليابسة، وفي الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان يتصل منه أسنطة بين الصفا والمروة، ولم يشاهد أحد أكمل منظراً منها لا بمصر ولا بسواها قد صورت منه تصاویر إنسانية وفأكلية"^(٤).

ومن المهن كذلك مهنة الخطابة التي تعد من المهن القديمة، وهذا النوع من الاحتراف لا يتطلب وجود رأس مال معين؛ بل لا يحتاج فيه الرجل إلى أكثر من فأس وخيل، وقد لا يحتاج إلى ذلك،^(٥) ويبيع صاحب هذه الحرفة الخطب، وكان للخطابة سوق يعرف بسوق الخطابين، يجمعونه ويأتون به إلى المدن وأهل القرى؛ مثل: مكة، والمدينة، وجدة، والطائف وغيرها ويبيعونه، وقد مارس هذه المهنة بعض أهل الحجاز والقادمين إليها؛ خاصة الفقراء منهم ممن لا يتقن مهنة أو حرفة غيرها،^(٦) وقد عرف عرب الحجاز صنع الفح من الخطب ومن الأشجار بإشعال الخطب ثم إطفائه بطريقة خاصة بحيث يبقى لديهم الفح ويستفيدون منه في الإيقاد.^(٧)

٢- حرفة الرعي: تميزت بلاد الحجاز بتنوع الثروة الحيوانية من: إبل، وأبقار، وأغنام، وخيل وغيرها، فكانت حرفة الرعي في مقدمة الحرف المتعلقة بالنشاط الحيواني كما تعد الحرفة الأولى لسكان شبه الجزيرة العربية، وخاصة

(١) عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٥٢.

(٢) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ١١٢.

(٣) محمد العنقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٦.

(٤) ابن جبير: رحلته المعروفة بالتذكرة بالأنخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٩٨.

(٥) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٦١.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٧/٥٨٤)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٠١.

(٧) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٦٢؛ صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب

سكان البادية،^(١) ووجدت هذه الحرفة في مكة المكرمة في الوديان والشعاب المجاورة لها التي كان ينبت فيها الكلال والشجيرات وتوجد بها المياه،^(٢) ولما كانت المدينة بلدة زراعية فقد شهدت ثروة حيوانية وعلى رأسها الإبل والبقر والغنم والخيول،^(٣) كما عرفت الطائف بكثرة مراعيها^(٤)، وقد عمل الكثير من سكان الحجاز في تجارة الحيوانات أو المواشي، ومنها تجارة الأغنام في بلاد الحجاز بشكل عام، ومكة المكرمة بشكل خاص لا سيما في المشاعر؛ حيث يكثر جلبها إلى أسواق الموسم لغرض الهدي والأضاحي حيث تزدهر فيها هذه التجارة في موسم الحج لارتباطها بالحج ومناسكها^(٥)، كما عرف الحجازيون تجارة الخيل، وكانت الخيل تربي في بادية الحجاز، ويأتي بها أصحابها لبيعوها في أسواق المدن وخاصة الكبيرة منها التي وجدت بها أسواق اختصت بهذه التجارة، ومنها -على سبيل المثال- سوق بقيق الخيل، وهي سوق خاصة بالإبل والخيول تقع بالقرب من بقيق^(٦).

ومن الحرف المهمة في هذا المجال حرفة الجمالة التي تقوم على كراء الجمال لنقل الحجاج والمعتمرين ورعايتهم حتى يكتمل حجهم وزيارتهم وعودتهم إلى ديارهم^(٧)، وقد امتن أهل الحجاز ومواليهم ومن وفد عليها حرفة الجمالين والحمارين، فكانوا يكسبون رزقهم عن طريق إكراء الدواب ونقل المسافرين والبضائع، وكان الحمارون يتقلون البضائع بسرعة تفوق الجمالة^(٨).

(١) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، ص ٨٤، ٨٦.

(٢) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ٢٣٨.

(٣) عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٩٧.

(٤) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ٢٣٨؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٧٨.

(٥) أميرة مداح: المشاعر المقدسة عبر العصور، ص ٢١٠.

(٦) السهويدي: وفاء الوفاء، (٩٨٥/٢)؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٣٥.

(٧) ثروت حجازي: الحرف اليدوية في مكة، (٦/٢)؛ سعاد الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة، ص ١٩٨.

(٨) عبد المعطي مسمم: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات، ص ٨٥.

ومن المهن والحرف التي شهدتها مدن الحجاز وقراها حرفة الدباغة، وهي تعنى بمعالجة الجلود ودبغها ونهيشها للاستعمال فيما بعد، وهي حرفة تقوم على أساس إصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه للاستفادة منه في أغراض نافعة^(١) بعد تخلصها من الروائح بوضع مواد كيميائية وتبديل رائحتها لتصبح أدماً يستخدم ككرب ودلاء وغيرها^(٢)، وقد توارثت هذه الحرفة أسر عدة، وحمل بعض أفرادها مسمى "الدباغ"^(٣)، واشتهرت عدد من مدن الحجاز وقراها بهذه الحرفة كالطائف التي اشتهرت بمداينها الكثيرة^(٤)، ومثلها مكة والمدينة وجدة وينبع وغيرها من مدن الساحل التهامية، وكان أحد أبواب جدة يسمى باب المدبغة^(٥)، كما استخدم ورق شجر القوط الذي ينبت بوادي العقيق بالقرب من المدينة^(٦)، وذكر عنه الدينوري أنه: "أجود ما تدبغ به الأذهب بأرض العرب القوط، وهي تدبغ بورقه ويقال للذي يأخذه من شجرة: القارظ، والذي يبيعه: القراظ"^(٧) وقد ساعد على انتشار هذه الحرفة في بلاد الحجاز توافر عدد آخر من أوراق النباتات التي تدخل في دباغة الجلود؛ ناهيك عن توفر الجو والمكان الصالحين للدباغة، فضلاً عن الحيوانات التي تؤخذ منها الجلود بعد ذبحها^(٨)، وذكر في ذلك ابن الجاور بقوله: "وجميع عملهم دباغ الأديم الملبح الثقيل المعروف بها، وهو الذي يصلح لخوارزم"^(٩)، وقد تطورت صناعة الأديم في الطائف حتى أصبحت تصدره إلى الأمصار الإسلامية الأخرى^(١٠)، ومما

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٥٨٧/٧).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، (٤٢٤/١٢).

(٣) عبد الباسط الغرب: الطريقة فيمن نسب من العلماء إلى مهنة أو حرفة، ص ٧٥.

(٤) عبد الله السيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية، ص ٧٤.

(٥) محمود السيد: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ١٠٥.

(٦) حسن بركة: المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك المراكسة، ص ٧٩.

(٧) الدينوري: كتاب النبات، ص ١٠٥.

(٨) أحمد الزلمي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٨٩.

(٩) ابن الجاور: تاريخ المسبصر، ص ٣٦، ويردون في خوارزم وخرسان الأديم الثقيل؛ لأنهم كانوا يطحنون به الحنف، ابن الجاور: تاريخ المسبصر، ص ٢٣.

(١٠) عبد الله السيف: الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، جامعة الرياض، كلية الآداب، الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٢٤٢.

ساعد- كذلك- على انتشار هذه الحرفة توافر مادة الشب التي تستخدم لتثبيت ألوان الجلد؛ إضافة إلى توفر الملح وبعض المواد النباتية التي تستخرج من الأشجار بها والمناطق القريبة منها؛ مثل: القوط الذي يُطحن ويستخدم في دباغة الجلود،^(١) وكانت تنشط تجارة الأدم في موسم الحج، وكان من أهم صادرات الحجاز خاصة والجزيرة العربية عامة.^(٢) ومما يلحق بالدباغة حرفة الخرازة، وهي حرفة تشير إلى من يعمل بالصناعات الجلدية، وتعتمد هذه الحرفة على خياطة الجلود وتفصيلها. والخراز هو المحترف لخياطة الجلود وتفصيلها^(٣)، وهي من الحرف التي وُجدت بالحجاز، وبواسطة الخزازين تُصنع الأشياء من أثاث وأحذية وأحزمة وغيرها، كما كانت تلبي الكثير من متطلبات ذلك الزمان من صناعة القرب، وصناعة سرج الخيل، وأعمدة السيوف، والتروس، وغيرها من الصناعات الجلدية^(٤).

٣- الحرف الصناعية: وتعد من الحرف الشائعة التي مارسها الحجازيون ومن أهمها حرفة البناء؛ سواء أكان البناء بمادة الحجر، أو الطين، أو أي مادة أخرى، وهي من الحرف الأساسية التي لا يُستغنى عنها في أي مجتمع من المجتمعات لأهميتها في بناء المساكن والتحصينات والمرافق المختلفة، ويلحق بها مهنتها الحجار والتجار والحداد^(٥)، وهي من صنائع العمران الحضاري وأقدمها^(٦)، وكانت هذه الحرفة تلبي حاجات السكان المختلفة في ذلك الوقت، وكانت البنائات تبنى لأغراض دينية كإصلاح وتعمير المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، أو عسكرية، أو أغراض السكنى، أو حفر الآبار وغيرها^(٧)، وكانت صناعة البناء موجودة في مدن الحجاز الكبيرة وكذلك قرأها، كما أجاد أهل الطائف صناعة البناء، وسور الطائف التاريخي خير نموذج لإجادة أبنائها فنون البناء^(٨) وأعمال البناء أو العمارة تتطلب مجموعة من العمال المهنيين

(١) محمود السيد: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ١٠٥.

(٢) عبد الله السيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية، ص ٧٠.

(٣) شرفه المديلي: حرف العلماء ومهنتهم، ص ٢٤؛ عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٢٨٢.

(٤) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٢٨٢؛ عبد الله السيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية،

ص ٧٦؛ الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ٢٤٣.

(٥) محمد العنافة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٨٩؛ صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز، ص ٣٨١.

(٦) ابن خلدون: كتاب العبر، (١/١٠٣)؛ هدى محمدي: معجم مصطلحات الحرف والفنون، ص ٦٤.

(٧) شرفه المديلي: حرف العلماء ومهنتهم، ص ٢٢.

(٨) محمد العنافة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩٠.

المهرة؛ من بنائين، ونجارين، وحدادين، وحجارين، وغيرهم يمثلون مجموعة واحدة مترابطة لإنجاز العمل المكلف به^(١). ومن المهن المهمة التي كانت ترتبط بالبناء مهنة الحجار، وكانت من المهن الصعبة والشاقة، وصاحبها يُقَطَّع الأحجار ويُصلحها بحيث تُستخدم في البناء والتعمير، وهي من المهن المنتشرة في البلدان الإسلامية، وكان يُستقدم ما يحتاج إليه منهم من البلدان الإسلامية وخصوصاً مصر^(٢).

ومن الحرف الملحقة بحرفة البناء حرفة الدهان^(٣)، والدهان هو الذي يطلي الجدران والأسقف وزخرفتها^(٤)، وكان أغلب العاملين بهذه المهن من الوافدين^(٥) كما هو الحال في أغلب الحرف الصناعية، ولعل ذلك يعود إلى النظرة الدونية للحرف وخاصة الصناعية.

وكذلك من الحرف الصناعية حرفة النجارة وتعد حرفة شائعة تطلق على من يعمل بنجر الخشب وتهذيبه وصنعه^(٦)، كما تُعد النجارة من الحرف المكتملة للبناء، ولا يكاد يتم البناء إلا بها؛ فيعتمد على النجارة في سقف البيوت، والبنائات المختلفة، وصناعة الأبواب والنوافذ وغيرها^(٧)، ويصنع العاملون بها الأسرة والأبواب والمناضد وغيرها، وكان التجارون يزاولون مهنتهم في حوانيت بهم، والبعض يزاولها في منزله^(٨). وتعتمد التجارة على المواد الأولية المحلية والمستوردة، فكانت النجارة تعتمد على مواد أولية من خشب الأشجار المحلية، ومن الأخشاب المستوردة من الهند وإفريقية، وغيرها من النوع الجيد الصلب والمقاوم؛ مثل: الساج، والأبنوس^(٩)، ووجد بالمدن الساحلية ومنها -على سبيل

(١) صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز، ص ٣٨٢.

(٢) صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز، ص ٣٨٣.

(٣) شريعة المدبيل: حرف العلماء ومهنتهم، ص ٢٣.

(٤) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٥١٧/٢).

(٥) التيجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٤٥٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٢٧/٢).

(٦) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٩٠٣/٢).

(٧) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٢٠٠.

(٨) عبد الله السيف: الصناعات في نجد والحجاز، ص ٢٤٦.

(٩) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص ١٩١.

المثال- ينبع صناعة القوارب التي تستخدم لصيد الأسماك^(١)، كما عُرفت جدة بصناعة السفن، وعرف ميناؤها أعداداً كثيرة من السفن بمختلف أشكالها وأحجامها وأغراضها، فمنها سفن نقل الحجاج، وسفن تجارية، ومراكب الصيد وغيرها^(٢).

ومن الحرف الصناعية ما عُرف بالنساجة، وهم المشتغلون بصناعة النسيج^(٣) من الصوف والقطن والكتان، ومن هذه الصناعة صناعة الثياب من القطن والكتان التي تشمل الثياب والعمائم وغيرها من الألبسة^(٤)، ومما يلحق بهذه الحرفة حرفة الصباغ، وهو الذي يمارس تلوين الثياب أو الأقمشة^(٥)، وقد استخدم الصباغون منذ القدم المواد المستخرجة من النباتات لصباغة الملابس والأقمشة، فكانوا يستخدمون الزعفران أو العصفر، ويطلق على الثياب المصبوغة بالعصفر "المعصفرات"، كما يستخدمون الورس وهو صبيغ أصفر، ويقال للثياب المصبوغة به: مورسه، ويُؤخذ من نبت طيب الرائحة، كما استخدمت النيلة للملابس المراد أن تكون زرقاء، والقوة^(٦) للملابس المراد أن تكون حمراء^(٧).

ومن الحرف الشائعة التي عمل بها أهل الحجاز رجالاً ونساءً حرفة الحياكة والخياطة، وهما من الحرف المرتبطة بالنساجة، وتقوم حرفة الخياطة على تحويل الأقمشة إلى كمسة، وصنع الثياب والعمائم بتفصيل القماش وقصه ثم خياطته وفق القياس المطلوب^(٨)، ومما يلحق بها حرفة عمل العمر^(٩) وبيعها، وهي من الحرف التي انتشرت في ذلك الوقت^(١٠).

(١) إمام أكبر: بلاد ينبع، ص ٢٧٨.

(٢) سلوى عبد القادر: جدة في العصر المملوكي، ص ٦٩.

(٣) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣٠٤/١).

(٤) السيد الأوسي: بلوغ الأرب، (٤٠٤/٣).

(٥) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (٥٧١/٢).

(٦) القوة: ثمرة مدورة حمراء كأنها خرزة عقيق لها ماء أحمر يكتب به. الديوري: كتاب النبات، ص ١٧٤.

(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٦١٧/٧)؛ عبد الله السيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية، ص ٦٧.

(٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٦١١/٧).

(٩) العمر كل شيء على الرأس من عمامة وقلنسوة ونحوها، الزنات وآخرون: المعجم الوسيط، (٦٧٧/٢).

(١٠) شريعة المندبل: مهنت العلماء وحرفهم في مكة في العصر المملوكي، هامش ص ١٠.

ومن الصناعات التي اشتغل بها أهل الحجاز صناعة الأسلحة التي كانت تشتهر في بعض مدن شبه الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة؛ حيث كان يصنع الحداد السيوف، والرماح، والسهام، والأدوات، والدرع، والخنجر، والنبال، والمجانيق، والدبابات^(١).

ومن الحرف المهمة في مدن الحجاز الكبيرة حرفة الصياغة التي عرف من عمل بها بالصاغة، وهي حرفة يعني صاحبها أو معيها بمعالجة معدني الذهب أو الفضة وغيرهما؛ وذلك بقطوعها وجعلها حلياً أو أواني للزينة^(٢)، وتعد هذه الحرفة من الحرف القديمة في بلاد الحجاز، وكانت الصياغة من الحرف المنتشرة في شبه الجزيرة العربية عامة ومدن الحجاز خاصة، وتقوم على تحويل المعادن إلى قطع من الحلي والمشغولات، وقد يُضيف الصانع إلى تلك المعادن قطعاً من مواد أخرى لخرقتها؛ مثل: الأحجار الثمينة؛ كالعقيق، والياقوت، واللؤلؤ، وأحياناً الزجاج وغيرها^(٣). وحرفة الصياغة مثلها مثل معظم الحرف الصناعية آف العرب من العمل بها، وكانت تنحصر في الغالب بيد الموالى^(٤)، وكان لهذه الحرفة سوق خاص يعرف بسوق الصاغة، وهو -غالباً- يكون قريباً من سوق العطارين^(٥). ومن أهم منتجات هذه الحرفة صناعة الحلي؛ كالأساور، والخواتم، والخلائل؛ إضافة إلى ما يلحق بذلك من أعمال في هذا المجال كتجليه اغماد السيوف بالذهب وغيرها من الأسلحة التي كان البعض يدخل في صناعتها نسبة من معدني الذهب والفضة، أو ما يعرف بماء الذهب^(٦).

٤- مهنة التجارة: وإذا انتقلنا إلى الحديث عن المهن ذات العلاقة بالنشاط التجاري؛ فإننا نلاحظ أن مهنة التجارة تُعد من المهن القديمة في بلاد الحجاز التي اشتهر بها سكان معظم مدنها قبل الإسلام وبعده، وخاصة تلك التي كانت أراضيها غير صالحة للزراعة، ومنها مكة المكرمة التي عرفت بأنها بؤاد غير ذي زرع؛ فكان اعتماد أهلها على النشاط

(١) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة، ص ٤١؛ قاسم غنيمات: الصناعات من الصحابة، ص ٨٠؛ إمام أكبر: بلاد شيع، ص ٢٧٨.

(٢) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (٢/٥٦٧).

(٣) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٥.

(٤) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ٢٧٣؛ واضح الصمد: الصناعات عند العرب، ص ٢٠٢.

(٥) هند الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ١٠٥؛ إمام أكبر: بلاد شيع، ص ٨٠.

(٦) عبد الله سيف: الحرف الصناعية في الجزيرة العربية، ص ٤٨.

التجاري وأجادوها كحرفة رئيسية، وكانت من أهم الحرف والمهن التي عرفها العرب، وكانت مصدر الدخل والثراء لأهل مكة المكرمة^(١)، كما أن موقع مكة المكرمة في منتصف الطريق بين اليمن والشام جعل منها مركزاً تجارياً وخاصةً في موسم الحج، كذلك توافد المعتمرين طوال العام مما زاد في ازدهارها التجاري، كما أن قربها من ميناء جدة التي كانت تصلها السفن التجارية من مصر واليمن وغيرها وتنقل متاجرها إلى مكة^(٢)، وتميزت بلاد الحجاز بنشاطها التجاري طوال العام؛ فكان هناك تجارة داخلية بين المدن الحجازية، إلى جانب الأسواق الحجازية الشاملة لجميع أنواع السلع، أو الأسواق المتخصصة بسلعة معينة، فكانت هناك الأسواق المحلية التي يشق اسمها من نوع النشاط الذي يقام فيها؛ مثل: سوق العطارين، وسوق الخبز، وسوق الصاغة، كما أن من هذه الأسواق ما اشتق اسمه من الأماكن التي أقيمت بها؛ مثل: سوق باب السلام، وسوق السوق وغيرها من الأسواق، وقد ارتبطت هذه الأسواق بممارسة الحرف والمهن التي يبيع فيها أصحابها وأسهمت في النشاط الاقتصادي في البلاد^(٣)، أما الأسواق الموسمية التي كان لها دور كبير في الاقتصاد الحجازي فهي موسم الحج، وموسم العمرة الرجبية، وموسم العدني، أو ما يعرف " التجارة الموسمية "، وفي هذه المواسم التجارية يكثر توافد التجار على بلاد الحجاز، فيجتمع فيها التجار من أهل الحجاز؛ فضلاً عن المجاورين والوافدين وغيرهم، إلى جانب التجار الذين أتوا للحج والتجارة معاً، ففي هذه المواسم كان يحقق للتجار فيها -إلى جانب التجارة- المزيد من الأرباح في موسم الحج أو العمرة؛ نظراً لوجود الحاج والمعتمرين، وما يكون خلال فترة إقامتهم من حاجتهم للسكن والمأكل والهدايا وغيرها؛ فضلاً عما يجلبونه معهم من البضائع للملاحة بها^(٤)، ومثلها مدينة جدة التي كانت ولا تزال من أهم المدن التجارية؛ نظراً لوقوعها على ساحل البحر الأحمر، وتعد التجارة أهم المهن التي يعمل بها سكانها، وقد شهدت خلال هذا العصر نشاطاً تجارياً ملحوظاً؛ حيث كانت بوابة لمدينة مكة، إلى جانب استقبالها لوفود الحجيج القادمين عن طريق البحر^(٥)، كما شهدت المدينة المنورة نشاطاً تجارياً؛ فعلى الرغم من أنها بلد زراعي إلا أنه كان بها نشاط تجاري، فكان بها

(١) عبد العزيز العمري: الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ص ١١٩.

(٢) عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٣٣.

(٣) شريقة المنديل: حرف العلماء ومهنتهم، ص ٩.

(٤) عائشة قيسي: تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠هـ، ص ٣٦.

(٥) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٦٤٤/٣).

تجارة داخلية بينها وبين المناطق الحجازية والقرى المحيطة بها، وتجارة خارجية بينها وبين الشام والعراق وغيرها^(١)، كما اشتهرت بنوع بنشاطها التجاري البري والبحري على طريق القوافل التجارية بين مصر والشام أو شمال إفريقيا^(٢)، ولا يقل عن ذلك أهمية تجار السراة والطائف والأودية المحيطة بمكة مثل وادي نخلة اليمانية والشامية وبلن مر وغيرها، كان تجار هذه النواحي من أغنى المزارعين والفلاحين الذين يمولون أسواق مكة طوال العام. ومن مدن الحجاز التي اشتهرت بالتجارة المدن الواقعة جنوب مكة المكرمة وحدة ومنها الليث^(٣) والقنفذة^(٤) وحلى بن يعقوب، وجميع هذه المدن اعتمد اقتصادها على التجارة الداخلية والخارجية؛ ناهيك عن حرفة الصيد التي اشتهر بها سكان هذه المدن^(٥).

ومن المهن التجارية الهامة مهنة العطارة؛ فالعطار يقوم بدور الصيدلي والطبيب ورائع العطور، كما تدخل مواد العطارة في إعداد الطعام، فهي مهنة رائجة، وبالإضافة إلى اعتمادها على مواد محلية فإنها تستخدم -أيضاً- مواد مستوردة من الهند وغيرها، وكان للعطارين شيخ يسمى "شيخ العطارين"، ويُطلق هذا اللقب على من له خبرة طويلة بهذه المهنة ويكون مسؤولاً عن العطارين^(٦)، وتعد العطارة من المهن المتوارثة؛ لأنها حملت كثيراً من الأسرار المتوارثة؛ لذلك حرص العطارون على أن تظل أسرار هذه المهنة في نطاق الأسرة فقط^(٧)، وكان العطارون يجتمعون في أسواق خاصة بهم كانت تعرف -عادة- باسم "سوق العطارين" نسبة إليهم^(٨).

-
- (١) عائشة باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، ص ١٢٧.
- (٢) إلهام أكبر: بلاد ينبع، ص ٢٤١؛ حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٣٤.
- (٣) الليث: وادٍ وبلدة في الجنوب الغربي من الحجاز، وهو وادي فحل كثير القرى والزرع، له روافد عظيمة تجعل سبله جارفاً، وفيه قبائل كثيرة من حرب وكثانة وبجالة وغيرهم، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٤٨١.
- (٤) القنفذة: مدينة تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر، تبعد عن مكة المكرمة ٣٤٤ كم، بحبي العجلاني: القنفذة، ص ٢١.
- (٥) سعاد الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي، ص ٣٢.
- (٦) شريح الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ١٢٠؛ عبد الرحمن المدبرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٠٠.
- (٧) سارة الزهراني: الحياة الاجتماعية بالمدينة، ص ٢٣٧؛ عائشة القيسي: تجار الحجاز، ص ٦٩؛ عبد الرحمن المدبرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٠١.
- (٨) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٢/٧٨٥).

ومن الحرف التجارية التي عمل بها الحجازيون -كذلك- حرفة الصرافة أو الصيارفة، وهي تعني تبديل العملات، وكذلك بيع الذهب بالفضة أو العكس، وهي من الحرف الموجودة منذ القدم، وقد كان لنشاط حرفة التجارة في مكة أثرها في ظهور حرفة الصرافة لتسهيل حركة التجارة والبيع والشراء، حيث كان التجار الأجانب في حاجة إلى استبدال ما لديهم من أموال^(١)، فكان الصيرفي هو الذي يعمل على استبدال العملات الخاصة بالتجار الأجانب القادمين إلى الحجاز كي يتيسر لهم استبدال العملات الخاصة بهم بعملات الحجاز السائدة في تلك الفترة^(٢). وتعد الصيرفة من وظائف كتاب الأموال، فهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها، وهو مأخوذ من صرف الذهب والفضة، وكان يقال له: الجهيد^(٣). وكان للصيارفة دكاكين خاصة بهم^(٤)، كما اكتسب أصحاب هذه الحرفة شهرة كبيرة؛ حيث كان الناس يودعون أموالهم لديهم مقابل صكوك يحصلون عليها من الصراف أو الضامن (كفيل)^(٥)، وقد تحذت الشيزري عن خطورة هذه المهنة وأهمية أن يكون العامل بهذه الحرفة عالماً بأحكام الصرف، ووصف ذلك بقوله: "التعیش بالصرف خطر على دين متعاطيه؛ بل لا بقاء للدين معه إذا كان الصيرفي جاهلاً بالشرعة، غير عالم بأحكام الربا، فالواجب ألا يتعاطاه أحد إلا بعد معرفته بالشرع، ليتجنب الوقوع بالمحذور من أبوابه، وعلى المحتسب أن يتفقد سوقهم ويتجسس عليهم، فإن عثر بمن ربا أو فعل في الصرف ما لا يجوز شرعاً عزّره وأقامه من السوق، هذا بعد أن يعرفهم بأصول مسائل الربا"^(٦). وبرز نشاط الصيارفة بشكل كبير في موسم الحج حيث يُبدلون العملات الأجنبية إلى العملات المحلية، فيدخل الحجاج إلى مكة وهم يحملون عملات بلادهم فيعاملون على تغييرها أو صرفها، وكذا الحال مع التجار^(٧).

(١) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (٥٧٤/٢)؛ عبد المعطي مسمم: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات، ص ٧٥.

(٢) هدد الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ١٦٦.

(٣) سلوى عبد القادر: جدة في العصر المملوكي، ص ١٠٩.

(٤) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (٥٧٤/٢)؛ هدى محمدي: معجم مصطلحات الحرف والفنون، ص ١٠٧.

(٥) عبد المعطي مسمم: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات، ص ٧٥.

(٦) نهاية الرتبة، ص ٧٤.

(٧) ضيف الله الزهراني: تاريخ مكة التجاري، ص ١٠٢.

ومن الحرف التجارية التي شاعت في الحجاز خلال هذا العصر -أيضاً- حرفة الدلالة، والدَّالُّ هو من يجمع بين البيعين، أو من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة^(١)، وهي من الحرف التي عرفت في المجتمع الحجازي خلال العصر المملوكي، وكانت من الحرف الشائعة في البيع والشراء والتجارة منذ القرون الأولى من الهجرة^(٢)، ويعرف -كذلك- بالسَّمسار^(٣)، ويأخذ الأجر عند إتمام البيع، ويسمى سمسرة أو دلالة^(٤)، كما أن السَّمسار يُخبر الناس بقرب وصول البضائع وموعدها، ومن الدلائن من كان مختصاً بسلع معينة ونسب إليها فيقال مثلاً: دالّ الرقيق^(٥)، ودالّ الكلب^(٦)، ودالّ العقار، ودالّ القماش وغيرهم^(٧).

٥- **المهن العلمية والاجتماعية:** أما عن المهن المتعلقة بالجانب العلمي والاجتماعي فمنها مهنة المؤدب أو المكّتب؛ تُعدّ الكُتّاب من أقدم المؤسسات العلمية في بلاد الحجاز^(٨)، فهي أول مراحل التعليم التي تهين الطفل أو الطالب لدخول المدرسة، أو الالتحاق بإحدى الحلقات العلمية في المسجد الحرام أو النبوي أو غيرها من المساجد في الحجاز^(٩)، كما تهتم بتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة^(١٠)، وتعلم فيه الأطفال القرآن، والكتابة، والقراءة، والحساب، والخط، والإملاء^(١١)، وقد

(١) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (١/٢٩٤).

(٢) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (١/٤٠٨).

(٣) السَّمسار كلمة فارسية معربة، والجمع السماسرة، وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم -التجار بعدما كانوا يعرفون بالسماسرة. والسَّمسار في البيع اسم للذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع. والسمسرة البيع والشراء. ابن منظور: لسان العرب، (٤/٣٨٠).

(٤) فريج السبيعي: مهن العلماء وحرفهم في دمشق، ص ١١.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٧٠).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٥٦).

(٧) سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، (١/٤٠٩).

(٨) محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١١٨.

(٩) منصور الصوفي: الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤١٣هـ، ص ١٢٩؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ٢١٣.

(١٠) عبد الطيف ابن دهيش: الكُتّاب، ص ١١.

(١١) محمد فهم: ملامح النشاط الاجتماعي في مكة، ص ١٩٩؛ ابن دهيش: الكُتّاب، ص ٩.

يُطلق على المُكْتَب المؤدّب، أو الفقيه،^(١) أو المقرئ،^(٢) أو المعلم، أو الأستاذ^(٣)، وينبغي لمن يعمل بها أن يكون صحيح العقيدة، مجوداً للقرآن، وألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وألا يتكلم معهم في العقائد^(٤) لعدم إدراكهم لمسائله في هذا السن، ولقد حظي الأيتام باهتمام خاص؛ فكان يُعين لهم مؤدّب خاص، ويُصرف لهم قدر من المال من أوقاف خصصت لهذا الغرض، ومن ذلك على سبيل المثال- السلطان الأشرف شعبان الذي رتب بالحرم المكي مؤدّباً اشترط أن يكون من أهل الخير والديانة، حافظاً لكتاب الله العظيم، ورتب معه عشرة من أيتام المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، وقد خصص لهم مرتباً سنوياً للمؤدّب قدره سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً^(٥)، كما خصص للأيتام مبلغ ثلاثمائة درهم سنوياً، ومثله السلطان قايتباي الذي أنشأ مكتباً للأيتام بمدرسته بمكة المكرمة والمدينة المنورة^(٦)، ولم تقتصر العناية بالأيتام على وقف الأوقاف؛ بل كانت تفرض على المؤدّبين رقابة من قبل الختسين، وظهر ذلك جلياً في حادثة ضرب الأمير سودون الفقيه صاحب الحسبة محمد بن يوسف الظاهري مؤدّب الأيتام بمدرسة السلطان قايتباي بسبب ضربه للأيتام ضرباً مؤلماً^(٧)، وكان مما تميزت به الكتاتيب في مدن الحجاز في العصر المملوكي بأن معلمها كانوا غالباً من المجاورين^(٨)، ولعل ذلك يعود إلى حاجة المجاورين المادية، وتفرغهم في الغالب- عن المشاغل الأسرية^(٩).

وفي طبعة المهن التي عمل فيها علماء الحجاز التدريس في الحرمين الشريفين؛ فكانت تعقد الحلقات العلمية، وتلقى الدروس فيه في أحد المقامات، أو قرب أحد الأبواب بالمسجد الحرام، أو أحد أروقته؛^(١٠) أما في المسجد النبوي

(١) محمد فهيم: ملاح النشاط الاجتماعي في مكة، ص ١٩٩

(٢) محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١٢٧

(٣) ابن دهميش: الكتاتيب، ص ٤٥

(٤) السبكي: معبد النعم، ص ١٠١؛ ابن طولون: نقد الطالب، ص ١٧٧

(٥) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ٩٧

(٦) السدياري: مناجح الكرم، (٨٢/٣)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣١٩

(٧) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢٢٦/٢)؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٨١

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٤٣٣/١)، (٤٨٨/٧).

(٩) ريم الساج: الموقوفون في المسجد النبوي، ص ١٣٧

(١٠) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٦؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٦

فكانت تقام حلقات العلم في أروقته، وبالقرب من قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الروضة الشريفة^(١)، وهذه الحلقات العلمية لم تقتصر نفعها على أهل الحجاز؛ بل عمّ النفع القادمين إليها، ويزداد هذا النشاط العلمي في موسم الحج الذي يُعَدُّ ملتقى علمياً للعلماء من مختلف أنحاء العالم فيفقدون بعلمهم ويستفيدون بلقائهم بالعلماء من مختلف أصقاع العالم الإسلامي. وقد جاء التدريس في الحرمين الشريفين خلال العصر المملوكي على قسمين؛ الأول: دروس عامة تعرف بحلقات العلم التي تعقد بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، ولا يتقاضى صاحبها أجراً، ولا يأخذ صدقة ولا زكاة؛ بل يُدرّس ابتغاء الأجر والثوبة، ويكون لصاحبها الحرية في اختيار موضوع الدرس^(٢). والقسم الآخر: دروس خاصة، وهي تلك الدروس التي كان أعيان المدينتين المقدستين يدخلون لتحديد دروس معينة تدرس في المسجد الحرام أو المسجد النبوي؛ كدرس في الفقه على مذهب من المذاهب الأربعة، أو درس في الحديث^(٣)؛ نظير أخذ أجر معين، وتسمى هذه الدروس باسم واقفها أو منشئها، وكان استمرار هذه الدروس أو انقطاعها مرهوناً باستمرار الواقف في الإتفاق عليها، وعلى متولي هذا الدرس ممن كان يتقاضى الأجر على عمله^(٤)، ويتولى التدريس بالحرمين من كان لديه كفاءة علمية، وذلك بعد حصوله على الإجازات العلمية والإذن بالتدريس، وكانت عملية التعيين في هذه الدروس تتم تحت إشراف السلطة التي تتولى بنفسها تعيين المدرسين بالحرمين؛ التي غالباً ما تسند مهمة التدريس فيهما لكبار العلماء وخاصة القضاة، وفقهاء المذاهب الأربعة^(٥)، وقد تميزت هذه الدروس الخاصة بأنها سننية على المذاهب الأربعة^(٦)، كما كان يتم تعيين معيدين في هذه الدروس، كما أنها كانت متوارثة يورثها القاضي أو الإمام لابنه أو أحد أقاربه^(٧)، وكان يتولى النظر في شؤون هذه الدروس موظف يدعى شيخ الدرس، ومن مهامه تعيين المدرسين، وتحديد عدد الطلاب ومكان الدرس، والإشراف على الوقف

(١) فريزي ساعاتي: الصحن المحيط بالكعبة، ص ١٤٤؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٦

(٢) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣١

(٣) محمد الطاسان: التعاليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٥.

(٤) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٦٤

(٥) محمد الطاسان: التعاليم في مكة، ص ٢٦؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٦

(٦) محمد السلمي: الأسرة الظهيرية، ص ١١٢

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٤٢/٩)

وتتميمه، وتحصيل ريعه وصرفه في مجاله^(١)، كما كانت هذه الحلقات أو الدروس العامة والخاصة تعقد في المشاعر المقدسة في موسم الحج في منى وعرفة ومزدلفة، وكانت ليالي منى مجالس علم وأدب وندوات علمية يقيمها علماء مكة وأدباؤها، ومن جاور بها، وكذلك ممن وفد من العلماء لأداء فريضة الحج، ويحضرها الكثير من العلماء والمفكرين والأدباء، فيجتمع إليهم الطلاب الذين تعودوا الأسفار حباً في السماع وتحصيل العلوم. ومن الطلاب من يقصد الحج رغبة في العلم ولقاء عالم مشهور سمع بقدومه للحج، كما كان يكثر اجتماع العلماء في مسجد الحنيفة ومسجد عرفة، وقد ذكر الرحالة المغاربة أنهم كانوا ينتهزون فرصة أيام الحج لحضور الدروس في هذين المسجدين، وما عدا ذلك كان يعقد في المسجد الحرام^(٢).

أما عن التعليم في المدارس فقد أنشئت المدارس في مكة في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي^(٣)، وأما المدينة المنورة فقد أنشئت بها المدارس في بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي^(٤)، وتميزت هذه المدارس بقربها ومجاورتها للحرمين الشريفين؛ بل إن بعضها كان لها أبواب ونوافذ مفتوحة على صفوف أعمدة الحرم^(٥)، وكان يلحق بالمدارس مكانٌ لسكن المدرسين والطلاب؛ بالإضافة إلى توفير مرتبات تجرى عليهم^(٦)، وكانت المدرسة إلى جانب الدور العلمي تقوم بعدد من الوظائف الاجتماعية؛ فكان بعضها مكاناً لنزول السلاطين^(٧) وكبار رجال الدولة المملوكية الوافدين إلى الحج، وعلى رأسهم أمير الحج وعدد من مرافقيه من كبار الدولة^(٨)، كما كان يعقد بها القوان، وتقرأ بها المراسيم^(٩)، كما جعلت هذه المدارس أماكن للتقاضي، أو انعقاد الصلح بين الأطراف المتنازعة؛ خاصة ما كان يحدث

(١) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٦.

(٢) أميرة مداح: المشاعر المقدسة، ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦.

(٣) شمع: القضاء والقضاء، ص ٣١٣؛ ليلي عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية، ص ٤٩٧؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي،

ص ١٤٧.

(٤) إلهام أكبر: بلاد ينبع، ص ٣٣٥.

(٥) ريشارد موديل: دراسات في تاريخ مكة والمدينة وجدة، ص ٣٩٠.

(٦) ربما القرائن: رعاية الفئات المحتاجة، ص ١٥٤.

(٧) فواز الدهاس: المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص ٣٦.

(٨) آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١٦٨.

(٩) سارة الزهراني: الحياة الاجتماعية بالمدينة، ص ٣٢٣.

بين عليّة القوم من الحكام وغيرهم^(١)؛ أما عن الطلاب الملتحقين بهذه المدارس فيختلف عددهم من مدرسة لأخرى تبعاً لقدرة المدرسة واستيعابها؛ ولا سيما أن ذلك مرتبط بالدعم المادي الذي يخصص جزء منه لسد حاجات الطلاب الذين يكونون غالباً من أصحاب الحاجات،^(٢) وعلى حسب الواقع الذي يزيد من عدد طلبة المذهب الذي يتبعه، ويقل من طلبة المذاهب الأخرى^(٣).

ومن المهن العلمية - كذلك - مهنة الإعادة، وهي وظيفة من وظائف العلماء، وهو ثاني رتبة بعد المدرس^(٤)، ومهمة صاحبها إعادة إلقاء الدرس الذي سبق وألقاه المدرس على الطلاب ليمتقنوه ويفهموه، وشرح ما صعب عليهم فهمه بعد شرح المدرس^(٥). ومما تميزت به مهنة الإعادة في العصر المملوكي أنها لم تكن تقتصر على أحد طلبة العلم في الحلقة أو المدرسة؛ إنما يتولاها العلماء من ذوي المكانة العلمية والاجتماعية؛ مثل: القاضي، أو أحد الأئمة بالمسجد الحرام أو النبوي، أو غيرها من دور العلم المعبرة في ذلك الوقت، والملاحظ أن المعيد كان يجمع - أحياناً - بين الإعادة وعدد من الوظائف الأخرى^(٦). ولما كانت مهنة الإعادة مرتبطة بالمدارس فإنه تأخر ظهورها إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٧)، وكان يُعين في المدرسة الواحدة أكثر من معيد تبعاً لتعدد المشايخ بتعدد المذاهب والتخصصات،^(٨) ولم يقتصر تعيين المعيد على المدارس؛ بل كان يُعين مُعيدون في الدروس العامة وكذا الدروس الخاصة، كما تعد مهنة المعيد من المهن المتوارثة التي كان يتوارثها من آلت إليه وظائف والده، وغالباً ما كان يتولاها القضاة إلى جانب عدد من الوظائف^(٩)، وقد ذكر ابن جماعة عدداً من الصفات التي ينبغي توفرها في المعيد، ومنها أن يكون من الفضلاء والصالحين،

(١) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٦٩.

(٢) فواز الدهاس: المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي؛ ص ٣٤؛ سليمان المالكي: الطبريون، ص ٢٧.

(٣) محمد العناقرة: المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، ص ٢٤٥.

(٤) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١١١٤).

(٥) حسين محمود: الرسولين والمماليك، ص ١٣٧.

(٦) محمد الطاسان: التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٢٧، ٤٣.

(٧) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٦٠.

(٨) هبام: الجمع إلى الحجاز، ص ٢٨٣؛ محمد فهم: ملامح النشاط الاجتماعي في مكة، ص ٥١.

(٩) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٤.

صبوراً على أخلاق الطلبة، حريصاً على فائدتهم وانتفاعهم به، وأن يعيد لهم ما توقف فهمه عليهم من دروس المدرس، ولهذا سُمي معيداً^(١).

ومن المهن العلمية التي عمل بها العلماء مهنة ناظر المدرسة، وهي مهنة ارتبطت بنشأة المدارس. وناظر المدارس مهمته إدارية حيث يدير المدرسة حتى تستمر بأداء مهمتها العلمية، ويشرف على العاملين فيها من مدرسين أو عاملين أو طلاب؛^(٢) بالإضافة للإشراف على أوقافها وصيانتها، وتنفيذ شرط الواقف بخصوصها ومراقبة أرباب الوظائف^(٣)، وأحياناً يُعين في هذه الوظيفة بمرسوم سلطاني^(٤)، وقد يجمع لشخص واحد نظر أكثر من مدرسه إلى جانب وظيفة^(٥)، وقد يجمع بين نظر المدرسة والتدريس فيها^(٦).

ومن المهن التي عمل بها العلماء في الحجاز مهنة خازن الكتب، وترجع هذه الوظيفة إلى العصور الإسلامية الأولى؛ فقد وجدت هذه الوظيفة عند العباسيين والدول التابعة للدولة العباسية وغيرها من الدول الإسلامية؛ نظراً لعناية المسلمين في العصور الوسطى بالعلم^(٧)، وكانت من الوظائف الهامة للمدارس، حيث كان يوقف منشي المدرسة مجموعة من الكتب على خزائنها، وهذه الكتب اختلفت في كثرتها وقلتها حسب مركز الواقف الاجتماعي والمالي، كما اختلفت في نوعها حسب مذهبه وميوله في جمع الكتب، كما أوقف العلماء على المكتبات. وتتمثل مهمة الخازن بصيانة وترميم الكتب والحفاظ عليها^(٨)، فعلى الخازن الاحتفاظ بالكتب وترميم شعنها، وحجبها عند احتياجها، والضئنة بها على من ليس من أهلها، وبذلك للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء^(٩)، وكان

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٣٨.

(٢) محمد السلمي: الأسرة الظهيرية بمكة، ص ١٤٠.

(٣) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٣/١٢١٤).

(٤) محمد الطاسان: التعاليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي، ص ٤٤.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٨٩).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٢٩).

(٧) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (١/٤٥٩).

(٨) محمد العنقري: المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، ص ١٠٧؛ آمنة جلال: المكتبات في المدينة المنورة، ص ١٦٩.

(٩) السبكي: معيد النعم، ص ٨٧، ابن طولون: نقد الطالب، ص ١٥٧.

منصب الخازن في العصر المملوكي منصباً رفيعاً يتولاه -في الغالب- أحد كبار العلماء في الفقه، أو اللغة، أو الأدب، أو غيرها من العلوم والمعارف السائدة في ذلك العصر^(١)، وبشروط فيه أن يكون أميناً، بقطاً، ذكياً، فطناً، قادراً على خزانة المدرسة^(٢).

ومن المهن العلمية التي عمل بها العلماء مهنة المقرئ، وتعد مهنة الإقراء من المهن الهامة لارتباطها بالقولان الكريم واختلاف ألفاظ قراءته^(٣)، ونظراً لأهمية المقرئ ودوره في تعليم القولان الكريم كان لابد لمن يتولى هذه المهمة أن تتوفر فيه شروط عدة، منها أن يكون محيطاً بعلم القولان والتجويد، وأن يكون عالماً بالقراءات وتفسير القولان ومعانيه وأعرابه. وقد أخذ علم القراءات نصيباً كبيراً من اهتمام العلماء في العصر المملوكي مقارنة بعلم التفسير، فقد عمل عدد من علماء الحجاز سواء من أهلها أو الواردين إليها بمهنة الإقراء، وأنفوا في علم القراءات، ومنهم من منح الإجازات العلمية في القراءات، وكان إقبالهم على علم التفسير تدريجياً وتالياً أقل مقارنة مع علم القراءات^(٤)، وتميزت مهنة الإقراء في العصر المملوكي بأنها لم تكن مقتصورة على إقراء القولان الكريم؛ بل شملت هذه المهنة إقراء الحديث، والإقراء في علوم أخرى كاللغة العربية^(٥)، وقد أوقفت على هذه المهنة بعض الأوقاف، وكان الواقف يحدد أجر من يتكسب من هذه المهنة، وقد "حددت وثيقة الأشرف لقارئ المصحف راتباً يقدر بسبعمئة وعشرين درهماً سنوياً، كما أشارت إلى تعيين ستة قراء مرتبين للقراءة مرتين يومياً بمقابل مادي يقدر بخمسة وعشرين درهماً يومياً^(٦)، كما جاء في إحدى وثائق الوقف: "تعيين مقرئ يقرأ تجاه الحجرة الشريفة النبوية في كل يوم نصف حزب من القولان العظيم في مصحف شريف بعد صلاة الصبح ويحتم دعاءه بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- والترضى عن الصحابة أجمعين، وإذا تعذرت القراءة بعد الصبح قرأ القارئ في أي وقت تيسر له قراءته فيه"^(٧)، كما ورد في وثيقة أخرى من وثائق الوقف تعيين قارئ مصحف وصحيح

(١) آمنة جلال: المكتبات في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٥٧؛ حورية السلمي: الأسر العلمية في المدينة، ص ٤٩.

(٢) محمد العناقرة: المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، ص ١٠٧؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢١١.

(٣) خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ٩٤.

(٤) فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢٠٥؛ صالح معوف: علم الحديث في مكة، ص ٤٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٥/٧).

(٦) راشد الصحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٨.

(٧) وثيقة وقف عائشة بنت بركة الأقبغاوي وزوجها ثاني بك بن عبد الله الإبراهيمي المؤرخة في سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م، دار الوثائق القومية،

البخاري، ويُصرف لقارئ المصحف الشريف المنسوب لهذا الواقف الذي مقره بمكة المكرمة كل سنة ذهباً ظاهرياً، ويُصرف لقارئ المصحف المنسوب للواقف الذي مقره بالمدينة الشريفة مدينة طيبة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كل سنة اثنا عشر ديناراً^(١)، كما نصت وثيقة الأشرف شعبان على أن يصرف لقارئ الحديث مبلغ ثلاثة درهم وستين درهماً، وفي الغالب يقرأ من صحيح البخاري، أو صحيح مسلم، أو مما اختصر منهما، أو من بقية الكتب الصحاح، ويقرأ بعد ذلك سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة، ثم يدعو للسلطان أشرف شعبان ولوالديه وذريته ولجميع المسلمين^(٢).

ومما يلحق بذلك مهنة المُحدث حيث يُعد علم الحديث من أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله عز وجل؛ إذ إن الأحكام مبنية عليهما ومستنبطة منهما، وهما أساس العلوم الشرعية ومصدرها،^(٣) والمُحدث هو كل من يهتم بالتعاطي مع أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - بطريق الرواية والدراسة، والعلم بأسماء الرجال وطرق رواية الأحاديث ومعرفة الأسانيد ونحو ذلك.^(٤) وقد عرّف حاجي خليفة علم الحديث بأنه: علم يعرف به أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وأحواله؛ فاندرج فيه معرفة موضوعه؛ وأما غايته فهو الفوز بسعادة الدارين^(٥)، وقد عرفت حلقات علم الحديث في المسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرها من مساجد الحجاز، وكان الحرمان ملتقى للفقهاء والمفسرين وغيرهم من أرباب العلوم الأخرى والمحدثين وخاصة في موسم الحج.^(٦) ولأهمية علم الحديث فإنه كان من أولى العلوم التي يبدأ بتعليمها لطالب العلم بعد القرآن الكريم، ومما تميز به علم الحديث في العصر المملوكي تخصيص دروس للحديث أوقفها السلاطين

رقم ١٢٣، أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٤١٠

(١) وثيقة وقف الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة المؤرخة في ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م، دار الوثائق القومية، رقم ١٠٥، أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٤٠٥

(٢) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ٩٣

(٣) صالح معوق: علم الحديث في مكة، ص ٣

(٤) عبد العزيز السندي: الحياة العلمية في مكة، ص ١٩٤

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، (١/ ٦٣٥)

(٦) صالح معوق: علم الحديث في مكة، ص ٦

والأمراء، كما قام العلماء خلال هذا العصر بالعديد من الجهود من أجل الحديث ونشره، وبلغ من حرصهم على ذلك أن من المحدثين من عمل على التحديث ونشر العلم؛ فنجد أن منهم من حدث بالحرم خلال مدة مجاورته^(١)، ومنهم من حدث خلال حبه فيحدث في كل مرة يحج فيها، فيجمع بين الحج ونشر الحديث^(٢). وبلغت العناية بعلم الحديث وعدم انقطاع سلسلة الإسناد أن توسع المحدثون في إجازة الطلاب فأجازوا الغيب والأطفال الذين لا يزالون في سن مبكرة^(٣)، كما عين عدد من الواقفين من السلاطين أو الأمرأ أو الأعيان وغيرهم أشخاصاً مهمتهم قراءة أحد كتب الحديث النبوي، ويحدد له مبلغاً مقابل ذلك^(٤)، وكان المحدثون يحدون احتساباً، إلا أن منهم من أخذ على التحديث لحاجته^(٥)، ومن ذلك يبين مدى عناية علماء الحجاز بعلم الحديث فلم يذخروا وسعاً في خدمة علم الحديث؛ سواءً بالتحديث، أو بحفظه، أو تدريسه، أو الرحلة إليه والتأليف والتصنيف في شتى فنونه^(٦).

ومن المهن العلمية التي امتنها العلماء مهنة الفقيه، والفقه من العلوم الهامة التي كانت تدرس في معظم الحلقات والمدارس، وقد لاقى اهتماماً من الواقفين الذين عينوا دروساً خاصة في الحرمين، منها ما جعل في مذهب بعينه مثل درس يلغا الذي قرر تدريس المذهب الحنفي^(٧)، ومنها ما جعل للمذاهب الأربعة كدرس الأشرف شعبان^(٨)، كما أفرد بعض من اشغل بهذه المهنة درساً خاصاً بالمناسك والتأليف فيها^(٩).

ومن الحرف الاجتماعية حرفة الشهادة، وتعد الشهادة من الحرف المهمة المرتبطة بالقضاء، ولا يمكن للقاضي البت في الأحكام دون الشهود، ولا تتم عقود البيع والشراء وعقود النكاح إلا بوجود الشهود. ولأهمية الشهادة فقد عدَّ

(١) الصفدي: أعيان العصر، (٦١٨/٤).

(٢) الصفدي: أعيان العصر، (٤٥٨/٤).

(٣) صالح معنوق: علم الحديث في مكة، ص ١٠٥.

(٤) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ٩٣.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٣٦/١).

(٦) صالح معنوق: علم الحديث في مكة، ص ٨٧.

(٧) خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ٢٢٤.

(٨) محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١٩٩، ٢٠٣.

(٩) صالح معنوق: علم الحديث، ص ٥٤.

الفقهاء أداءها فرضاً واجباً ولا يجوز كتمانها^(١) لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢). ويعرف الشهود في الغالب - بأنهم مجموعة من الكتاب الثقات العارفين بشؤون العقود والكتابة، ومهمتهم التأكد من صحة العقود والتوقيع عليها منعاً لحدوث مشكلات يسببها في المستقبل، وهم موظفون عند القاضي، ولا يمكن للقاضي أن يصدر حكماً إلا بحضور شاهدين عدلين على الأقل، وكذلك البيع والشراء والصكوك فلا ينعقد العقد إلا بشهادة الشهود^(٣)، ومن مهام من عمل بهذه المهنة أيضاً تحري رؤية الهلال لإثبات بدايات الشهور على مر العام، وفي مقدمتها هلال رمضان والعديد وشهر ذي الحجة^(٤)، ومنهم من يقسمون ما يتنازع عليه الشركاء من مال عرفوا بشهود القيمة، ويُعدّ قرارهم ملزماً للأطراف المتنازعة^(٥)، وكان الشهود في الغالب - ممن عرفوا بالصالح والتدين من الفقهاء، ورجال الحديث، وخطباء المساجد، وأهل الفتيا، والقراء، وغيرهم من ذوي الوجيهة في المجتمع^(٦). ولأهمية الشهادة وما يترتب عليها من حفظ للحقوق كان هناك عدد من الشروط الواجب توفرها فيمن يعتد به من الشهود من أهمها: العدالة، والعقل، والبلوغ^(٧)، وأن يكون ملماً بكتابة العقود وشروط صحتها، وغيرها من الشروط الشرعية الواجب توفرها في الشاهد^(٨). ومن يلحق بهذه المهنة من احترف الشهادة وأخذ الأجر عليها، وكانوا يتخذون دكاكين ومصاطب، ويقصدهم أصحاب المعاملات لتحرير العقود والمعاملات والشهادة عليها، ويحصلون على أتعابهم من المتخاصمين أنفسهم، والقاضي هو الذي يقدر قيمة عملهم، ويلزم المتخاصمين بدفعها إليهم^(٩). وما يؤكد عليه الباحثة أن التكسب بحرفة الشهادة كان مقتصراً بما يتعلق بالأحوال الشخصية: كعقود الأنكحة، وإصدار صكوك الطلاق والخلع، والشهادة على تقسيم الموارث، وغيرها من الأمور المباحة.

(١) سلامة هرفي: القضاء في الدولة الإسلامية، ص ٦١٢

(٢) سورة البقرة: آية ١٤٠

(٣) محمد أمين: الشاهد العدل في القضاء الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ١٣٤.

(٤) عبد الوهاب أبو سليمان: باب السلام في المسجد الحرام، ص ٦٥.

(٥) محمد أمين: الشاهد العدل، ص ١٣٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٦٢١/٢).

(٦) محمد أمين: الشاهد العدل، ص ١٣٠؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ١٩٥، ١٩٧.

(٧) السمتاني: روضة القضاء، ص ٢٠٦، ٢٠٥؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (٧٧٥/٢).

(٨) حسن باشا: الفنون الإسلامية، (٧٧٦/٢)؛ سلامة هرفي: القضاء في الدولة الإسلامية، ص ٦١٣.

(٩) محمد الطاسان: الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، ص ٣١٥.

ومن المهن الاجتماعية التي عمل بها العلماء إصلاح ذات البين، وتعد من الأعمال التي حث عليها الإسلام ورغب فيها؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١)، وكذا في قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٢)، وكانت من المهام المسندة للقضاة في العصر المملوكي، إلا أن القضاة قاموا بهذه المهمة حيناً، وعينوا من يتوب عنهم فيها حيناً آخر، وقد تولى العلماء هذه المهام نيابة عن القضاة في ذلك العصر^(٣)، وفي الفصل في بين الناس على اختلاف طبقاتهم^(٤).

ومن المهن التي عمل بها العلماء إبرام عقود الأنكحة وتوثيق العقود التي كانت غالباً ما تستند للقضاة، وكانوا - أحياناً - يعينون نواباً يتوبون عنهم في هذه المهمة، وكانت عقود الأنكحة تتم - في الغالب - بالمساجد، وبالذات في الحرمين الشريفين وغيرها من المساجد، والمدارس، والبيوت^(٥). وما يلاحظ بعقود الأنكحة عقود البيع، والإجارة، والهبة، والوصية، وعقود الطلاق، والخلع^(٦)، ويختار لها من شهد له بحسن الخط، وترتيب اللفظ، واتساع في العلم، وأن يكون خيراً، عالماً، ورعاً ليكفي القاضي والحاكم عند رؤية خطه ولفظه البحث والتعب فيهما من براءة التلبس والتدليس^(٧).

ومن المهن - كذلك - مهنة الوعظ أو الميعاد، وهي عبارة عن دروس تسمى الميعاد أو المواعيد^(٨)، يقوم بها صاحبها تطوعاً في الغالب، وأحياناً يحصل على مقابل مالي^(٩)، وكان الوعاظ يزاولون هذه الدروس في المساجد والمدارس

(١) سورة النساء: آية ١١٤

(٢) سورة الأتفال: آية ١

(٣) القاسي: العقد الثمين، (٥/٢٥، ٤٦)؛ التجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٥٣٣)؛ شرح الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ٩٦

(٤) محمد الطاسان: القضاء في مكة المكرمة في العصر المملوكي، ص ٢٠٥.

(٥) العز بن فهد: بلوغ القري، (٢/١٧٣، ٣١٣).

(٦) خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ١٩٦

(٧) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والحسب، ص ١٣

(٨) الميعاد أو المواعيد المقصود بها الأوقات التي يحددها المدرسون لطلابهم من أجل إلقاء الدروس والمحاضرات عليهم؛ سواء كانت هذه الدروس يومية أو أسبوعية، ويتقاضى بعض المدرسين نظير ميعاده راتباً معيناً؛ بينما يلقبها البعض الآخر تطوعاً، وجباً للنصح وفعل الخير، فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٥٦

(٩) شجاع: القضاء والقضاء، ص ٣١٠

والجالس العامة والخاصة^(١)، وتكثر ممارسة الوعظ والإرشاد في الحج خصوصاً في المشاعر المقدسة^(٢)، وبلغ الاهتمام بمهنة الوعظ في ذلك العصر أن ركب الحج كان يرافقه عدد من الوعاظ يقومون بهذه المهمة في الطريق، وبعد الوصول إلى مكة والمشاعر المقدسة^(٣).

ومن المهن التي عمل بها العلماء في هذا العصر مهنة السقاية، وهي من المهن المهمة فقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم - عمه العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - عليها يوم فتح مكة المكرمة^(٤)، وعرف من تولى هذه الوظيفة بالزمزمي، وتوارث هذه المهنة عدد من الأسر المكية: بعضها من أهل البلد الأصليين، والبعض الآخر من وفد عليها أو جاور فيها.^(٥)

ومن المهن والحرف الأصيلة المهمة الطب التي تعد من المهن العلمية التي لا غنى لأي مجتمع عنها، والواقع أن مدن الحجاز عرفت أنواعاً منها؛ كالعلاج بالكلي، والتجبير، ومعالجة الجروح وغيرها^(٦)، كما أن غالب من عمل بالمهن المرتبطة بالطب كانوا من العلماء الجاورين أو الوافدين، وقد أحضر الكثير منهم عدداً من المهن الطبية وعملوا فيها في مدن الحجاز، وخاصة مدنه الكبرى؛ مثل: مكة، والمدينة، وجدة، والطائف، وبتبع وغيرها، وكانت كلمة البيمارستان^(٧) تطلق على المكان الذي يجري فيه التطبيب الذي عرفته بعض مدن الحجاز؛ كمكة والمدينة، وجدة. ولأهمية هذه المهنة عمد

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، (١٣٠٢/٣).

(٢) أميرة مداح: المشاعر المقدسة عبر العصور، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) أميرة مداح: المشاعر المقدسة عبر العصور، ص ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦.

(٤) لما توفي عبد المطلب بن هاشم تولى أمر السقاية ابنه أبو طالب فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم فصرفها، وجاء الموسم ولم يكن معه شيء، فطلب من أخيه العباس أربعة عشر ألف درهم إلى الموسم القادم، فشرط عليه إذا جاء الموسم ولم يقضه أن يترك له السقاية فقبل ذلك، وجاء الموسم ولم يقضه فترك له السقاية، فكانت يد بني العباس بن عبدالمطلب قابله إلى أن انقضت خلافتهم وهم يضعون عليها نوابهم. الأزرقي: أخبار مكة، (١٨٣/١)، حسن كردي: التاريخ القويم، (٥٢٩/٢).

(٥) عبد الله غازي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، ص ٣٢.

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٩٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٣٢/٧).

(٧) البيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين: (بمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، و(ستان) بمعنى مكان أو دار؛ فهي -إذن- دار للمرضى، أحمد بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٤.

المسؤولون إلى تخصيص مشيخة لها أطلق عليها مشيخة البيمارستان^(١). وإلى جانب الأطباء الذين هم الأساس الذي يقوم عليه العمل في البيمارستان عين ناظر للبيمارستان يكون المسؤول الأول عن الوقف، ويقوم برعايته، والعمل على إنمائه وحسن استغلاله طبقاً لشروط الوقف، ولا يشترط أن يكون الناظر طبيباً باعتبار أن مسؤوليته تقتصر على الجانب الإداري^(٢)، وكان يشترط فيمن تولى نظر البيمارستانات أن يكون على جانب كبير من الديانة والأمانة والصلاح، كما أنهم أصحاب الثراء منهم في تخصيص الأوقاف وتقديم الهبات التي تعد مصدراً أساسياً للإلتحاق على البيمارستان^(٣)، وكان يعين في البيمارستان صيدلي، وهو المختص بعلم الأدوية وطرق تركيبها، ويعمل تحت يديه عدد من القومة المشرفين والخدم الذين يساعدونه بما يوجههم إليه من عمل لتقديم الأدوية للمرضى بالبيمارستان^(٤)، ولم تكن الصيدلية موحدة بمفهومها الحالي؛ وإنما كانت قائمة على التدوي بالأعشاب في أماكن عرفت باسم حوانيت العطارة^(٥)، وبعد أمين الخواصل أحد أهم موظفي البيمارستان، وهو الذي يفرق الطعام والشراب على المرضى بالبيمارستان، ومثله خازن الأدوية، وهو من يحفظ الأدوية والأشربة، وغيرهم من الموظفين المتعلقين بالجانب المعماري والجانب الخدمي للبيمارستان^(٦)، ويبدو أن البيمارستان لم تقتصر مهامه على مداواة المرضى من سكان مدن الحجاز والمجاورين فيهما أو الوافدين إليهما؛ وإنما كانت البيمارستانات في الوقت نفسه معاهد علمية، ومدارس لتعليم الطب؛ نظراً لقرب الطلبة من الحالات المرضية، وتوفير سبل العلاج المتنوعة فيها^(٧)، وكانت هذه المهمة تستند "لشيخ الأطباء"، وهو الذي يدرس الطب إلى جانب عمله في البيمارستان، ويخصص له

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (١/١٧٠)، (٧/٢٤٨).

(٢) غادة القبلان: البيمارستانات أوضاعها وآثارها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٧هـ، ص ١٥٤.

ص ١٥٤؛ أحمد بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ١٥٤.

(٣) ربما قرناس: رعاية الفئات المحتاجة، ص ١٨٠.

(٤) غادة القبلان: البيمارستانات، ص ١٦٣.

(٥) عواطف نواب: بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري وحتى وقتنا الحاضر، ص ٣٨١.

(٦) غادة قبلاان: البيمارستانات، ١٦٠؛ أحمد بك: تاريخ البيمارستانات، ص ١٩.

(٧) ربما قرناس: الرعاية الاجتماعية في مكة والمدينة، ص ١٨١؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٦٣؛ غادة القبلان:

البيمارستانات، ص ١٣٧.

الواقف -عادة- مكاناً محدداً لإلقاء دروس الطب على طلبته، وقد نصت وثيقة البيمارستان المنصوري^(١) على تعيين شيخ للاستغال بالطب يكون من بين أطباء البيمارستان^(٢)، وهكذا نجد أن البيمارستانات في العصر المملوكي كانت تسير وفق تنظيم دقيق؛ حيث كان يعين فيها عدد من الموظفين؛ كل له مهامه ومسؤولياته التي تسهم في قيام البيمارستان بالمهام المكلف بها؛ فضلاً عن الاهتمام بالجانب العلمي حيث كان يدرس فيه الطب من قبل شيخ الأطباء.

أما عن المهنة والحرف المختلطة فمنها مهنة الطوافة التي تعد من المهن الدينية، والمطوف هو من صناعته أو حرقته إرشاد الحجاج إلى ما يتعلق بأداء مناسك الحج وخدمتهم^(٣)، وهي من المهن التي اقتضت -في الغالب- على أهل مكة، أو ممن وفد عليها منذ سنوات طويلة وأصبحوا من سكانها بحكم العيش بها، ولعل السبب الرئيس في ظهور مهنة الطوافة يعود إلى وجود طائفة من الوافدين الذين أقاموا بمكة من شتى أنحاء العالم الإسلامي واحتفظوا بلغتهم الأم مع إتقانهم العربية؛ فكان من يقد على مكة من بني جلدتهم عملوا على خدمتهم وإرشادهم لسهولة التفاهم معهم^(٤)، وقد أشار بعض الرحالة إلى أشخاص بالحرم المكي مهمتهم تطويق الحجاج وتلقينهم الأدعية، ومنهم الرحالة ابن رشيد الذي أشار في رحلته خلال القرن السابع إلى ذلك بقوله: " فوافينا مكة -شرفها الله- فتلقنا أهل مكة وأطفالها متعلقين بالناس ليعلموهم المناسك ويهدوهم المسالك، قد دُرب صبيانهم على ذلك، وحفظوا من الأدعية والأذكار ما يحسن هنالك"^(٥). ولا يعرف بالتحديد متى شاعت هذه المهنة في مكة المكرمة؛ إلا أنها وجدت - بشكل واضح - في عهد المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، وتحديدًا سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وذلك عندما قام القاضي برهان الدين بن ظهيرة بمرافقة وتطويق السلطان قايتباي عندما حج في هذه السنة^(٦)، ومنذ ذلك الوقت عرفت الطوافة كمهنة، وأطلق على من يقوم بها

(١) البيمارستان المنصوري أو دار الشفاء، ويقال له مارستان قلاوون، يقع بالقاهرة مكان قاعة للسيدة الشريفة ست الملك ابنة العزيز بالله

الفاطمي، بناه الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، بواسطة الأمير علم الدين سبجور الشجاعلي، وقد رتب في هذا البيمارستان

الأطباء والأدوية وتوظفه إدارياً ورتب شؤونيه، أحمد بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٨٣.

(٢) عادة القبائل: البيمارستانات، ص ١٥٩.

(٣) الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (٥٧١/١).

(٤) عواطف نواب: بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري وحتى وقتنا الحاضر، ص ٣٩٣.

(٥) ابن رشيد: ملء العيبة بما جمع بحلول الغيبة، ص ٨٠؛ عواطف نواب: بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة، ص ٣٩٢.

(٦) الجزيري: الدرر الغرائب، (٣٦٨/١)؛ شرح الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ١١٤.

مطوف، وباتت تعني الدليل والمرشد للحاج والمعتمر يطوفه ويعرفه بالمشاعر، ويبدو أن هذه شاعت خلال هذا العصر لما اشتهر به الممالك الجراكسة من جهل باللغة العربية، وميلهم إلى الأبهة والترف والبذل؛ فاعتمدوا على من يخدمهم خلال أدايتهم مناسك الحج ويتلو أمامهم أدعية^(١)، والملاحظ أن هذه المهنة يتولاها غالباً أهل العلم والمكانة الرفيعة في المجتمع الملكي، وعلى رأسهم القضاة الذين اختصوا بتطويق عالية القوم وتلقينهم الأدعية في الطواف والسعي^(٢).

ومن المهن والحرف المختلطة -أيضاً- مهنة الوراقة، وهي من أجود الصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصحف، وكُتب العلم، ووثائق الناس^(٣)، وتعد الوراقة من المهن التجارية ذات الارتباط الوثيق بالجانب العلمي؛ لذلك فإن أكثر الذين عملوا بها كانوا من العلماء من الفقهاء، والمحدثين، والقضاة، والنحاة، واللغويين، والإخباريين، والشعراء، والكاتبين، ودلائي الكتب وغيرهم^(٤). ويطلق على الوراق أحياناً -الكاغدي والقراطيسي^(٥)، وتشمل هذه المهنة ماله علاقة بالكتاب من نسخ الكتاب وتجليده وتزويقه وتحليته؛ فضلاً عن التوسط في بيعه، أو بيع أدوات الكتابة أو الورق، فقد كان الوراقون بمثابة الناشرين للكتب، وتقوم الوراقة مقام الطباعة في عصرنا الحاضر^(٦)، وزادت أهمية هذه الحرفة في العصر المملوكي؛ نظراً لتزايد النشاط العلمي في كل أقاليمها وأقاليم الحجاز خاصة لتنامي أعداد العلماء؛ سواء من كان مقيماً بها من العلماء، أو ممن وفدوا على هذا الإقليم من مجاورين ومهاجرين ورحالة؛ إلى جانب العلماء من أهل الحجاز، حيث صاحب ذلك كثرة التأليف والتصنيف وعقد الحلقات العلمية؛ إضافة لظهور عدد من المدارس في مدن الحجاز الكبرى الذي زاد من الحاجة لنسخ الكتب والمقررات الدراسية^(٧).

(١) أحمد السباعي: تاريخ مكة، (١/٣٨٣)؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة، ص ٢٠٣.

(٢) شريح الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ١١٥.

(٣) ابن طولون: قد الطالب، ص ١٧٩.

(٤) يحيى الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ٨٧، ١٠٧.

(٥) خير الله سعيد: موسوعة الوراقة والوراقين، (١/٢١)؛ عبد العزيز السديدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر

المملوكي، مجلة عالم الكتب، مجلد ٢٥، العدد ١، ٢، رجب-شعبان/رمضان - شوال ١٤٢٤هـ، ص ٥، ٦.

(٦) عبد الوهاب أبو سليمان: باب السلام في المسجد الحرام، ص ٣٩١.

(٧) عبد العزيز السديدي: المجاورون في مكة، ص ٤؛ وداد الجعيد: الهجرات السكانية إلى مكة المكرمة، ص ٣٢٣، ٢٩٢؛ قال: الأوضاع

الاجتماعية للعلماء، ص ٦٥.

ومن المهنة التي تلاحق بحرفة الوراقة حرفة التجليد والتذهيب، وهما من الحرف المرتبطة بالكتاب والمكاملة لعمل الناسخ، ويعدّها ابن الحاج من أهم الصنائع في الدين؛ إذ بها تصان المصاحف وكتب الحديث والعلوم الشرعية^(١)، أما المذهب فهو من يستخدم الذهب في الكتابة أو الزخرفة، وكان الممارسون لهذه المهنة على فئتين؛ الأولى: من النساخ الذين نسخوا أعمالاً بمداد من الذهب، والفئة الثانية هم: الفئة الحرفية الذين كانوا يزخرفون الكتب بأنطُس صفحاتها أو ثلث اللون الذهبي على ورقها تحلية له، أو زخرفته بأشكال جمالية^(٢).

وكذلك من المهنة التي عمل بها الحجازيون صناعة السبج وما يلحق بها من عقود الزينة والأساور وغيرها، وكانت من الصناعات التي اشتهرت في مدينة جدة لاعتمادها على مادة البسر أو الأبنوس الذي كان يستخرج بكثرة من مياه البحر الأحمر، كما عرف المكيون هذه الحرفة على مدى قرون طويلة، ويمارس أصحاب هذه الصناعة تصنيع السبج المختلفة على مدار العام في منازلهم وفي حوانيتهم، وتعد هذه الصناعة من أدق الصناعات وأكثرها مشقة؛ حيث يتناول الصناع مادة البسر فيقطعونه ويهذبونه بمهارة فائقة، ثم يصنعون منه حبات المسابح المعروفة التي يروج سوقها في مواسم الحج والعمرة؛ حيث كانت تلاقى رواجاً كبيراً أيام الموسم، كما تعد من أهم الهدايا التي يصطحبها الحجاج لذويهم لدى عودتهم إلى بلادهم^(٣).

ومن المهنة التي عمل بها العلماء -كذلك- مهنة المُتَشَدُّ أو المادح، وقد أشارت وثيقة الأشرف شعبان إلى ما يشترط على المادح في أن يستفتح بقراءة ما تيسرت له قراءته من كتاب الله تعالى، ثم يمدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقصائد المشهورة، ثم يحتم بسورة الإخلاص والمعوذتين وخواتيم سورة البقرة، ثم يدعو للسلطان وللواقف ولذريته ومن سلف منهم ولجميع المسلمين^(٤)، وغالباً ما تسند هذه المهنة للمؤذنين؛ فيجمع المؤذن بين وظيفة الأذان ومهنة المادح^(٥)، كما يبدو أن هذه المهنة تشمل أيضاً -إتساده وإلقاء المادح في المناسبات العامة كالزواج والختان وغيرها

(١) المدخل، (٤/ ٨٧).

(٢) نزهة شجادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، ص ٤٢٦.

(٣) محمود السيد: الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك، ص ١١١؛ عبد الوهاب أبو سليمان: باب السلام في المسجد الحرام، ص ٣٨٨.

(٤) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٨.

وختاماً فإن ما أوردته الباحثة عن الوظائف والمهن والحرف سواء الأصلية أو الوافدة أو المختلطة هو ما توافر لدى الباحثة من خلال المصادر والمراجع التي تيسر الاطلاع عليها .

^(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٨ / ٥٠٥)؛ السخاوي: الضوء اللمع، (٨ / ٧٩) .

الفصل الثاني

وظائف العلماء الدينية والعلمية والإدارية:

المبحث الأول: الوظائف الدينية.

المبحث الثاني: الوظائف العلمية.

المبحث الثالث: الوظائف الإدارية.

كان العمل بالوظائف من أهم مصادر دخل علماء الحجاز التي كانت تابعة للمالِك آنذاك، وكان من مظاهر سياسة المالِك اهتمامهم بالعلماء ووضعهم في مكانة سامية في المجتمع، وتوليهم المناصب الدينية والعلمية؛ فضلاً عن الإدارية؛ سواء كانوا من أهل الحجاز الأصليين، أو الوافدين، فقد كانت السُلطة ترى أن العلماء هم الأجدر والأكفاء لتولي الوظائف، حتى تلك التي لا تتطلب أن يكون متولّيها على قدر كبير من العلم كالوظائف الإدارية^(١)، وكان العلماء المتولون لهذه الوظائف في الغالب من أهل السنة على المذاهب الأربعة؛ وكان للمذهب الشافعي النصيب الأوفر من هذا التعيين؛ لأنه المذهب الرسمي للدولة المملوكية،^(٢) وفيما يلي عرض لعلماء تسموا هذه الوظائف:

المبحث الأول: الوظائف الدينية:

تعد الوظائف الدينية من أهم الوظائف التي تولّاها العلماء، وتتطلب من يشغلها أن يكون على قدر كبير من العلم خاصة العليا منها، وبالذات ما كان مرتبطاً بال الحرمين؛ كالخطابة، والإمامة؛ تاهيك عما يلحق بها؛ كالقضاء، والإفتاء؛ فضلاً عما هو متعلق بالحياة العامة والأسواق كوظيفة الحسبة. ومن أهم هذه الوظائف وظيفه القضاء؛ ونظراً لأهمية هذه الوظيفة التي تعد من أجل الوظائف الدينية؛ فقد حرص سلاطين المالِك على أن يعينوا فيها كبار العلماء، وقد اختصت بعض البيوت أو الأسر العلمية بتولي أفرادها وظيفه القضاء حتى تكاد أن تكون هذه الوظيفة محصورة في هذه الأسر ولا تخرج عن أفرادها في الغالب؛ على الرغم من أن التعيين في هذه الوظيفة يكون من السلطة بمصر. ومن أشهر الأسر القضائية بمكة المكرمة أسرة الطبري، والنويري، والفاسي، والظهري^(٣)؛ أما عن قضاء الشافعية؛ فعندما قامت الدولة المملوكية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م كان القضاء بمكة المكرمة على المذهب الشافعي وفقاً لما هو معمول به في مصر^(٤)، وكان يتولى القضاء في مكة المكرمة القاضي عمران بن ثابت بن خالد بن سليمان الفهري، واستمر في منصب القضاء حتى وفاته سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م^(٥)، كما تولى قضاء الشافعية علماء من أسرة الطبري؛ حيث استأثر الطبريون بالنصيب الأوفى من

(١) منصور الصوفي: الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي، ص ٥٠.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٣٠٩).

(٣) سليمان المالكي: الطبريون، ص ٧٥١.

(٤) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ١٦١.

(٥) ابن تقي بري: المنهل الصافي، (١/٥٠٧)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ١٦١.

القضاء، وكان لأنصار المذهب الشافعي من الطبريين الصدارة في ولاية ذلك المنصب^(١)، وكان ممن تولى القضاء منهم جمال الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الطبري الذي استمر قاضياً مدة سنتين، ثم تولى بعدها عن القضاء، وعاد إليه في رمضان سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، وظل قاضياً حتى وفاته سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م^(٢)، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي، ولى قضاء مكة بعد أبيه مدة تزيد على خمس وثلاثين سنة، (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)^(٣)، وأحمد بن جمال الدين محمد بن محب الدين الطبري المكي الشافعي الذي تولى قضاء مكة، (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)^(٤)، وشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن نجم الدين الطبري المكي الشافعي الذي ولى قضاء مكة، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٥)، ومن تولى قضاء مكة من بني ظهيرة: أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية المخزومي المكي، ولى قضاء مكة بعد أبي الفضل التويري، ثم عزل بولده أبي الفضل ومات وهو معزول، وكانت مدة ولايته سنة وتسعة أشهر، (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)^(٦)، ومحمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد القرشي المخزومي المكي، تولى قضاء مكة من سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م إلى أن مات؛ إلا أنه صُرف مراراً وأعيد ومات وهو على القضاء، (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)^(٧)، وأشهر من تولى القضاء من هذه الأسرة جمال الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي، فقد ولى قضاء مكة المكرمة وعزل وأعيد مراراً، توفي وهو قاضٍ بمكة سنة ٨١٧هـ/١٤١٦م^(٨)، وكمال الدين أبو البركات محمد بن أبي السعود بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي، ولى قضاء مكة ونظر الأوقاف بها والربط، وياشر ذلك ثم عزل، واستمر معزولاً إلى أن توفي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م)^(٩)، ومحب الدين أحمد

(١) سليمان مالكي: الطبريون، ص ٥٨

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٤١٩)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٠٤؛ سليمان مالكي: الطبريون، ص ٦٩

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٧١)؛ ابن تقي بردي: المنهل الصافي، (١١/٤١).

(٤) الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ١٤؛ الفاسي: العقد الثمين، (٣/١١٩).

(٥) الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ١١٨؛ الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٦١).

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، (١/٤٠).

(٧) ابن شهية: طبقات الشافعية، (٤/٦٧).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٥٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٩٢)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/١٨٥)؛ محمد شجاع: القضاء

والقضاة، ص ٢١١

(٩) ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/٢١٦).

بن جمال الدين محمد بن ظهيرة المخزومي الشافعي، كان قاضي مكة ومفتيها، ولى قضاء مكة من سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م إلى أن مات سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م^(١)، ومحمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود بن ظهيرة المخزومي الشافعي ولى خطابة المسجد الحرام، ثم ولى قضاء مكة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م)^(٢)، وظهيرة بن محمد بن محمد القرشي المكي المالكي ولى قضاء المالكية بمكة بعد ابن أبي اليمن سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م، ولم يلبث أن مات في ذي الحجة من تلك السنة^(٣)، وإبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن ظهيرة الذي تولى قضاء مكة المكرمة نحو ثلاثين سنة، (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)^(٤)، ومن تولى القضاء من أسرة النويري أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي الشافعي، فقد ولى قضاء المدينة المنورة في حياة أبيه، ثم تحول إلى قضاء مكة سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م ومات بها سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م^(٥)، وجمال الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري الشافعي، ولى قضاء مكة وخطابتها، وكانت مدة ولايته لقضاء مكة ثلاثاً وعشرين سنة، (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)^(٦)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري المكي الشافعي، ولى قضاء مكة، كما ولى الحسبة وقتاً، (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)^(٧)، ومحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري المكي الشافعي، تولى قضاء مكة وخطابتها (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٨).

أما عن قضاء الحنفية فقد استمر القضاء بولاه الشافعية حتى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م؛ حيث استحدثت وظيفة القاضي الحنفي بمكة في هذا العام، وعُيِّن القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الصاغانى أول من وليها مستقلاً، وقد ولى قضاء الحنفية بمكة رفيقاً لقاضيها الشافعي من قبل السلطان الناصر فرج في مصر، وعزل وناب في

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٣٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٣٤).

(٢) السيوطي: نظم العقيان، ص ١٦٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٥).

(٤) السيوطي: نظم العقيان، ص ١٧.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٢٣)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (١/٥٦٤)؛ المقرئ: درر العقود، (١/٣٢٩)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة،

(١/٢٢١)؛ ابن تقي بري: المنهل الصافي، (٢/٨٦)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٨/٦٠٩).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (١/٣٠٠)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (١/٢٩٦)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٨/٥٠٢).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٨٤٠).

(٨) السيوطي: نظم العقيان، ص ١٦٠.

الحكم عن الجمال محمد بن عبدالله بن ظهيرة، ثم أعيد إلى قضاء الحنفية سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وعزل سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ثم أعيد واستمر حتى مات سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م^(١)، ومن العلماء الذين تولوا القضاء ابن الضياء أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الصاغانى المكي الحنفي، ولي قضاء مكة المكرمة نيابة عن أخيه القاضي جمال الدين، (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)^(٢)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد ابن الضياء الصاغانى المكي الحنفي الذي تولى قضاء مكة المكرمة نيابة واستقلالاً، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن الضياء الصاغانى الحنفي المكي، الرضي أبو حامد، تولى قضاء مكة المكرمة نيابة واستقلالاً، (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٤).

ومن تولى قضاء الحنفية -كذلك- بدر الدين الحسين بن أحمد بن محمد بن ناصر الحنفي الهندي الأصل، المكي المولد والدار، تولى قضاء مكة المكرمة نيابة عن قاضيه جمال الدين بن ظهيرة، (ت ٨٢٤هـ/١٤٢١م)^(٥)، وأحمد بن محمد بن محمد بن محمد البخاري الأصل المكي الحنفي، تولى القضاء والإمامة، (ت ٩٤٨هـ/١٥٤١م)^(٦).

أما عن قضاء المالكية فقد استحدثت وظيفة القاضي المالكي سنة ٨٠٧هـ/٨١٧م؛ كان أغلب من تولى قضاء المالكية من أسرة الفاسي، ومنهم: محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي المكي المالكي، تولى قضاء المالكية بمكة، وهي أول وظيفة قضاء للمالكية أحدثت بمكة، وقد تولى القضاء عشر سنوات متتالية من سنة ٨٠٧-٨١٧هـ/١٤٠٤-١٤١٤م، واستمر في هذا المنصب ثم صرف ثم أعيد واستمر معزولاً حتى مات ٨٣٢/١٤٢٨م^(٧)، وأحمد بن علي بن محمد بن محمد الفاسي المكي، ولي قضاء مكة، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٨)، وسراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح بن محمد

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٦٨)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٧٩)؛ عبدالله المعلمي: قضاء مكة، (١/١٧٤)؛ شرح الشهري: الحياة الاجتماعية، ص ٨٥

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥١٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٨٨)؛ عبدالله المعلمي: قضاء مكة، (١/١٦١).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٤)؛ عبد الله المعلمي: قضاء مكة، (١/٧٤٥).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٦)؛ عبدالله المعلمي: قضاء مكة، (١/٧٤٧).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٤/١٨٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٣٧)؛ عبدالله المعلمي: قضاء مكة، (١/٢٦).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٧٩)؛ عبدالله المعلمي: قضاء مكة، (١/١٧٧).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (١/٣٣١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٨)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٢٩

(٨) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (١/٤٠٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٣).

الحسني الفاسي، ولي قضاء الحرمين، (ت ٨٥٣/هـ ١٤٤٩م)^(١)، ومن ولي قضاء المالكية علماء من أسرة النويري، ومنهم أحمد بن علي النويري المكي المالكي، ولي قضاء مكة وإمامة المالكية بجرهما الشريف، (ت ٨٢٧/هـ ١٤٢٣م)^(٢)، كما ولي قضاء المالكية علماء من أسرة بني ظهيرة، ومنهم ظهير الدين ظهيرة بن محمد بن محمد بن محمد بن ظهيرة، أبو الفرج المكي المالكي، ولي قضاء المالكية بمكة سنة ٨٦٨/هـ ١٤٦٣م، وتوفي في السنة نفسها^(٣)، كما تولى قضاء المالكية علماء من أسرة القسطلاني، ومنهم قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني المالكي، ولي قضاء مكة المكرمة، (ت ٦٨٦/هـ ١٢٨٧م)^(٤)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن حسن القسطلاني المكي المالكي، ولي قضاء مكة، وتوفي قبل ٨٢٠/هـ ١٤١٧م^(٥)، ومحمد بن محمد بن أحمد بن حسين القسطلاني، ولي قضاء مكة وتوفي بها حتى وفاته سنة ٨٦٤/هـ ١٤٥٩م^(٦).

أما عن قضاء الحنابلة فقد استحدث في عام ٨٠٩/هـ ١٤٠٦م، وأول من ولي قضاء الحنابلة بالحرمين قاضي القضاة عبد اللطيف بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي عبد الله الفاسي المكي، ومن الجدير بالذكر أنه لما أحدث بمكة قاض للحنفية وآخر للمالكية وصار بها ثلاثة قضاة أحب أن يكون رابع الثلاثة، فقال: أنا حنبلي، وسعى في أن يكون بمكة، (ت ٨٥٣/هـ ١٤٤٩م)^(٧)، ومن تولى القضاء - أيضاً - عبد القادر بن أبي الفتح محمد بن أبي المكارم الحسني الفاسي المكي الحنبلي، تولى القضاء نيابة عن أخيه، (ت ٨٢٧/هـ ١٤٢٣م)^(٨)، وعبد القادر بن عبد اللطيف بن أبي الفتح بن محمد الحسني الفاسي المكي، ولي قضاء الحنابلة بمكة المكرمة، ثم أضيف إليه قضاء المدينة المنورة، (ت ٨٩٧/هـ ١٤٩٢م)^(٩).

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٢٩١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٣).

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/٢٥٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٥)؛ عبد الله المعلمي: قضاء مكة، (١/٣٩٦).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (١/٣٢١)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٣٤.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٧٣)؛ عبد الله المعلمي: قضاء مكة، (١/١٥٢).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٤)؛ عبد الله المعلمي: قضاء مكة، (١/١٣٨).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٣، ٣٣٤)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/٤٠٥).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٧٠)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٢٨٧)؛ عبد الله المعلمي: قضاء مكة، (١/٥٠١).

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٧٧٢)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٣٠.

ومن العلماء الذين تولوا القضاء في المدينة المنورة سراج الدين عمر الذي تولى القضاء والإمامة والخطابة، (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)^(١)، وعلي بن يوسف الزبيدي الذي تولى قضاء المدينة المنورة سنين وشُكِرَت سيرته، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٢)، ومحمد بن محمد الأميوطي، ولي القضاء والخطابة والإمامة بالمدينة المنورة، (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)^(٣)، وتقي الدين عبد الرحمن المهوريني الشافعي المصري، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٤)، ومن تولى قضاء المدينة محمد بن عثمان الصرخدي الشافعي، واستمر في منصبه حتى سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م حيث عزل وتولى منصب القضاء شمس الدين محمد بن سليمان الحكري المصري الشافعي^(٥)، كما تولى قضاء الشافعية عدد من الفقهاء، وأغلبهم من الأسر العلمية بالمدينة، وتعد أسرة ابن صالح من أكثر الأسر العلمية بالمدينة المنورة تقلداً لقضاء الشافعية، ومنهم محمد بن صالح بن إسماعيل بن التقي الكتاني المدني الشافعي، ناب في القضاء والخطابة والإمامة، (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م)^(٦)، وعبد الرحمن بن محمد بن صالح الذي تقلد هذا المنصب نائباً عن قاضي الشافعية، ثم استقل به سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م، (ت ٨٢٦هـ/١٤١٩م)^(٧)، وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح الذي ناب عن والده في هذا المنصب، ثم استقل به عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م، (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٨)، ويحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الكتاني المدني الشافعي، وناب في القضاء والخطابة والإمامة عن أخيه أبي الفتح بن صالح، (ت ٨٤٩هـ/١٤٣٥م)، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، ناب عن والده في القضاء والخطابة والإمامة، ثم استقل بالقضاء سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م، ونظر المسجد النبوي^(٩)، كما تولى القضاء في المدينة وشارك في الخطابة والإمامة أبو عبد الله محمد ولي الدين الذي ولي القضاء استقلالاً حين استعفى أخوه منه في سنة

(١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٩٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٣/١٤٩، ١٥٠).

(٢) ابن تقي بري: المنهل الصافي، (٨/٢٤٣).

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٩٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/١٥٩)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ١٥٧.

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٠٣؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٨.

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٠٣؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة في العصر المملوكي، ص ٢٣٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٥٨٣)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٤٧.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٣١)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٩.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٥٤٠)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٩.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٣٤)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٦٣٢)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٤٨.

١٤٤٠هـ/١٤٤٠م، (ت ١٤٦٩هـ/١٤٦٩م)^(١)، وصالح الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الذي تولى قضاء الشافعية بالمدينة بعد استعفاء عمه ولي الدين أبي عبد الله محمد^(٢). ومن الأسر التي تولى أفرادها قضاء الشافعية أسرة الكازروني محمد بن أحمد بن محمد بن روزبه الملقب بجمال الدين الكازروني، ولي قضاء المدينة المنورة وخطابتها، (ت ١٤٣٩هـ/١٤٣٩م)^(٣)، كما ناب عنه في القضاء ابن عمه محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبه الكازروني المدني، وناب في القضاء والخطابة والإمامة عن ابن عمه الجمال الكازروني، (ت ١٤١٢هـ/١٤١٢م)^(٤)، ومحمد بن أحمد الكازروني، ولي القضاء بالمدينة أكثر من مرة، (ت ١٤٣٩هـ/١٤٣٩م)^(٥). ومن أسرة المراغي تولى قضاء الشافعية أبو بكر بن حسين بن عمر بن محمد المراغي، ولي قضاء المدينة المنورة وخطابتها سنة ١٤٠٩هـ/١٤٠٦م ثم عزل بعد سنة ونصف وعين مكانه زوج ابنته أبو حامد بن المطري سنة ١٤١١هـ/١٤٠٦م، (ت ١٤١٣هـ/١٤١٣م)^(٦)، كما ناب عنه ابنه أبو اليمن الشمس محمد في قضاء الشافعية^(٧)، كما تولى قضاء الشافعية من أسرة المطري محمد بن عبد الرحمن المطري الذي توفي سنة (ت ١٤٠٨هـ/١٤٠٨م)^(٨).

أما قضاء الحنفية فقد استمر القضاء في المدينة بتولية قاض واحد هو القاضي الشافعي حتى سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، حيث تولى القاضي نور الدين علي بن عز الدين بن يوسف بن الحسن الزرندي، وتولى القضاء بالمدينة والتدريس فيها مع الحسبة، فكان أول من تولى قضاء الحنفية بالمدينة المنورة، (ت ١٤١٦هـ/١٤١٦م)^(٩)، وعبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن الأنصاري الزرندي المدني الحنفي، ولي قضاء الحنفية بالمدينة بعد أخيه أبي الفتح سنة

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٦/٨).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٦/٨)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٤٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩٦/٧)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٦٠/٩)؛ صالح الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز، ص ٢٣٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٥٧/٨).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٨٥/٧).

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢٣/٣)؛ المقرئ: درر العقود، (١٣٠/٨).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (١٦٧/٧)؛ عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣٥.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٩/٧)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٩.

(٩) ابن حجر: الدرر الكامنة، (١٤٢/٣)؛ عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣١.

٧٨٣هـ/١٣٨١م كما ولي حسيبها، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)^(١)، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن نور الدين الزرندي الحنفي، ولي قضاء الحنفية بالمدينة المنورة، (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)^(٢)، وعلي بن محمد بن علي بن يوسف الزرندي، تولى القضاء بعد موت عمه سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م، واستمر في القضاء حتى وفاته سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م^(٣)، وسعد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي الزرندي الحنفي، تولى قضاء المدينة المنورة مع حسيبها، ورسم بناية أخيه سعيد لكونه كان غائباً، فتولى الوظيفة نيابةً حتى مجيئه، (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م)^(٤)، وسعيد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي الأنصاري الزرندي المدني، ولي قضاء المدينة وحسيبها، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٥)، وعلي بن سعيد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي المدني الحنفي، ولي القضاء والحسبة بعد موت أبيه، (ت ٩١٦هـ/١٥١٠م)^(٦).

أما قضاء المالكية في المدينة المنورة فكان أغلب من تولاه أفراد من أسرة ابن فرحون، وأول من تولاه منهم البدر عبد الله بن أبي القاسم فرحون بن محمد الأندلسي المدني المالكي، وناب في قضاء المدينة عن عبد الرحمن بن عبد المؤمن المحوري، ثم استقل بقضاء المالكية سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م^(٧)، فخلف البدر عبد الله بن فرحون في قضاء المالكية ابنه المحب أبو عبد الله محمد بن فرحون، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، واستقر بعده في قضاء المالكية أخوه الشهاب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن فرحون، (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)^(٨)، ثم إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري المدني،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٠٥)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٤٠.

(٢) القاسمي: تعرف ذوي العلا، ص ٣١٤؛ ابن العراقي: الذيل على العبر، (٢/٥٢٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٥٣).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٣٢٧)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٤٠.

(٤) الديلم بن فهد: الدر الكامنة، ص ٧٥١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٥٦)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٥٦)؛ محمد شجاع: القضاء

والقضاة في الحجاز، ص ٢٤١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٢٢٢)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٤١.

(٦) ابن العراقي: الذيل على العبر، (١/٢٤٨).

(٧) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٦٢.

(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، (١/٥٦٣)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١٣١)، السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١١٠)؛ محمد شجاع: القضاء

والقضاة في الحجاز، ص ٢٥٨؛ عبد الرحمن المديرس: المدينة في العصر المملوكي، ص ٢٣٤.

ولي قضاء المالكية بالمدينة المنورة من سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م إلى أن مات سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م^(١)، كما تولى قضاء المالكية أسرة مالكية المذهب ظهرت في المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وهي أسرة السخاوي التي تنسب لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن موسى السخاوي؛ الذي انتقل من مصر إلى المدينة سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م متقلداً منصب قضاء المالكية به^(٢)، واستقر بعده في قضاء المالكية ابنه خير الدين محمد بن محمد السخاوي سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م، (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م)^(٣).

أما قضاء الحنابلة فكانوا قلة، وأول من تولى هذا المنصب القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الحسيني الفاسي المكي، تقلد منصب القضاء بها سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م؛ إضافة إلى قضاء الحنابلة بمكة، ويظهر من ذلك أن عدد الحنابلة بالمدينة خلال العصر المملوكي كان قليلاً مما لا يسمح بتعيين قاض مستقل لهم^(٤).

وأما عن منصب قاضي القضاة فكان ممن تولاه أحمد بن محمد بن عطاء الله بن ظهيرة، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٥)، ومحيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد الأنصاري العبادي المالكي، ولي قضاء المالكية بمكة بعد موت أبي عبدالله التويري سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م وعزل وأعيد مراراً واستمر على القضاء، (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)^(٦)، ومحمد بن محمد بن علي بن أحمد أمين الدين أبو اليمن ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي الخير، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٧)، وشمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحنبلي، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)^(٨)، و محمد بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، (١٨٤/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٣١/١)؛ السخاوي: النحلة اللطيفة، (١٩٤/١)، ابن العماد: شذرات الذهب، (٦٠٨/٨).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١١١/٧)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ٢٥٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٣٣/٤).

(٤) عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣٦.

(٥) ابن شهبه: طبقات الشافعية، (١٠٦/٤).

(٦) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ١٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٤٩٢/٩).

(٧) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦٩.

(٨) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ١٧؛ النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٠٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٤١٧/٩).

الشافعي، (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)^(١)، و أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)^(٢)، وكمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري الشافعي، (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)^(٣)؛ ومن ولى منصب قاضي القضاة بالمدينة المنورة: ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح المدني الذي بعد أول من تقلد منصب قاضي القضاة من أهل المدينة المنورة، يقول في ذلك السخاوي: "وكان من أول من ولى القضاة الأكبر من أهل المدينة"، (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٣م)^(٤)، و الزين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر المهراني المصري الشافعي، وولى قضاة المدينة المنورة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م واستمر في منصبه حتى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م حيث عزل، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(٥).

و إلى جانب تولى العلماء منصب القضاء، ومنصب قاضي القضاة؛ فقد تولى بعض العلماء القضاء كقواب عن قضاة مكة والمدينة؛ سواء في مكة والمدينة أو في باقي المدن الحجازية الداخلة تحت مسؤولية قاضي مكة، فهناك العديد من البلدان والقرى التابعة لإمارة مكة والمدينة تكون وظيفة قضائها تابعة لقاضي مكة وقاضي المدينة، ومن هذه البلدان جدة، والطائف وما حولها، وقرية التنضب من وادي نخلة، وخيف بني عمير وغيرها، فقد كان النواب ينوبون عن القضاة في القيام بالأعمال التي يقوم بها القاضي أثناء انشغال القاضي عن القيام بعمله لسفر أو مرض، كما أن للقاضي أن يعين نواباً عنه إذا تولى وظيفة أو وظائف دينية أخرى غير القضاء كالخطابة أو الحسبة؛ سواء في مكة، أو خارجها من البلدان التابعة له؛ حيث يعين القاضي له نواباً في هذه البلدان يتولون جميع وظائفه نيابة عنه^(٦)، وكان هؤلاء النواب من أصحاب العلم؛ حيث إن من يتولى هذه الوظيفة لابد أن يكون له اطلاع ومعرفة بالأحكام الشرعية؛ وذلك لأنهم ينوبون عن القضاة

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٣٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٠٨/٨).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٤٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٩٠/٢).

(٣) ابن العراقي: الذيل على العبر، (٥٥٦/٢).

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (٢١١/٧)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٣٣/٢)؛ عبد الرحمن المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣٧.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١٧١/٤)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٦٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢١٤/٢)، (٢٣١/١٠)؛ النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٦٤؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز،

في الأحكام وفي الكثير من مهامهم^(١). ومن الذين تولوا النيابة عن القضاة في مكة والمدينة أحمد بن عبد الرحمن الفاسي، ولي نيابة القضاء في المدينة المنورة، وكان فقيهاً، فاضلاً، عالماً في أصول الفقه، والأدب، واللغة العربية، (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)^(٢)، والحسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشافعي، كان ممن اشتغل بالعلم وحديث، تولى النيابة في القضاء بالمدينة المنورة عن شرف الدين الأميوطي، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(٣)، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن حسان بن أسعد العمراني نسباً، المكي المولد والدار، كان له اهتمام بالعلم فسمع على جماعة من العلماء، وأذن له في الإفتاء والتدريس، وناب في الحكم عن ابن خاله القاضي شهاب الدين الطبري مدة سنين، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)^(٤)، ومحمد بن محمد بن عمر الهندلي الكابلي الحنفي، كان له اشتغال بالعلم، وسمع على جماعة من العلماء، حكم في وقائع نيابة عن القاضي أبي الفضل النووي، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٥)، وعبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النووي المكي المالكي، ناب في الحكم عن ابن عمه العزّ النووي، وكان ممن سمع على جماعة من العلماء، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(٦)، وأحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي، كان ممن اعتنى بالعلم فسمع على جماعة من العلماء بمكة والقاهرة، واهتم بالفقه والبيان والأدب، ودرس وأفتى كثيراً، ناب في قضايا عن صهره القاضي أبي الفضل النووي، وابنه القاضي محب الدين، والجمال بن ظهيرة، وابن أخيه السراج عبد اللطيف بن الفتح السجزي^(٧)، وعبد الوهاب بن محمد بن يعقوب بن يحيى المغربي الأصل المدني المالكي، سمع على جماعة من العلماء، واهتم بالفقه والعربية، ناب في قضاء المدينة المنورة لا عن قضائهما بل استقلالاً بمراسيم أولها في سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، ثم استقل به سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م، (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٨).

(١) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٨١

(٢) ابن فرحون: الديباج المذهب، (٢/٢٥٥).

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢/١٢).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٢٧٩).

(٥) الديلم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٣١٣).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٩٤).

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٢٠٦).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١١٤).

أما عن العلماء الذين تولوا القضاء في باقي المدن الحجازية فمنهم من تولى القضاء وظيفته، ومنهم من تولاه نائباً عن قضاة مكة والمدينة، ومن العلماء الذين تولوا القضاء أو النيابة فيه في جدة: محمد بن محمد بن علي بن محمد الهاشمي العقيلي النويري المكي الشافعي، ولد بمكة سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، كان لها عناية بالعلم فحفظ القرآن الكريم، كما حفظ عدداً من الكتب، وكان ممن حدث، ولى القضاء بجدة والنظر على المسجد الحرام^(١)، وأحمد بن سالم بن حسن الجدي، شهاب الدين، نزيل مكة المكرمة، كان له عناية بالفقهاء، وأخذ فيه على عدد من المشايخ، جاءه توقيع لقضاء جدة في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، وعزله القاضي محب الدين وذلك عندما استدعاه لمكة ولم يحضر، ثم ولاه بعد ذلك الحكم بجدة، وسئل في صرفه فوافق^(٢)، ومحمد بن محمد بن عبد الكريم بن محمد بن ظهيرة، سمع على جماعة من العلماء، وحصل على عدد من الإجازات العلمية، ناب في القضاء بجدة عن ابن عمه أبي السعادات، (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)^(٣)، وعلي بن جبار الله بن صالح بن أبي منصور الشيباني المكي الحنفي، كان ممن سمع على عدد من العلماء، وناب في القضاء بساحل جدة من أعمال مكة بعد موت أخيه سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م عن قضاة مكة، (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م)^(٤)، ومحمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري المكي الشافعي، كان له عناية بالعلم فسمع على عدد من العلماء بمكة والقاهرة ودمشق، وأجاز له جماعة من العلماء، وناب في القضاء بجدة عن ابن أخيه القاضي أبي اليمن (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)^(٥)، وعلي بن داود بن علي بن بهاء الدين الكيلاني الأصل المكي القادري، سمع على جماعة من العلماء، وحصل على عدد من الإجازات في الإفتاء والتدريس، ناب في قضاء مكة، واستقلاً بجدة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)^(٦)، ومحمد الكمال أبو البركات الحنفي، سمع على عدد من العلماء بمكة والقاهرة، وحدث باليسير، ناب في حاسبة مكة، وكذا القضاء بجدة عن ابن أخيه القاضي أبي اليمن، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)^(٧)، ومحمد بن محمد بن علي بن أحمد النويري، كان

(١) السخاوي: التبر المسبوك، (٢/٢١٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٤٣).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٤٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٠٣)؛ محمد الحيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١١٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١١١).

(٤) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٧٦.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك، (٤/١٥١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٦١).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢١٩).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٦٢).

من اشتغل بالعلم، وسمع على عدد من العلماء، ولى قضاء جدة ومكة ونظر المسجد الحرام، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(١)، وأحمد بن علي بن محمد بن عمر المصري الأصل المكي الشافعي، اشتغل بالعلم فحفظ القرآن الكريم، وعددًا من كتب العلم، وحصل على إذن في الإقراء والإفتاء، ناب في قضاء جدة عن القاضي نور الدين بن علي بن داود الكيلاني وعن اليونيني، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٢)، ومحمد بن علي بن ظهيرة، سمع على جماعة من العلماء، وناب في القضاء بجدة من أعمال مكة المشرفة عن عمه القاضي جلال الدين أبي السعادات في آخر سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، ثم استقل به سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م عن ابن عمه أبي الفضل بن أبي المكارم، (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)^(٣)، ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد المنفلوطي^(٤)، كان له عناية بالعلم فحفظ القرآن الكريم وعددًا من الكتب في الحديث وغيره، ناب في القضاء والخطابة بجدة عن القاضي كمال الدين أبي البركات بن ظهيرة مدة ولايته، ولم ينسب عن أحد غيره، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٥)، وعبد الكريم بن محمد بن محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي الشافعي، اشتغل بالعلم، وارتحل لعدد من البلدان فسمع بمكة والمدينة القاهرة وحلب، ناب في القضاء بمكة المشرفة وجدة عن أخيه محب الدين في سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٦). وفي الطائف اشتهرت أسرة علمية تولى بعض أفرادها القضاء أو النيابة فيه، ومنهم عيسى بن محمد بن عبدالله المليساوي، اليمني الأصل، الطائفي المولد والدار، (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)^(٧)، وقد ولى الحكم نيابة عن القاضي محب الدين النويري، ثم ولى ذلك عن ابنه، ثم عن القاضي جمال الدين بن ظهيرة، واستنابه في جميع بلاد الطائف، ثم ولى ذلك عن القاضي عز الدين النويري، ثم قصره على قرية المليساء، ورفع يده عن إمامة مسجد الطائف (مسجد ابن عباس رضي الله عنهما) وخطابته، وقد ولى إمامته وخطابته نحو أربع سنين، وخلفه في القضاء ابنه محمد بن عيسى الطائفي السلامي، وكان ممن اشتغل بالعلم وسمع على جماعة من العلماء، ولى قضاء السلامة إحدى قرى الطائف،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٤٣).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٣٤).

(٣) التيجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٣٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢٠٨).

(٤) نسبة لمنفلوط بلدة بالصعيد غربي النيل بينها وبين النيل بعد، الحموي: معجم البلدان، (٥/٢١٤).

(٥) التيجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٣٦٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٦٦).

(٦) التيجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣١٩).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٤٦٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٥٦)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٨٧.

(ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(١)، وعبد الله بن محمد بن عيسى بن محمد الطائفي، الشهير بابن مكينة، كان ممن اشتغل بالعلم، وأجاز له جماعة من العلماء، تولى قضاء الطائف، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٢)، ومن ولي قضاء ينبع: أحمد بن راشد الزيدى، تولى قضاء ينبع من قبل إمام الزيدية وصاحب صنعاء؛ لكونه كان زيدياً فدام سنين حتى مات سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م^(٣)، ومحمد بن أحمد بن محمد الشمس بن زبالة القاهري البحري، كان ممن اعتنى بالعلم فحفظ القرآن الكريم، وسمع على جماعة من العلماء، وحدث، تولى قضاء ينبع وأقام في قضائها مدة، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)^(٤)، ومحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد القاهري ثم الينبوعى الشافعي، ولي قضاء ينبع، (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٥)، وقاسم بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد، ولي قضاء ينبع بعد موت أخيه سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٦).

ومن ولي القضاء ببعض القرى بالحجاز عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبري المكي، كان ممن اشتغل بالعلم فسمع على جماعة من العلماء، وكان له اهتمام بالفقه، ولي قضاء بجيلة وما حولها، (ت ٧٨٧هـ/١٣٨٥م)^(٧)، ومحمد بن أحمد بن الضياء القرشي الحنفي، كان ممن اشتغل بالعلم، وحصل على عدد من الإجازات العلمية، تولى القضاء والخطابة والإمامة بسولة بوادي نخلة، (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)^(٨)، ومحب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الطبري، الذي كان له اشتغال بالعلم، وسمع على جماعة من العلماء، فقد تاب بقوة التنصب عن قاضي مكة المكرمة أبي الفضل التويري، (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)^(٩)، وأعقبه على نيابة القضاء في هذه القرية ابنه الجمال محمد بن الحب محمد بن عبد الرحمن، (ت

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٥٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٧٦)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٨.

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٣٣؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/١٥٧)، السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٦٠). "لأنه جعل تاريخ وفاته سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، وأخذت بما جاء في ابن فهد لأنه أقرب إلى الصواب. والله أعلم.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٢٩٩).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٠٢)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٣/١٣٩).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٣٣)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٣/١٣٩).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٨٣).

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٢٩١)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٨/٥١١).

(٨) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٦).

(٩) القاسي: العقد الثمين، (٢/١٠٢).

٨١٥هـ/١٤١٢م^(١)، وكان هؤلاء النواب ينوبون عن القضاة في مهامهم؛ كعقد الأنكحة، والإصلاح بين الناس وغيرها من مهام القضاة، كما ينوبون عن القضاة في باقي المدن الحجازية بمرسوم سلطاني يصدر من السلطان بمصر، كما كان يتم تعيين النواب باختيار القاضي؛ فقد كان له الحق في اختيار من يراه مناسباً، وكثيراً ما كان يعين القاضي ابنه أو أحد أقاربه^(٢). ومن الوظائف الدينية الهامة التي تولّاها العلماء: وظيفتا الإمامة والخطابة في الحرمين خاصة وفي بقية مساجد الحجاز عامة، وغالباً ما كان يجمع متولّيها بين وظيفتي الإمامة والخطابة معاً، ومن العلماء من تولّى الإمامة أو الخطابة، ومن وليها في المقام الشافعي سليمان بن خليل بن إبراهيم بن يحيى الكتاني العسقلاني المكي الشافعي، يلقب بتجم الدين، ولي إمامة المقام وخطابة المسجد الحرام إلى جانب الفتوى به، (ت ٦٦١هـ/١٢٦٢م)^(٣)، ومنهم أيضاً أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزدي المهلب الأندلسي الغرناطي^(٤)، ولي إمامة المقام الشريف والخطابة، (ت ٦٦٣هـ/١٢٦٤م)^(٥)، وعلي بن صالح بن أبي محمد بن يحيى العلوي الحسني، البهنسي^(٦)، ولي إمامة المقام وخطابة المسجد الحرام، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)^(٧)، كما تولّى الإمامة عدد من العلماء من أسرة الطبري حتى أصبحت شبه محصورة في هذه الأسرة طيلة العهد المملوكي^(٨)، وكان ممن تولّاها منهم: عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي، ولي إمامة المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم أم بالمسجد الأقصى، (ت ٦٩١هـ/١٢٩١م)^(٩)، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي، ولي إمامة مقام إبراهيم، (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م)^(١٠)، وأحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٩٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٩٩)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٩٠.

(٢) محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٨١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٧٩)؛ الذهبي: العبر في خبر من عبر، ص ٣٠٢؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٦٦٢).

(٤) الغرناطي: نسبة إلى غرناطة وهي من بلاد المغرب، السمعاتي: الأنساب، (١٠/٢٨).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٤٠٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٦٦٦).

(٦) البهنسي نسبة إلى بهنسا، وهي بلدة بصعيد مصر الأعلى، خرج منها جماعة من أهل العلم، السمعاتي: الأنساب، (٢/٣٧٤).

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٣٦٨؛ الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٧٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٦٧٥).

(٨) عبد الحفيظ السالم: الحياة الدينية في مكة، ص ١٣٩.

(٩) الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٢٦٨؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٦٧٦).

(١٠) الوافعي: مرآة الجنان، (٤/٢٠١)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (١/٥٥).

الطبري المكي الشافعي، تولى إمامة مقام إبراهيم، خلف أباه في الإمامة، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(١)، ومحمد بن أحمد بن الرضي بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي، تولى إمام مقام الخليل بالمسجد الحرام، وخطب بالمسجد الحرام مدة، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٢)، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الطبري الشافعي، ولي إمامة المقام الشافعي، وخطابة المسجد الحرام، (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم الطبري، تولى الإمامة بمقام إبراهيم بعد أخيه شريكاً لابن أخيه الرضي بن الحب، وكان يتوب عن أخيه الحب في الإمامة، (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)^(٤)، وأبو الخير بن أبي اليمن محمد بن أحمد الطبري المكي الشافعي، ولي إمامة المقام بالمسجد الحرام، (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م)^(٥)، وعبد الحمادي بن أبي اليمن محمد بن أحمد الطبري، تولى إمامة مقام إبراهيم، وخطب بالمسجد الحرام نيابة عن القاضي أبي السعادات، والخطيب أبي الفضل النويري، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)^(٦)، ومحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبري، تولى إمامة المقام الشافعي وخطابة المسجد الحرام، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)^(٧)، ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد الطبري الأصل المكي الشافعي، (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)^(٨).

ومن العلماء الذين تولوا إمامة مقام الخنفة في المسجد الحرام: عبدالله بن علي بن يوسف بن أبي بكر السجزي^(٩)، (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م)^(١٠)، وعلي بن الحسن بن علي بن يوسف السجستاني^(١١) الخنفي، (ت

-
- (١) الفاسي: العقد الثمين، (١٠/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٠١/١).
 - (٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٠/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧١٢/١).
 - (٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨١/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٢٢/١).
 - (٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٢/١، ٢٨٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٦٣/١).
 - (٥) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٣/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٦٦/١).
 - (٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٩٢/٥)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٨٥/١).
 - (٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٨/٩)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٩٢٩/١).
 - (٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٨/٩)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٣٩١، ٣٩٠/١).
 - (٩) السجزي هذه النسبة إلى سجستان، السمعاني: الأنساب، (٨٠/٧).
 - (١٠) الفاسي: العقد الثمين، (٢١٤/٥)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٦٧٧/١).

٧٦٣هـ/١٣٦١م^(٢)، وعمر بن محمد بن أبي بكر بن ناصر العبدري الشيبني المكي الحنفي، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)^(٣)، ومحمد بن محمود بن محمود المعروف بالمعيد العجمي الخوارزمي الحنفي، نزل مكة المكرمة، جاور بها زيادة على أربعين سنة حتى مات بها سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م^(٤)، وأحمد بن محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي المكي الحنفي ناب عن والده في إمامة مقام الحنفية لعجزه، ثم تولاها من بعده، (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)^(٥).

ومن العلماء الذين تولوا إمامة مقام المالكية في المسجد الحرام: محمد بن عمر بن محمد بن عمر التوزي^(٦) القسطلاني المكي المالكي، (ت ٦٦٣هـ/١٢٦٤م)^(٧)، وتولى الإمامة بعده ابنه أحمد الذي توفي بعده بثمان سنوات (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)^(٨)، وخبيل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني المكي المالكي، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٩)، وعلي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري المكي المالكي، (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)^(١٠)، وعبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي المالكي، ولي إمامة مقام المالكية بعد أبيه شريكاً لأخيه، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(١١)، ومحمد بن

(١) السجستاني هذه النسبة إلى سجستان إحدى البلاد المعروفة بكابل، كان بها ومنها جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين، السمعاني: الأتساب، (٨٤/٧).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١٥١/٦)؛ الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ١٣٨؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧١٦/١).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣٥٥/٦)؛ النجم فهد: إتحاف الوري، (٣١٦/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٢٣/١).

(٤) المقرئ: درر العقود، (١٣١/٣)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (١١٩/١١)؛ السخاوي: وجيز الكلام، (٤٠٩/٢)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (١٥٥/٩)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٦٥/١).

(٥) صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٨١/١).

(٦) التوزي نسبة إلى توزر مدينة بإفريقية، السيوطي: لب اللباب في تحرير الأتساب، (٥٦/١).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٢٣٠/٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٦٦٤/١).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (١٥٨/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٦٧١/١).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٣٢٤/٤)؛ الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ١١٨؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٠٧/١).

(١٠) الفاسي: العقد الثمين، (١٣٢/٦)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣٠٠/٣)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (٥٣٧/١)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٦١٤/٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٣٥/١).

(١١) الفاسي: العقد الثمين، (٣٩٠/٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩٤/٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٦١/١).

محمد بن حسين بن علي بن ظهيرة المخزومي القرشي، (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)^(١)، وعلي بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة المكي القرشي، (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)^(٢)، وعبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير الحسني القاسي المكي، (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٣)، ومحمد بن محمد بن محمد بن علي النويري المالكي، ولي نصف وظيفة إمامة المالكية بالمسجد الحرام عوضاً عن والده، (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٤)، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد النويري المالكي، نزل له عمه في مرض موته عن نصف إمامة مقام المالكية، ثم عزل عنه، ثم أعيد واستمر حتى مات في سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م^(٥)، ومحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة القرشي المكي، ولي نصف إمامة المالكية بمكة المكرمة، (ت ٨٧٧هـ/١٤٧٢م)^(٦).

ومن العلماء الذين تولوا إمامة مقام الحنابلة بالحرم المكي: عثمان بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحيم الأربلي^(٧) أصلاً، الآمدي^(٨) مولداً، المكي الحنبلي، تولى إمامة الحنابلة بالحرم المكي الشريف، (ت ٦٧٥هـ/١٢٧٥م)^(٩)، ومحمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي الأصل، ثم المكي الحنبلي، تولى إمامة مقام الحنابلة بمكة بعد أبيه، (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)^(١٠)، ومحمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي المكي، تولى إمامة الحنابلة بالحرم المكي الشريف،

(١) القاسي: العقد الثمين، (٢/٢٨٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٦٧).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٩)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٨٤).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٥)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٩٥).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٤٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٩٦، ٧٦٧).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٩٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٩٨).

(٦) القاسي: العقد الثمين، (٢/٣٣٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢١٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٨٠٢).

(٧) إربل مدينة حصينة وكبيرة، تعد من أعمال الموصل بينهما مسيرة يومين، الحموي: معجم البلدان، (١/١٣٨).

(٨) الآمدي: آمد مدينة من كورد الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، الحموي: الروض المعطار، ص ٣.

(٩) الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٣٤٨؛ ابن فهد: إتحاف الوري، (٣/١٠٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٦٧٢، ٦٧٤).

(١٠) القاسي: العقد الثمين، (٦/٥٠٥)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٤٤)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/١٩٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ

أمة، (١/٦٩٧).

(ت ٧٥٩هـ/١٣٥٧م)^(١)، ثم تولاه بعدده صهوه عبد اللطيف بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبد الله الحسيني الفاسي المكي، سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٢)، وعلي بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد الفاسي المكي، تولى إمامة مقام الخطابة بالمسجد الحرام، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(٣)، وأبو المكارم عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد الحسيني الفاسي المكي الحنبلي، تولى إمامة مقام الخطابة بمكة، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٤).

ومن العلماء الذين تولوا الخطابة دون الإمامة: عبدالله بن محمد بن أبي بكر ابن الحب الطبري المكي، تولى الخطابة بالحرم المكي الشريف، (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م)^(٥)، ثم ابنه محمد الذي كان خطيب مكة وابن خطيبها، (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)^(٦)، وعلي بن عبد الله بن أحمد بن عبدالله الطبري المكي، تولى الخطابة بالمسجد الحرام، (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م)^(٧)، وأحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطبري المكي الشافعي، تولى الخطابة في المسجد الحرام، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٨)، ومحمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الحارثي المكي الشافعي، تولى الخطابة بمكة، (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م)^(٩)، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي المكارم الحموي^(١٠) المكي الشافعي، تولى الخطابة بالحرم المكي، (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)^(١١)، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم التويري الشافعي، تولى قضاء مكة وخطابتها،

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢٧٤/٣)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٢٢/٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٠٤/١).

(٢) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣١٤/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٢١/١).

(٣) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣١٣/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٢٢/١).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٥٨/٤).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٩٩/٥)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٦٨٧/١).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٤٦/٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٦٩٨/١).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (١٧٨/٦).

(٨) ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٢٤/٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧٠٦/١).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٣٦٦/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٧١٦/١).

(١٠) الحموي: هذه النسبة إلى حماة من بلاد الشام بين حلب وحمص، السمعاني: الأنساب، (٢٥٨/٤).

(١١) المقرئ: درر العقود، (٢٠٩/٣)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢٧٤/٣)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٢١٩/٢).

(ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)^(١)، وأحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي، تولى قضاء مكة وخطابتها، (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)^(٢)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي الشافعي، ولي قضاء الحرمين وخطابتهما، (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)^(٣)، ومحمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن ظهيرة القرشي المكي، ولي قضاء مكة وخطابتها، والإفتاء بها، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٤)، ومحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري المكي الشافعي، ولي الخطابة في المسجد الحرام، (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)^(٥).

أما عن النيابة في الإمامة والخطابة بمكة فمع العلماء الذين تولوها عبد الله بن عبد الحق بن عبد الأحد بن علي الدلاصي الشافعي، وتولى الإمامة في المقام الشافعي نيابة، واعتنى بالعلم فسمع على جماعة من العلماء وحدث، كما كان مقرئ مكة، وقرأ عليه جماعة من أهلها والوافدين إليها، (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)^(٦)، وعثمان بن الصفي أحمد بن محمد الطبري المكي، كان يقيم بمقام إبراهيم نيابة، وكان له اشتغال بالعلم فسمع على عدد من العلماء، كما حصل على العديد من الإجازات العلمية من علماء مكة ومصر، وقال عنه الفاسي: سمع عليه جماعة من شيوخنا، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)^(٧)، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن يعقوب الطبري المكي الشافعي، تاب في الخطابة عن التاج الخطيب الطبري، وعن القاضي تقي الدين الحارزي، وكان ممن درس بالحرم وأفتى وحدث، (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م)^(٨)، وبجيب بن أحمد بن صفوان القيني المغربي المالكي، أم في مقام المالكية نيابة، وكان مقرئاً، كما اهتم بالقراءات والعربية، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٩)، وشمس الدين محمد بن إسحاق الخوارزمي، جاور بمكة وناب بها عن إمام المقام الحنفي، كان ممن اشتغل بالعلم، وله العديد من

(١) الفاسي: العقد الثمين، (١/٣٠٠)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٢٣).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٥٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٢٩).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٢٣)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (١/٢٤٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٣٧).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٥٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٩٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٦٨).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٣٠)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٨٠١).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٥/١٩٦)، صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٤٤).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٦).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (١/٢٨٥).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٧/٤٢٧)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٤١٠)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١/٧٤٧).

المؤلفات، (ت ٨٢٧هـ/١٣٢٦م)^(١)، وكمال الدين محمد بن أحمد بن ظهيرة بن أحمد القرشي المخزومي المكي، ناب في الخطابة بمكة عن أبيه وعن القاضي عز الدين النويري، وكان ممن اعتنى بالعلم حيث أجاز له عدد من العلماء من مصر ودمشق، وكان ممن حدث، (ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م)^(٢)، ومحمد بن عبدالله بن الحبيب بن الرضي الطبري الأصل المكي الشافعي، حفظ القرآن واشتغل بالعلم، وكان ممن لازم السخاوي سنة ٨٨٦هـ/١٤٥٢م، أم في مقام إبراهيم مناوئة مع أخويه ووالدهم، وكان حياً سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م^(٣).

ومن العلماء الذين تولوا إمامة وخطابة الشافعية في المدينة المنورة: الحسن بن علي الأسواني^(٤)، تولى الإمامة في الحراب الشريف إلى أن توفي ٧٢٤هـ/١٣٢٣م^(٥)، وسراج الدين عمر بن أحمد الحضري الشافعي، الذي قدم إلى المدينة من مصر وجمع بين الإمامة والخطابة، ثم عزل لفترة وجيزة، ثم أعيد لمنصب الإمامة والخطابة، واستمر بها قرابة الأربعين سنة، ثم وافاه الأجل سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، وأبو بكر بن حسين بن عمر بن محمد المراغي الشافعي، ولى قضاء المدينة المنورة وخطابتها وإمامتها، (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)^(٦)، وعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر الكردي^(٧) ثم المصري الشافعي، جاور بالحرمين الشريفين، وولى القضاء والإمامة والخطابة بالمدينة المنورة، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(٨)، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، ولى قضاء المدينة المنورة وخطابتها وإمامتها، (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)^(٩)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن رضوان الدمشقي الحريري الشافعي [كان أبوه يبيع الحرير فسُمي بالحريري]، تولى قضاء

(١) الزركلي: الأعلام، (٣٠/٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٣٣/٧).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٩٣/١)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (٣٨٠/٣).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٦٩/١٠).

(٤) الأسواني: نسبة إلى أسوان بلد بصعيد مصر، السيوطي: لب الألباب في تحرير الأَسَاب، (١٥/١).

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٩/٢).

(٦) المقرئ: درر العقود الفريدة، (١٣٠/١).

(٧) الكردي: هذه النسبة لطائفة بالعراق ينزلون في الصحاري، وقد سكن بعضهم القرى، يقال لهم: الأكراد خصوصاً في جبل حلوان، والنسبة

إليهم كردي، السمعاني: الأَسَاب، (٧٩/١١).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (١٧١/٤)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١٨٢١/٢، ١٨٢٢).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (١٠٥/٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١٨٣٢/٢، ١٨٣٣).

المدينة المنورة وإمامتها وخطابتها سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م)^(١)، وأبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي المصري الشافعي، استوطن المدينة المنورة خمسين سنة وولي قضاءها وخطابتها وإمامتها، (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)^(٢)، ومحمد بن محمد بن علي بن يوسف الزرندي الشافعي، ولي قضاء المدينة المنورة وخطابتها سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)^(٣)، وعبد الرحمن بن محمد بن ناصر الدين الكثاني المدني، ولي قضاء المدينة المنورة وخطابتها، (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)^(٤)، وأحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الكردي الأصل القاهري، تولى قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها، (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)^(٥)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن روزبه، ولي قضاء المدينة المنورة وخطابتها مرة ثم صرف، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٦)، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح المصري الأصل المدني الشافعي، تولى القضاء والإمامة والخطابة، (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٧)، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المغربي المدني الشافعي، استقر بعد أبيه في الخطابة والإمامة بالمسجد النبوي مع النظر عليه وجمع له معها القضاء، (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)^(٨)، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الكثاني المصري الأصل الشافعي المدني، (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)^(٩)، وإبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المدني الشافعي، باشر إمامة التراويح في المسجد النبوي في حياة والده ثم الخطابة به، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)^(١٠).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢١٩)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٣٤).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١١/٢٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٣٤).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٦٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٣٥).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٥٣٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٣٥).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٣٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٤٠، ١٨٣٧).

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٤٩٨)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٤٩).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٢٦)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٥٢).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٠٢).

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٠٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٥٧).

(١٠) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١٤٠)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٦٠).

استمر القضاء والخطابة والإمامة بآلها عالم أو فقيه على المذهب الشافعي حتى عام ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، وهو العام الذي صدرت فيه المراسيم السلطانية بإحداث محراب للحنفية إلى جانب محراب الشافعية؛ فتولى إمامة المقام الحنفي عدد من الفقهاء، وبخاصة من أسرة الحنجندي، فكان أول إمام حنفي هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الحنجندي الأصل المدني الحنفي، واستمر في الوظيفة حتى وفاته سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م، وهو من اشتهر بالعلم فحفظ القرآن الكريم والأربعين للنووي، واستفاد من الشيوخ في تحصيل العلوم، فحضر الكثير من الدروس، وحصل على العديد من الإجازات العلمية من مصر والشام، وتوارث عدد من أسرته هذا المنصب^(١)، فتولى إمامة الحنفية بعده ابنه أحمد الذي كان له عناية بالعلم فحفظ القرآن الكريم، كما تعلم على جماعة من مشايخ القاهرة ودمشق، وطلب الفقه على المذاهب الأربعة، (ت ٨٨١هـ / ١٤٧٦م)^(٢)، وجاء بعده أخوه إبراهيم الذي ولي إمامة الحنفية بالمدينة، وكان حافظاً للقرآن كابيه، ودرس على أخيه الفقه، واستفاد من علماء آخرين في علم العربية، كما سافر للقاهرة أكثر من مرة، وسمع بها وأجازه الكثير من شيوخها، (ت ٨٩٧هـ / ١٤٩١م)^(٣)، وخلفه ابن أخيه محمد بن أحمد، وهو من حفظ القرآن الكريم، والأربعين للنووي وغيره من الكتب^(٤).

هذا وقد شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولى عدد من الفقهاء من داخل المدينة وخارجها لمنصب الإمامة والخطابة، ومن بينهم أفراد من الأسرة العلمية ومنهم - على سبيل الذكر لا الحصر - أسرة المطري؛ حيث تولى جمال الدين محمد بن أحمد المطري الإمامة والخطابة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م نيابة عن الشرف الأميوطي حين غيبته بالقاهرة^(٥). ومن أسرة ابن صالح تولى الإمامة والخطابة عبدالرحمن بن محمد بن صالح^(٦)، كما ناب عنه أخوه محمد^(٧)، ومنهم

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٥٠/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١٨٥٤/٢)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي،

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٢١٩/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١٨٥٦/٢).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٢٠/١)؛ الزركلي: الأعلام، (٦٣/٢)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (١٨٥٨/٢).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٩٣/٣)؛ ريم السامح: الموقوفون في المسجد النبوي، ص ٩٠، ٩١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٦٧/٣)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٣٣/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٣١/٤)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي،

أيضاً - أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح^(١)، الذي أنجب أربعة أبناء كلهم عرف بمحمد تولوا الإمامة والخطابة في المسجد النبوي^(٢). ومن أسرة الكازروني تولى محمد بن عبد السلام الكازروني منصب الإمامة والخطابة في المسجد النبوي^(٣).

ومع وجود الأئمة من الأحناف إلا أن كان الإمام الأصلي للمسجد النبوي خلال العصر المملوكي كان شافعي المذهب، وكثيراً ما أسند إليه الخطابة أيضاً؛ أما عن أئمة المالكية والحنابلة فلم تذكر المصادر والمراجع التي تبصر الإطلاع عليها ما يشير إلى وجودهم في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي^(٤).

أما عن النيابة في الإمامة والخطابة بالمدينة المنورة فكان من العلماء الذين تولوها محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن طولون الذي ناب في الخطابة والإمامة والقضاء بالمدينة المنورة، وكان ممن اهتم بالعلم، وسمع على عدد من شيوخ المدينة والقادمين إليها، كما سمع على شيوخ مكة، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٥)، ومحمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبه الكازروني، ناب في القضاء والخطابة والإمامة بها، (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)^(٦)، وأحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الششتري المدني الشافعي، ناب في خطابة المدينة وإمامتها عن خاله فتح الدين بن صلاح فمّن بعده، (ت ٨٧٧هـ/١٤٧٢م)^(٧).

كما تولى العلماء الإمامة والخطابة في المناطق التابعة لمكة والمدينة، ومنهم من تولاه في هذه المناطق نيابةً، ومن العلماء الذين تولوها محمد بن محمد بن إبراهيم بن علي القرشي المكي الشافعي، وفي الخطابة بجدة^(٨)، ومحمد بن الحبيب بن

=

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٨٦/٩)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١٨٥/٨)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠٢/٩، ١٠٤)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٥٧/٨)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٦.

(٥) عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٠٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٣١/٣)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٦٦).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٥٧/٨).

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢٤٦/١)؛ صالح بن حميد: تاريخ أمة، (٢/١٨٦٨).

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٩/٨).

محمد بن عبدالرحمن الطبري المكي الذي كان يقيم بمسجد التنصّب بوادي نخلة ويخطب به، وتولى عقد الأتكة نيابة عن قضاة مكة المكرمة، (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)^(١)، وأحمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل الطبري المكي الحنفي، كان إماماً وخطيباً بسوالة بوادي نخلة البيمانية من أعمال مكة المكرمة، (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م)^(٢)، وعبدالله بن صالح بن أحمد بن أبي منصور الشيباني المكي الجدي، كان يقيم بجدة كثيراً، ويخطب بها، وبإشراف عقود الأتكة فيها، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٣)، وعلي بن جابر الله بن صالح بن أبي منصور الطبري، ولي قضاء جدة بعد موت أخيه مدة عن قضاء مكة، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٤)، ومحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، ولي الخطابة بجدة، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٥)، ومحمد بن يعقوب بن إسماعيل الشيباني المكي ولي خطابة وادي نخلة، (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)^(٦)، ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد المتفوطي، ناب في القضاء والخطابة بجدة عن القاضي كمال الدين أبي البركات بن ظهيرة مدة ولايته إلى أن مات، ولم ينب عن أحد غيره، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٧).

وتعد وظائف الإمامة والخطابة من الوظائف المتوارثة، وقد بلغ الحرص على هذه الوظيفة واستمرار توارثها في الأسرة أن البعض كان يعهد بالوظيفة من بعده لابنه حتى لو لم يصل إلى سن مناسب لتوليها، فيولي من يتوب عنه إلى حين وصوله للسّن المناسب؛ مثل: جمال الدين أبو الحامد الحاشمي العقيلي النويري المكي المالكي الذي استقل بتصرف إمامة مقام المالكية وعهد بها لابنه وهو ابن خمس سنين، وناب عنه فيها ابن عمه الشيخ نور الدين علي ابن اليمن إلى حين صلاحه لمباشرتها، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٨)، وإمام الحنابلة السراج عبداللطيف بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبدالله الفاسي الذي ولي الإمامة بعده ولده علي وهو صغير في السنة الأولى من عمره، واستنوب عنه عمه الشريف أبو الفتح

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٢٣٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٩٢).

(٢) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٩٤؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٦٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢١١).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢١)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/١٨٥).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٠٩).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢٩٩).

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، (٣/٢١٠).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٣٦٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٦٦).

(٨) السخاوي: التبر المسبوك، (٢/٢٢٠).

محمد بن أحمد إلى حين صلاحه للإمامة، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(١). ومن العلماء من تحول من مذهب إلى مذهب لتولي هذه الوظيفة؛ مثل: عبد اللطيف بن محمد الحسني القاسي الأصل المكي الحنبلي، كان أبوه مالكيًا فتحول هو حنبليًا، وتولى إمامة مقام الحنابلة في مكة؛ فكان أول حنبلي ولي قضاء مكة المكرمة، واستمر فيه حتى مات غير أنه عُزل مدة سنة^(٢). ومن الوظائف الدينية المرتبطة بأئمة المقامات^(٣) وظيفة **المكبر**، ومن العلماء الذين عملوا بها: أحمد بن عبد الله المكي، **المكبر بالحرم المكي الشريف**، (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)^(٤)، ومسعود بن محمد بن شعيب المكي الحنفي، كان أحد المكبرين بمقام الحنفية، (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)^(٥)، وأبو الفتح بن إسماعيل بن علي بن محمد بن داود الزمزمي، وكان شريكًا في أذان منارة سوقة والحزورة وتكبير الحنابلة، (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)^(٦)، وسليمان بن أبي السعود الرغبي المغربي كان مؤذنًا بالمسجد الحرام، وكان يتوب عن الريس في الأذان على زمزم والتكبير، وله معرفة بالتوقيت، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٧)، ومحمد بن حسن بن إياس الجمال الرومي الحنفي، كان باسمه نصف تكبير مقام الحنفية، (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٨)، وعبد الله بن محمد بن أحمد بن خليفة المطري المدني، كان مؤذنًا بالمدينة ورئيسًا للمؤذنين بها، وكبر بالحرم المدني أكثر من خمسين سنة، اعتنى بعلم الحديث، وسمع على الكثير من العلماء بالمدينة ومكة ومصر وبغداد وغيرها، وحديث، كما اعتنى بالتاريخ، (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م)^(٩).

ومن الوظائف الدينية الهامة التي تولّاها العلماء **وظيفة الأذان**؛ فقد تولّاها عدد من العلماء الذين كانوا على مستوى عال من العلم، واشتغلوا بالعلم سماعاً وإجازةً وتحديثاً، وقد اشتهرت عدد من الأسر العلمية المكية بالأذان في

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٣١٤).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٣).

(٣) ليلي عبد المجيد: التنظيمات السياسية والإدارية، ص ٢٦٥؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٦١.

(٤) القاسي: العقد الثمين، (٣/٨١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٧١).

(٥) القاسي: العقد الثمين، (٧/١٨٤).

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١١/١٢٢).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٥٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٦٤).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٢١).

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٣٨٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٥٤٧).

المسجد الحرام، ومن أشهر هذه الأسر أسرة الكازروني التي تولت الأذان بمكة المكرمة قبل العهد المملوكي، واستمرت طوال مدة حكم المماليك،^(١) وقد تولى عدد كبير من أبناء هذه الأسرة وظيفة الأذان ورئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام، منهم: عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني المكي، المؤذن بالحرم المكي الشريف، كان قد اشتغل بالعلم فسمع على عدد من العلماء ولم يحدث، (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)^(٢)، وأحمد بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني المكي، المؤذن بالحرم المكي الشريف، الذي سمع على عدد من العلماء، وكان يؤذن بمأذنة باب العمرة وتركها عند موته لابن عمه عبد السلام، (ت ٧٥٣هـ/١٣٥٢م)^(٣)، وجمال الدين عبدالله بن عبدالله بن علي بن عبد السلام الكازروني المكي الشافعي، عمل مؤذناً ومؤقتاً بالحرم المكي الشريف، سمع على علماء مكة^(٤)، وعلي بن عبدالله بن علي الكازروني المكي الشافعي، المؤذن في الحرم الشريف، والمؤقت به، اشتغل بالعلم فسمع على عدد من العلماء، (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)^(٥)، وعبدالله بن علي بن عبدالله بن علي الكازروني المكي، كان رئيس المؤذنين بمكة المكرمة، وولي ذلك سنين كثيرة، كما تاب في القضاء عن القاضي جمال الدين بن ظهيرة، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)^(٦)، ومحمد بن أحمد بن علي بن عبدالله الكازروني المكي، تولى رئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام، وكان على درجة كبيرة من العلم، وأجازته كثير من العلماء، (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)^(٧)، ومحمد بن أبي الخير محمد بن أحمد الكازروني المكي، كان رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام، ولى الرئاسة بعد موت قريبه عبد اللطيف بن محمد سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، واستمر إلى أن مات سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، وأجاز له الكثير من العلماء، وحديث، وولي بعده رئاسة المؤذنين ابنه أبو الخير وعبد السلام^(٨).

(١) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ١٨٨

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٢١٣).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٠٨).

(٤) المقرئ: درر العقود، (٢/٣٣٥).

(٥) المقرئ: درر العقود، (٢/٥٠٥)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (١/١٢١).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٢١٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٣٤).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٦).

(٨) التيجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٢٨٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٦).

ومن الأسر التي تقلد بعض أفرادها الأذان بالحرم الشريف أسرة سالم بن ياقوت المكي^(١)؛ فقد تولى عدد من أفرادها وظيفة الأذان بمنذنة باب الحزورة^(٢)، حتى كانت هذه المنذنة تكاد تكون حكراً عليهم، ومنهم الشيخ أبو العباس محمد بن أحمد بن سالم بن ياقوت المكي، المؤذن في الحرم المكي، كان ممن اشتغل بالعلم وسمع، على عدد من العلماء وحدث، (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م)^(٣)، وابنه الشيخ أحمد بن سالم بن ياقوت المكي الذي كان مؤذناً بالمسجد الحرام، سمع على عدد من العلماء، واشتغل بعلم الحديث، (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م)^(٤)، وابنه الشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن ياقوت، المؤذن بالحرم الشريف، سمع على عدد من العلماء، توفي في عشر السبعين وسبعمائة^(٥).

كما تولى وظيفة الأذان عدد من أفراد أسرة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح العمري المصري^(٦)، واشتهر أفراد هذه الأسرة بالأذان بمنذنة دار الندوة حيث توارثوا الأذان بها، ومنهم: الشيخ محمد بن عبد الرحمن العمري المصري، الذي كان محدثاً بالمسجد الحرام، سمع منه عدد من طلبة العلم، (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م)^(٧)، والشيخ محمد بن محمد

(١) سالم بن ياقوت المكي، أبو أحمد، المؤذن بالحرم المكي، أجاز له عدد من العلماء، كان يؤذن بمأذنة الحزورة، توفي سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م. الفاسي: العقد الثمين، (٤/٤٩٠).

(٢) باب الحزورة: يقع هذا الباب في الجانب الغربي من المسجد الحرام، يقال له باب الوداع، وباب الحزامية، وباب بني حكيم بن حزام، ويقال له: باب حكيم بن حزام، وباب بني الزبير بن العوام، والغالب عليه باب الحزامية؛ لأنه يلي الحزامية، والحزورة موضع بمكة يلي البيت، الفاسي: شفاء الغرام، (١/٣٩٤)؛ الكندي: التاريخ القديم، (٤/٤٢٣)؛ البلاذري: معجم معالم الحجاز، ص ٤٥٨.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (١/٢٩١)؛ المقرئ: درر العقود، (١/٣٤٦)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٤٠٣)؛ ابن العراقي: الذيل على العبر، (٢/٤٣١)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٨/٤٤٠).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٤٣)؛ عبد الحفيظ السالمى: الحياة الدينية في مكة، ص ١٩٣.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (١/٢٩٢).

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح، كمال الدين أبو الطاهر العمري المصري، المؤذن بالحرم المكي الشريف، سمع على عدد من العلماء، وحدث، توفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م. الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٠٤).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٠٤)؛ عبد الحفيظ السالمى: الحياة الدينية في مكة، ص ١٩٣.

بن عبد الرحمن العمري كان يؤذن بمثناة دار الندوة بالمسجد الحرام، وكان يُحدث في المسجد الحرام بكتاب الموطأ، (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)^(١).

ومن الأسر التي تولت التي تولت بعض أفرادها الأذان أسرة الشيخ إسماعيل بن علي بن محمد البيضاوي الزمزمي^(٢)، وقد تلت هذه الأسرة أسرة سالم بن ياقوت في الأذان بمثناة باب الحزورة، ومثناة باب سوقة، ومن أشهر علمائها الذين تولوا الأذان إسماعيل بن علي بن محمد بن داود البيضاوي ثم المكّي الزمزمي، عمل بوظيفة الأذان، (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م)^(٣)، وابنه محمد بن إسماعيل بن علي بن محمد البيضاوي، سمع على عدد من العلماء، وحصل على إجازات بالتدريس، تقلد الأذان بعد والده، وعمل مؤذناً مع أخوته في مثناة سوقة والحزورة، (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦م)^(٤)، ثم تولى بعده ابنه علي بن محمد بن إسماعيل الذي كان عالماً في الفقه والفتاوى والفرائض^(٥) والأدب، (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)^(٦).

كما كان هناك عدد من المؤذنين الآخرين منهم محمد بن عمر بن علي بن عمر السحوي البعني، عمل مؤذناً بالحرم المكّي، فأذن بالحرم على زمزم دهرًا، كان ممن سمع على عدد من العلماء وحديث، (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)^(٧)، وحسين بن يوسف بن يعقوب بن حسين الحصنكي المكّي، عمل مؤذناً بالحرم، وكان يقرأ ويمدح للناس في اجتماعاتهم، وعلى أذانه ومدحه أنس كثير، سمع على جماعة من العلماء ولم يحدث؛ ولكنه أجاز، (ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م)^(٨)، وسليمان بن أبي

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/١١٤)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ١٩٣.

(٢) إسماعيل بن علي بن محمد بن داود بن شمس أبو الطاهر البيضاوي ثم المكّي الزمزمي الشافعي، المؤذن بالمسجد الحرام، سمع على عدد من العلماء، واشتغل بالعلم كثيراً، وحديث باليسير، توفي سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م. السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٣٠٣).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٣٠٢).

(٤) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٨٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٣٨).

(٥) علم الفرائض هو علم بقواعد وحجرات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث بعد معرفته، وموضوعها التركة والوارث؛ لأن الفرضي يبحث عن التركة ومستحقها بطريق الإرث من حيث إنها تصرف إليه إرثاً بقواعد معينة شرعية، ومن جهة قدر ما يحوز ويتبعها ممتلكات التركة، حاجي خليفة: كشف الظنون، (٢/١٢٤٤).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٩١).

(٧) المقرئ: درر العقود، (٣/٢٠٩).

(٨) القاسي: العقد الثمين، (٤/٢١٠)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٦٠).

السعود بن عمر بن علي الرغبي المغربي ثم المكي، المؤذن بالمسجد الحرام والقرآن به، ولى نصف الأذان بمئذنة باب العمرة ينزول من عبد اللطيف بن أحمد بن عبد السلام الكازروني، وكان يتوب عن الدرس في الأذان على زمزم والتكبير، سمع على عدد من العلماء، وله معرفة بالتوقيت، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(١)، وأحمد بن محمد بن محمد المصري ثم المكي الحنفى، أقرأ ووعظ بالمسجد الحرام، وتولى وظيفة الأذان بعد ابن الزيات بباب السلام بماله من معلوم، وهو خمسون ديناراً وصارت بعده لأولاده، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٢).

وشهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولى عدد من العلماء من داخل المدينة وخارجها لوظيفة الأذان، ومن بينهم أفراد من الأسر العلمية اشتهرت بتولى وظيفة الأذان، ومن أهمها أسرة المطري التي تعد أهم الأسر التي عنتبت بذلك؛ حيث إن مؤسس هذه الأسرة أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش المطري كان أحد ثلاثة استدبوا من مصر من المطرية إلى المدينة لخلوها من عارف بالمبقات، واستقر فيها وأصبح رئيساً للمؤذنين^(٣)، وتوارثت هذه الأسرة الوظيفة من بعد ذلك^(٤)، وكان ممن تولاها منهم: جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري المطري المدني الشافعي الذي عمل مؤذناً بالحرم النبوي، وكان مهتماً بالعلم، (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)^(٥)، وعفيف الدين عبدالله بن محمد بن خليف الأنصاري الخزرجي المطري، المؤذن بالحرم المدني، اهتم بعلمي الحديث والتاريخ، (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م)^(٦)، كما تولى عدد منهم رئاسة المؤذنين، كعبدالله بن محمد بن أحمد بن خليفة المطري المدني الشافعي، أذن بالمدينة وكان رئيس المؤذنين بها، وكبش بالحرم المدني أكثر من خمسين سنة، توفي سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م^(٧)، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطري ولى رئاسة

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٦٤).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٥٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٠٥).

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١٧٨).

(٤) حورية السعدي: الأسر العلمية بالمدينة المنورة، ص ٣٤٧؛ ريم الساج: الموظفون بالمسجد النبوي، ص ٩٨.

(٥) الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ٧؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ٩٨.

(٦) الفاسي: تعرف ذوي العلا، ص ١٥٨؛ ابن العراقي: الذيل على العبر، (١/١٥٦).

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٣٨٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٥٤٧).

المؤذنين بالحرم النبوي كآبيه، اعتنى بالعلم فسمع وحديث ودرس وأفتى، وتولى قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها، وكان ذا معرفة حسنة بالفقه والعربية وغيرهما، (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)^(١).

ومن الأسر المدنية التي مارست وظيفة الأذان أسرة تولت وظيفة الأذان منذ النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وتنسب إلى أحمد بن قاسم المعروف بالقطان المدني الشافعي، كان له ولدان هما حسن وأحمد عملاً بالأذان في المسجد النبوي^(٢) كما كان لحسن ولدان أحدهما الحسين بن الحسن بن القاسم الرضي القطان، المؤذن بالمدينة، وقد استقر في وظيفة أبيه، وكان له اشتغال بالعلم، (ت ٧٥٣هـ/١٣٥٢م)^(٣)، وقد خلفه في وظيفته ابنه عبد الرحمن الذي اشتغل بالعلم؛ فحفظ القرآن والكثير من الكتب، وحضر الدروس العلمية، وأجازه العديد من الشيوخ، ومارس بالإضافة إلى ذلك - التدريس والإقراء، واستمر في وظيفة الأذان حتى توفي سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م^(٤)، وخلفه عدد من أبنائه منهم إبراهيم، وعلي، ومحمد، مارس بعضهم وظائف أبيهم في الأذان والتدريس^(٥).

وكذلك من الأسر التي توارث أبنائها وظيفة الأذان بالمسجد النبوي خلال العصر المملوكي أسرة الكثاني التي قدمت من مصر، وكان أولهم قد أرسل من مصر إلى المدينة لإيجاده الأوقات، وهو إبراهيم بن محمد بن مرتضى الكثاني^(٦)، حيث تولى منصب رئيس المؤذنين في المسجد النبوي، وبعد وفاته تسلم من بعده أبنائه وظيفته، وأولهم ابنه الجمال أبو عبدالله محمد رئيس المؤذنين، وتأسى بوالده في معرفة الأوقات، وكان شيخاً صالحاً، مقرباً، واستمر في الوظيفة حتى وفاته سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م^(٧)، ومن تولى من علماء هذه الأسرة عبد الغني بن أحمد بن عبد الغني بن أحمد الكثاني، بأشر الأذان من سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م، بعد أن كان يتوب عن رفاق أبيه في الرئاسة كالحب الطبري، ولما عجز صار يتوب

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٩٩)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٩/١٣٩)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١٥٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٢١٢، ٢٨٢، ٥٠١).

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٥٠٥).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٧٥).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٥٧، ١٣٨)؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي؛ ص ٢٢٢، ريم السايح: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٤.

(٦) ابن فرحون: نصيحة الجاور، ص ١٣٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٥٢)؛ ريم السايح: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠١.

(٧) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٤١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٤٥٦)؛ ريم السايح: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٢.

عنه البعض كسعد النفطي^(١)، الذي اشتغل بالعلم، واستفاد من علماء المدينة وغيرهم^(٢)، كذا من الأسر التي تولت وظيفة الأذان أسرة الشكيلي^(٣) حيث تولى عدد من أفرادها وظيفة الأذان ومنهم محمد بن الحسن بن مسعود الشكيلي المكي الأصل المدني، كان ممن اشتغل بالعلم، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(٤)، ومحمد بن إبراهيم الذي سمع على عدد من العلماء في المدينة واستفاد منهم، (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م)^(٥).

وفي أوائل القرن التاسع الهجري شاركت أسرة بني الخطيب في وظيفة الأذان بقرار من السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)، وتعود أصول هذه الأسرة إلى القاهرة بمصر، وأول من تولى منهم رئاسة المؤذنين محمد بن محمد بن محمد القاهري ثم المدني، ومنهم ابنه أحمد بن محمد بن محمد الذي تولى رئاسة المؤذنين بالمسجد النبوي كآبيه، وكان ممن اشتغل بالعلم فسمع بالمدينة، وارتحل للقاهرة والشام مراراً وسمع بهما، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٦)، ومنهم أيضاً - ابنه محمد بن أحمد الذي سمع على كثير من شيوخ العلم حتى أجازوا له، واشتغل به الكثير، (ت ٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(٧).

وهناك عدد كبير من المؤذنين ورؤساء المؤذنين الآخرين منهم غانم بن محمد بن محمد بن يحيى بن المدني الحنفي، أذن بالحرم النبوي، كان ممن اشتغل بالعلم وحدث، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٨)، وسعد بن الجمال عبدالله بن أحمد بن عبدالله

(١) سعد بن عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد المدني الشافعي، يعرف بابن النفطي، شيخ المؤذنين والقراشين بالمدينة المنورة، مات سنة بضع وستين وثمانمائة، السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٤٧).

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٤٨).

(٣) أسرة الشكيلي من الأسر التي اشتهرت في المدينة، ويرجع أصلها لمكة، كان جدهم مسعود نجاراً، وقد أكسب مالاً ونجداً ودوراً، وكان مزارعاً مهتماً بالتجارة، أنجب ذرية صالحة انتفع بهم أهل المدينة، ابن فرحون: تصحفة المشاور، ص ١٧٠؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٥٥٩).

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٤٥٩)؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٥.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٠١)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٢٦٤)؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٦؛ عبد الرحمن المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٢٣.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٥٠٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٩٣)؛ ريم الساج: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٠٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٥٩).

المدني الشافعي، وكان كاتبه شيخ المؤذنين بالمسجد النبوي، كان له عناية بالعلم؛ فحفظ القرآن الكريم وعدداً من كتب العلم، ووصف بالفقيه، توفي سنة بضع وستين وثمانمائة^(١)، والشهاب أبو العباس، وأبو الرضي أحمد بن محمد بن محمد بن محمد المصري الأصل المدني الشافعي، وتولى رئاسة المؤذنين بالمسجد النبوي، كان ممن اعتنى بالعلم فسمع على عدد من الشيوخ، وله نظم، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٢)، والشمس والجلال أبو السعادات محمد بن أحمد بن محمد بن محمد المصري الأصل، المدني الشافعي، الرئيس ابن الرئيس، تولى رئاسة المؤذنين بطيبة، كان ممن اشتغل بالعلم وحفظ عدداً من الكتب، وأجازه عدد من الشيوخ، وقرره خير بك^(٣) مدرساً للشافعية بالدروس التي قررها، كان بيده رئاسة المؤذنين بالحرم النبوي تلقاها عن أبيه، (ت ٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(٤)، وطلحة بن سعد بن عبدالله بن أحمد المدني، المؤذن والفراش بالمدينة، كان ممن حفظ القرآن الكريم وعدداً من كتب العلم كالأربعين للنووي والشاطبية وغيرها، (ت ٨٨٩هـ/١٤٨٤م)^(٥).

وإلى جانب وظيفة المؤذن فقد تولى عدد من العلماء هذه الوظيفة بالنيابة عن رئاسة الأذان وعن المؤذنين، وكان هذا النائب يجمع بين النيابة في رئاسة الأذان والأذان مع وظائف أخرى، ومن تولى وظيفة المؤذن نائباً للرئيس أو للمؤذن سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الرغبي المغربي، المؤذن بالمسجد الحرام، وكان يتوب عن الرئيس في الأذان على زمزم، والتكبير، وله معرفة بالتوقيت، وكان ممن اشتغل بالعلم، وسمع على عدد من العلماء، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٦).

ومن الوظائف التي يمكن إدراجها ضمن الوظائف الدينية وظيفة المؤقت^(٧)، وهي من الوظائف المرتبطة برفع الأذان في المساجد والإعلام بوقت إقامة الصلوات المفروضة، ومن العلماء الذين تولوا وظيفة الميقات أو الميقاتي أو المؤقت

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٣٢/٢).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٠٦/٢)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢٦٤/١).

(٣) خير بك الأشرفي برسباني هو أحد أمراء المماليك، كان من المقربين لسلطين المماليك، قدم مكة المكرمة سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، وافتتح دراسة بالمسجد الحرام، وتوفي في نهاية سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، السخاوي: الضوء اللامع، (٤، ٢٠٧)؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٦٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٠٦/٣، ٥٠٧).

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢٦٢/٢).

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٥٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٤/٣).

(٧) علم الميقات: علم الميقات من العلوم الإسلامية الضرورية، وهو يعتمد في أساسه على الرياضيات والفلك والجغرافية الرياضية، إلا أنه وثيق الصلة بالفقه الإسلامي؛ إذ به يتعلّق ضبط أوقات الصلوات، ومعرفة جهة القبلة وما إلى ذلك. وعلم الميقات علم يتوصل به إلى معرفة أزمنة =

محمد بن إبراهيم العسقلاني الشافعي الذي عمل مؤقتاً بالمسجد النبوي، كما كان يتوب في الخطابة والإمامة، وينشد المدائح النبوية، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)^(١)، ومحمد بن عبدالله بن علي بن محمد الكازروني ثم المكي، استقر مؤذناً بالمسجد الحرام، كان عارفاً بالمبقات، وسمع على عدد من العلماء، (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)^(٢)، ومحمد بن محمد بن محمد الشمس القاهري ثم المدني، أحد رؤساء مؤذنيها، وكان متميزاً في المبقات وصنف فيه، كما باشر الإمامة والخطابة بالمدينة نبأه، (ت ٨٢٤هـ/١٤٢١م)^(٣)، وسليمان بن أبي السعود الربيعي المغربي، المؤذن بالمسجد الحرام والقراش به، كان له معرفة بالتوقيت، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٤)، ومن خلال النظر في العلماء المتولين لهذه الوظيفة نجد أنه منهم من يجمع بين وظيفة الأذان والتوقيت.

ومن الوظائف الدينية التي تولاهها العلماء في مدن الحجاز وظيفة الإفتاء، وقد عرف صاحبها بالمنفي، ولما كان يترتب على الفتوى من الأحكام فإنه كان لا يعين في هذه الوظيفة إلا من كان على قدر كبير من العلم؛ وخاصة علم الفقه الذي هو متعلق بالأحكام؛ إلى جانب الحديث، وغيرها من العلوم الدينية^(٥)؛ فضلاً عن ذلك حصول متولي هذه الوظيفة على إذن في الإفتاء بعد إجازته على عدد من العلماء الذين درس على أيديهم؛ سواء من بلاده أو القادمين إليها، أو البلاد التي ارتحل إليها؛ لذا فقد تولى هذه الوظيفة عدد من العلماء منهم الأئمة، والخطباء، والقضاة.

الأيام - نهارها وليلها - ومعرفة أحوالها وكيفية التوصل إليها لضبط أوقات العبادات، وتخفي جهتها ومعرفة الطلوع والمطالع من أجزاء البروج ومن الكواكب التي منها منازل القمر، ومقادير الظلال، والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها. وهو علم مستقل عن علم الفلك والأزياج بسبب أغراضه المرتبطة بإقامة شعائر الدين؛ إلا أنه بقي يستمد من بحوث الرياضيين والفلكيين والجغرافيين وأصحاب الأزياج والراصدين، وكان عدد من علماء المسلمين ذوي اطلاع واسع بالعلوم الشرعية وتضلّع في الفقه؛ فأكملت عندهم القدرة على التأليف في علم المواقيت، أو اختراع الآلات الرصدية واستعمالها لضبط أوقات العبادات، وتعيين سمت القبلة (السمت هو الاتجاه)، محمد الخطابي: علم المواقيت أصوله ومناهجه، ص ٣، ٤.

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٣/٣٠٢).

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، (١/١٢١).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/١٢).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٦٤).

(٥) حسن باشا: الفنون الإسلامية، (٣/١١١٦).

ومن العلماء الذين تولوا الإفتاء في الحجاز سبأ بن شعيب اليمني، مفتي الحرمين، توفي بالمهجم^(١) من اليمن سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م^(٢)، ومفتي الحرمين الفقيه جمال الدين أبو أحمد محمد بن عيسى بن سالم الشهير بابن خشيش الشريشي، (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)^(٣)، ومحمد بن أبي بكر عبدالله بن خليل العسقلاني، شيخ الحرم ومفتيه، (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)^(٤)، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن الحسين الطبري المكي الشافعي، مفتي مكة المكرمة، (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م)^(٥)، ومحمد بن أحمد بن عبدالله الطبري، كان شيخاً فاضلاً فقيهاً مشهوراً بمعرفة الفقه يقصد بالفتاوى من بلاد الحجاز واليمن بمكة، (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)^(٦)، وعبدالله بن حمود البجائي المالكي، ولد سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، مفتي الحرمين الشريفين^(٧)، ومحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، قاضي مكة ومفتيها، (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)^(٨)، وعبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد، نزيل مكة المكرمة، ولد بأصفون من أعمال القوصية من أعمال الصعيد، ولي الإفتاء بمكة، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(٩)، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحارزي الشافعي، مفتي مكة وعالمها، كان له معرفة بالفقه، وأقام بمكة المكرمة يفتي ويدرس، (ت ٧٥٥هـ/١٣٥٤م)^(١٠)، وعبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبدالله الفاسي ثم المكي المالكي، عني بالفقه وأفتى أكثر من أربعين سنة، (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٢م)^(١١)، ومحمد بن عبدالله بن

(١) المهجم بلد وولاية من أعمال زيد باليمن، بينها وبين زيد ثلاثة أيام، الحموي: معجم البلدان، (٥/٢٢٩).

(٢) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٩١)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٥١٧).

(٣) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/١٠٥).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٥٩)؛ ابن تقي بري: المنهل الصافي، (١٠/١٥٦).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٠٣).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٧١)؛ ابن شهبه: طبقات الشافعية، (٢/٣٨٧)؛ البيهقي: مرآة الجنان، (٤/٢١٢)؛ ابن تقي بري: المنهل

الصافي، (١١/٤١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٦).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩١٢.

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٧٩)؛ ابن تقي بري: المنهل الصافي، (١٠/١٥٧)، (١٠/١٥٧).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤١٥).

(١٠) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١١٦)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (١/٢٣٥)؛ ابن تقي بري: المنهل الصافي، (٢/٦١).

(١١) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٢٤٤)، المقرئ: درر العقود، (٢/٢٥١).

ظهيرة بن أحمد القرشي المخزومي المكي، قاضي قضاة مكة وخطيبها ومفتيها، تصدى للإفتاء والتدريس نحو أربعين سنة، وكان أكثر ما يفتي بمكة، وقصد بالفتاوى من البلاد ووردت عليه من عددن أسئلة بلغت مئة، فأجاب عنها بما يسع كرايس، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)^(١)، ومحمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد، باشر الإفتاء والتدريس في الحرمين، (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٢)، ومحب الدين أحمد بن ظهيرة المخزومي الشافعي، قاضي مكة ومفتيها، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٣)، وعلي بن أحمد محمد بن سلامة السلمي المكي، درس كثيراً في الفقه، وأفتى قليلاً لفظاً -غالباً- تأديباً مع قضاة مكة، (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)^(٤)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن روزية الكازروني الأصل المدني الشافعي، (ت ٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، تصدر للإفتاء والتحديث بالمدينة المنورة، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٥)، وحسين بن محمد بن حسن بن عيسى الشافعي المعروف بابن العليف المكي، كان عالماً مفتياً، (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)^(٦)، وعلي بن عبد الله بن أحمد الحسيني السهمودي، ولد بسمهود بصعيد مصر ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، (ت ٩١١هـ/١٥٠٦م)^(٧).

ومن الوظائف الدينية التي تولوها العلماء وظيفة الحسبة، وهي وظيفة ذات صبغة دينية شرعية، ولذلك فهي تتطلب أن يكون صاحبها على قدر كبير من العلم والدين، لذلك كانت تسند للعلماء والقضاة، ومن العلماء الذين تولوا وظيفة الحسبة: محمد بن عثمان بن موسى بن عبد الله الأمدي ثم المكي، باشر الحسبة بمكة، واشتغل بالعلم، وأجاز له جماعة من العلماء، وناب في الحكم، (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)^(٨)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العقيلي الهاشمي، تولى الخطابة والحسبة ونظر الحرم المكي، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٩)، وأحمد بن محمد بن أحمد النويري المكي الشافعي، ولي

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٥٣/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩٢/٨)؛ ابن نخري بردي: المنهل الصافي، (١٥٣/١٠).

(٢) الزركلي: الأعلام، (١١٨/٧).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (١٣٩/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٣٤/٢).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (١٣٩/٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٨٣/٥)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٢٦٧/٩).

(٥) الشوكاني: البدر الطالع، (١٢١/٢).

(٦) السيوطي: نظم العقبان، ص ١٠٦.

(٧) الزركلي: الأعلام، (٣٠٧/٤)؛ الشوكاني: البدر الطالع، (٤٧٠/١)؛ كحالة: معجم المؤلفين، (٤٦٣/٢).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (١٣٥/٢).

(٩) الفاسي: العقد الثمين، (٣٧٦/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤٥/٧).

حسبة مكة شريكاً لأخيه إسماعيل، ولما مات أخوه إسماعيل استقل بها،^(١) ومحمد بن أحمد بن الضياء محمد بن سعيد القرشي العمري المكي الحنفي، جمع مع القضاء نظر الحرم والحسبة، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٢)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري المكي الشافعي، ولي حسبة مكة شريكاً لأخيه إسماعيل عن القاضي أبي السعادات في سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م واستمرت بيده إلى سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م فعزل بالقاضي أبي السعادات، ثم أعيد في سنته واستمر إلى سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م فعزل بسبب مرسوم جاء إلى صاحب مكة والقضاة والأعيان بالكشف عن حاله بأنه كثير الرشا، وإن كان الأمر كذلك فيولى غيره والا يترك، والأمر في ذلك لصاحب مكة السيد أبي القاسم بن حسن بن عجلان، فعزل وولي عبدالرحمن بن غانم، ثم أعيد للحسبة، ثم عزل عنها بالأمير يرم خيجا ناظر المسجد الحرام، (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)^(٣)، وكان قد شغل منصب ناظر المسجد الحرام سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، كما عين إلى جانب ذلك محسباً، (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٤)، ومن العلماء الذين تولوا الحسبة بالمدينة المنورة علي بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الأصل المدني الحنفي، ولي قضاء المدينة المنورة وحسبتها في أول سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٥)، وعبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن الأنصاري الزرندي المدني الحنفي، ولي قضاء الحنفية بالمدينة المنورة بعد أخيه سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، واستمر حتى مات إلا أنه عزل مرة واحدة في سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، وكذا ولي حسبة المدينة المنورة^(٦)، وسعيد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي المدني الحنفي، ولي قضاء المدينة المنورة وحسبتها بعد أخيه، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٧)، ومن العلماء اللذين تولوا الحسبة بجدة علي بن داود بن علي بن بهاء الدين الكيلاني المكي الشافعي، الذي ولي قضاء جدة وحسبتها، ونظر جامعها وأوقافها، (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)^(٨).

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٨٤).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٤، ٥٥؛ النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٤).

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٨٤).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٠).

(٥) المقرئ: درر العقود، (٢/٤٧٦)؛ السخاوي: وجيز الكلام، ص ١٨٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٥١٨).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٥١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/١٥٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٥٦).

(٨) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٠٢٥.

وفي عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤ - ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م) أسندت الحسبة لأمراء عسكريين فجمعوا بين الحسبة وامرة الراكر، ومنهم طوغان شيخ الأحمدى، ولّى نظر المسجد الحرام، وامرة الراكر بمكة، وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء، عين سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م باشاً للترك بالمدينة المنورة، ومحسباً بمكة المكرمة^(١).

ونظراً لكثرة مهام المحسب الذي غالباً ما كان يُجمع له مع الحسبة أكثر من وظيفة، فإنه كان بحاجة لنواب ينوبون عنه، وخاصة في حال غيابه، ومن العلماء الذين تولوا النيابة في الحسبة: محمد بن عبد المؤمن بن خليفة الدكالي المكي، باش الحسبة بمكة نيابةً، كان ممن اعتنى بالعلم، وسمع على جماعة من العلماء بمكة والمدينة والقاهرة، وحصل على عدد من الإجازات العلمية، (ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م)^(٢)، وحسين بن يوسف بن يعقوب بن حسين بن إسماعيل البدر الحصنكي، ناب بمكة في الحسبة عن الحب النويري وولده العز، وكان يؤذن بالحرم، سمع على جماعة من العلماء ولم يحدث^(٣)، ومحمد بن سعيد محمد بن عبد الوهاب الزرندي المدني الحنفي، باش الحسبة والقضاء عن أبيه ثم عن أخيه، وكذا عن شاهين الجمالي، كان ممن اعتنى بالعلم فحفظ القرآن الكريم والعديد من الكتب، وعرضها على عدد من العلماء^(٤)، ومحب الدين أبو البركات الشهير بابن المحسب الحصنكي الأصل المكي، ناب في الحسبة بمكة المكرمة عن القاضي عز الدين النويري ومن بعده إلى أن آلت الحسبة بمكة المكرمة للأتراك فترك ذلك وسئل في ذلك فامتنع عن الإجابة، وكان له اشتغال بالعلم وأجازه عدد من العلماء^(٥)، ومحمد الكمال أبو البركات الحنفي، ناب في حسبة مكة وكذا في قضاء جدة عن ابن أخيه القاضي أبي اليمن، اعتنى بالعلم فسمع على عدد من العلماء في مكة والقاهرة ودمشق، وحدث باليسير، (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)^(٦)، ومحمد بن بجشيش بن أحمد السيفي اليمني المكي، نزل جدة، ناب في الحسبة بجدة عن قضاتها وأمرائها، سمع على عدد من العلماء وحدث، (ت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م)^(٧)، ومحمد بن عمر بن مسعود الجمال التعكري،

(١) التجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٤٨٥).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٢٩).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٦٠).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٥٢).

(٥) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٩٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٤٧).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٦٢).

(٧) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٥٥).

ناب في الحسبة بمكة عن القاضي أبي الفضل حتى مات سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وكان له عناية بالعلم فسمع الحديث على جماعة من العلماء، وتفقه على المذهب الشافعي^(١).

وبالنظر للعلماء الذين تولوا الوظائف الدينية، يتبين أنهم كانوا على درجة كبيرة من العلم، فمعظم من تولوها كانوا من القضاة والأئمة والفقهاء، وهو مما كانت تتطلبه هذه الوظائف من أن يكون متولوها من الراسخين في العلم، كما جمع هؤلاء العلماء بين عدد من الوظائف الدينية فضلاً عن الإدارية والعلمية، وكان للقضاة النصيب الأكبر من الجمع بين الوظائف الدينية، وكذا الإدارية والعلمية، وقد ترتب على الجمع بين عدد من الوظائف كثرة مهام متولى هذه الوظائف؛ مما كان له أثره في تعيين نواب ينوبون عنه في بعض الوظائف، كما يتبين من خلال من خلال هذه التعيينات ارتباط بعض هذه الوظائف بأفراد من الأسر العلمية وتوارثها بين أفرادها.

(١) القاسي: العقد الثمين، (٢/٢٣٦)؛ المقرئ: درر العقود، (٣/٢١٢).

المبحث الثاني: الوظائف العلمية:

تعد الوظائف العلمية من الوظائف وثيقة الصلة بالعلماء؛ وذلك لارتباطها بمجالهم العلمي واهتماماتهم العلمية، وقد عمل بها عدد من علماء الحجاز الأصليين والوافدين والمجاورين وغيرهم إلى جانب العلماء الحجازيين، حيث شهدت بلاد الحجاز خلال هذه المدة نشاط الحركة التعليمية وتعددت جوانبها ومرافقها؛ خصوصاً ظاهرة التعليم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، اللذان ازدانت ساحتهما بكثير من الموظفين في مجال التعليم، فكان منهم المدرسون والمقرئون والمؤدبون^(١)؛ فضلاً عن ذلك وجود المدارس التي وفرت فرص عمل للحجازيين أو غيرهم من الوافدين، وذلك بتولي بعض الوظائف الخاصة بالمدارس مثل وظيفة التدريس وغيرها؛ بل كان الحصول على منصب في إحدى هذه المدارس غاية يسعى إليها الكثير من العلماء والفقهاء والقضاة^(٢)، ومن أهم الوظائف التعليمية التي عمل بها العلماء في الحجاز وظيفة المؤدب، ومن الجدير بالذكر أن تأديب أبناء الأعيان كان هو الأصل في مهنة التأديب حيث كان المؤدب يؤدب أطفال الخلفاء والوزراء والعلماء، فقد درج الحكام والسلطين على دعوة معلمين معينين لتدريس أبنائهم وتأديبهم في قصورهم بدلاً من إرسالهم إلى الكتاتيب أو المدارس، ويسمى من يقوم بهذه المهمة "المؤدب"، وكانوا يحضون بمرتبات عالية، ومنزلة كبيرة، ورعاية خاصة، ولم يكن يتولى هذه المهمة إلا كبار العلماء والأفاضل^(٣)، وإن كان الوضع مغايراً في بلاد الحرمين لشرف التعليم بهما؛ مما جعل أكثر هؤلاء المؤدبين يعلمون الأطفال بهما؛ خاصة وأن هؤلاء المؤدبين كان الأكثرية منهم من العلماء المشاهير والمجاورين بالحرمين الشريفين^(٤)، وقد عمل بها العلماء سواء لأبناء الحكام والأمراء والأعيان، أو غيرهم من علية الناس، أو للالتزام بمكاتب السبيل، وكذا لأبناء العامة، وقد عمل بها عدد كبير من علماء الحجاز وخاصة المجاورين منهم^(٥)، ومن العلماء من عمل بمهنة التأديب داخل الحرمين الشريفين، واتخذ مكاناً محدداً يعلم فيه الأطفال؛ في حين أن منهم

(١) ريم السامح: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١١٥

(٢) شرح الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ١٩٠، ١٩١

(٣) للمزيد عن التأديب، انظر صلاح الحيدري: المؤدبون ومهنة التعليم في العصر العباسي، العراق، مجلة جامعة الموصل، العدد السابع، السنة الرابعة، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

(٤) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣١٦

(٥) ريم السامح: الموظفون في المسجد النبوي، ص ١٣٧

من لم يعين له مكاناً محدداً، ومن العلماء الذين عملوا بالتأديب في الحرمين محمد بن إسماعيل بن حسين بن عبد الله الشيرازي الأصل، المكي المولد والدار، الذي سمع على جماعة من العلماء، وأذنب الاطفال مدة في الحرم تحت مأذنة باب العمرة، توفي بعد التسعين وسبعمائة ببسبر^(١)، ومحمد بن ثابت الأنصاري المراكشي، كان له معرفة بالقراءات السبع، عمل مؤدياً للأطفال بمكة عند باب أحياد من الحرم الشريف، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)^(٢)، ويوسف بن علي بن سليمان القروي، نزل مكة لسنوات كثيرة، سمع بمكة وكان قارئاً للحديث بدرس وزير بغداد بالحرم الشريف^(٣)، عمل مؤدياً بالمسجد الحرام، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)^(٤)، كما عمل العلماء بالتأديب بالمسجد النبوي، ومنهم محمد بن غصن أبو عبد الله الأنصاري القصري، الذي علم الاطفال القرآن بالمسجد النبوي، (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)^(٥)، وكذا الشيخ محمد السبيعي الذي كان له مكتب بالمسجد النبوي بلغ عدد طلابه فوق مئة متعلم، حيث كان يؤذب أبناء العامة من الناس، ويذكر السخاوي أن محمد بن صالح مؤرخ المدينة (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م) هو أحد أبناء العاملين بالتبويض^(٦) بالمسجد النبوي قد سمع على صاحب هذا المكتب ثلاثة أرباع القرآن، (ت ٧٢٠هـ/١٣٢٠م)^(٧)، ومن العلماء الذين كانوا يتولون التأديب بالكاتيب الخاصة، واتخذوا من التأديب عملاً يتقوتون به ويحصلون على أجر مقابل ذلك صالح بن مسعود بن محمد التقي التميمي الشافعي، الذي سمع سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م على البدر بن فرحون ووصفه بالفقيه، وقد عمل بتأديب الاطفال بالمدينة^(٨)، وعبد الرحمن بن

(١) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤١٣).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٣٥).

(٣) درس الحديث لوزير بغداد لا يعرف تاريخ تقريره، قرر من قبل أمير كان بغداد يدعى الفخر عثمان بن يوسف بن أبي بكر النويري (ت ٧٥٥هـ/١٣٥٤م) بالمسجد الحرام، درس فيه سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وقد توقف التدريس بهذا الدرس بعد مقتل صاحبه سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٥٥؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٠١.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٧/٤٨٨).

(٥) السخاوي: النحلة اللطيفة، (٣/٧٠٤)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣١٢.

(٦) المبيض هو الذي يبيض الجدار أو النحاس، إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ص ٧٩.

(٧) السخاوي: النحلة اللطيفة، (٣/٥٨٣)، خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣١١.

(٨) السخاوي: النحلة اللطيفة، (٢/٢٣٥).

عبدالله الجبرتي، نزيل مكة المكرمة، المقرئ الذي عرف بالتأديب (ت ٧٧٣هـ/١٣٧١م)^(١)، ومحمد بن محمد بن ميمون الجزائري، وصفه الفاسي بأنه كان من العلماء الصالحين الأخيار، أقام بالمدينة المنورة خمسة أعوام يؤدب الأطفال، (ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م)^(٢)، ومن العلماء الذين عملوا بالتأديب بمكاتب السبيل أو مكاتب الأيتام محمد بن عبد المؤمن بن خليفة الدكالي، اشتغل بالعلم وأجاز له عدد من العلماء وحديث، أذب الأطفال بمكتب بشير الجمدار بالمسجد الحرام مدة سنتين، (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٣)، وكذا من العلماء من عمل بتأديب أبناء الأشراف والأعيان، ومنهم محمد بن أبي بكر بن مسعود بن يحيى اليمني الذي عمل على تأديب الأطفال بمكة المكرمة، وسمع بها وأذب جماعة من الأعيان بها منهم الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي، (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٤)، ومن العلماء الذين تولوا تأديب أبناء الأعيان يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي الذي اعتنى بالعلم، وسمع على عدد من العلماء، وعمل مؤدباً بالمسجد الحرام، وأذب أولاده مع جماعة من أولاد أعيان الحرم، (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م)^(٥). ومن اللافت أن العلماء الذين عملوا بالتأديب لم يقتصروا على هذه المهنة؛ بل كان بعضهم من أصحاب الوظائف، وغالباً كانوا ممن عمل بوظيفة الأذان والإقراء، ومنهم: إبراهيم بن أحمد بن غنאים البعلي المدني، كان ممن عمل بالأذان بالحرم النبوي والإقراء إلى جانب تأديب الأطفال، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٦)، ومحمد بن عبدالله الشمس الصعدي الشافعي، نزيل الحرمين، عمل مؤدباً للأطفال بمكة بباب الجزيرة وأحد مؤذنيه، (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)^(٧)، ومنهم - كذلك - يوسف بن عياش التجيبي الأندلسي المالكي كان يؤدب الأطفال إلى جانب إمامة المالكية بالمسجد الحرام^(٨). ومن العلماء من عمل بالتأديب إلى جانب العمل ببعض المهن والحرف، ومنهم أحمد بن أبي الخير محمد بن حسين بن الزين محمد بن الأمين القسطلاني المكي الذي سمع بمكة، وأجاز له في سنة

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢٥/١).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣٢٦/٢).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣١٣/٢)، السخاوي: الضوء اللامع، (١٣٤/٩).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٤٣٣/١).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٤٩٠/٧).

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٠٤/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٢/١).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (١١٨/٨).

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٤٨٩/٧).

٧٧٠هـ/١٣٦٨م جماعة، وكان ممن عمل بتأديب الأطفال بالمسجد الحرام تحت منارة باب علي؛ إلى جانب كتابته الوثائق وتجويده الكتابة، (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)^(١).

ومن المهن العلمية التي عمل بها العلماء مهنة التدريس، وفي مقدمتها التدريس في الحرمين، وغالباً ما كان يتولى التدريس بالحرمين القضاة والأئمة؛ سواء كانوا من أهل الحجاز، أو الوافدين عليها، أو الجاوريين بها، ومن القضاة الذين عملوا بالتدريس بالمسجد الحرام قاضي مكة ومفتيها محب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي الشافعي، جلس للتدريس بالمسجد الحرام في سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٢)، وكذا تقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي المكي، قاضي المالكية بمكة كان ممن درس بالمسجد الحرام، (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)^(٣)، وعبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد البافعي المكي الشافعي، رجع في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، تآب في الإمامة بمقام إبراهيم، وتصدى للاشتغال في المسجد الحرام، وكانت له فيه حلقة استمرت سنتين، (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٢م)^(٤)، وكذلك أحمد بن عيسى بن محمد الخوارزمي المكي الشافعي، كان ممن درس بالمسجد الحرام، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)^(٥)، والحسن بن علي الشيخ الإمام الفقيه، كان يشتغل بالحرم الشريف في الفقه، (ت ٧٢٤هـ/١٣٢٣م)^(٦)، ومن العلماء من درس في الحرم وأفتى، ومنهم عبد اللطيف بن أحمد بن علي بن محمد النجم أبو النشاء وأبو بكر بن أبي السرور الحسني الفاسي المكي الشافعي، كان ممن درس بالحرم وأفتى.^(٧) ومن القضاة الذين عملوا بالتدريس بالمسجد النبوي عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون، نزيل المدينة المنورة، كان مدرساً مالكيًا متصديراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة^(٨)، ومن العلماء الذين درسوا بالمسجد النبوي عبد السلام بن محمد بن روزبه

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٣٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٠٩).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٤٠، ١٤٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٣٤).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (١/٣٣١).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٥٣٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٠٢).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١/١٩١).

(٦) الصفدي: أعيان العصر، (٢/٢٠٩).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٢٢).

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٤٠٣).

بن محمود بن إبراهيم الكازروني المدني، كان ممن درس بالحرم النبوي، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)^(١)، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الشمس الصبيبي المدني الشافعي، حدث بالفقه ودرس بالحرم النبوي، (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)^(٢)، ومن العلماء من تنقل للتدريس بالحرمين الشريفين، كالعلامة المفنن البارع أبو عبدالله محمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوشي، نزيل الحرم الشريفين، درس بالحرمين وأفتى فيهما كثيراً، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٣).

ومن الوظائف العلمية التي أسندت للعلماء وظيفة التدريس بالمدارس، وتعد هذه الوظيفة من الوظائف الهامة في العصر المملوكي، وبلغ من أهميتها أن التعيين فيها يتم بمرسوم سلطاني، ولم يكن يُعين بهذه المهنة إلا كبار العلماء كالفقهاء وأئمة المذاهب الأربعة؛ وكان بعضهم يتولى التدريس بأكثر من مدرسة ويتولى النظر بها، إلى جانب التدريس بالحرمين، ومن جمع بين التدريس ونظر المدارس نجم الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي، الأصل المكي، المولد والدار المعروف بالمرجاني، وعني بفنون من العلم منها غناية بالفقه، ودرس فيه بالمدرسة المنصورية^(٤) في مكة ستاً وعشرين سنة، فقد ولي تدريسها في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، مع نظر المدارس الرسولية بمكة، وخارج عن نظر المدارس نحو سنة في آخر سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، وعاد إليه آخر التي بعدها، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٥)، كما درس محمد بن محمد بن أحمد أمين الدين أبو المعالي بن قطب الدين العسقلاني بالمظفرية^(٦) بمكة المكرمة، (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م)^(٧). ومن العلماء الذين درسوا بأكثر من مدرسة الإمام ضياء الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر أبو عبد الله بن الإمام تقي الدين أبي البركات القسطلاني

(١) القاسي: العقد الثمين، (٥/٤٢٨).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٣٣).

(٣) القاسي: العقد الثمين، (١/٣٠٨).

(٤) المدرسة المنصورية: أنشأها صاحب اليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، كانت تقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام ملاصقة لمدرسة الزنجيلي، أوقفها على الفقهاء والحدّثين الشافعية، القاسي: شفاء الغرام، (١/٤٢٨)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٦٠).

(٥) القاسي: العقد الثمين، (١/٤٢٩).

(٦) المدرسة المظفرية الحنفية كانت موجودة قبل ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، ولا يعرف واقفها، محمد آل عمرو: التعاليم في الحجاز، ص ١٧٥.

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/١٦٩).

المكي المالكي، إمام المالكية بالحرم الشريف الذي درس بالمدرسة المالكية لابن الحداد المهدوي، والمنصورة بمكة، (ت ٦٦٣هـ/١٥٨٥م)^(١).

ومن العلماء الذين عملوا بمهنة التدريس من درس بالدروس الخاصة، ومنهم عثمان بن إبراهيم بن أحمد بن يوسف الكفر حبيوي (نسبة لضبعة من طرابلس كان أبوه من نواحيها) الطرابلسي ثم المدني الحنفي، ويعرف بالطرابلسي، استقر به الأمير خير بك في تدريس الحنفية لما قرر الدروس بكل من الحرمين، (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)^(٢)، وأحمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر الشهاب الرمي البعاني، كان شافعياً ثم حنبلياً، وقرر في درس خير بك بمكة وصار ملازماً للحنبلي^(٣)، والشيخ فخر الدين عثمان بن يوسف بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم النويري المكي، ولي بمكة تدريس الحديث لوزير بغداد، ودرس به سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، توفي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م^(٤)، وقد توارث بعض العلماء هذه الدروس عن أقاربهم، ومن ذلك أن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد السراج أبو اليسر بن الرضي أبي حامد المكي الحنفي ابن الضياء، نزل له والده عن تدريس أبيهم^(٥)، وكان ينوب عنه فيه ابن عمه الجمال محمد بن القاضي أبي البقاء، ثم أخوه أبو الليث، واستقر أخوه في درس أبيهم بعده، (ت ٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(٦)، وكذلك محمد بن أحمد بن أحمد أبو الليث بن الرضي أبو حامد الصاغانبي المكي الحنفي، شارك بدرس أبيهم خلف مقام الحنفية بعد موت أخيه السراج عمر الملقب له عن أبيهما عن واقعه؛ بل وأقرأ الطلبة به مدة يسيرة من الزمن، (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٦م)^(٧)، وجمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم المصري المعروف بالأميوطي، نزل مكة، كان قد ولي بمكة تدريس الحديث

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٣١).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٢٣).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٣٢).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٥٤).

(٥) درس أبيهم قرره الأمير أبيهم البعاني الجركسي الذي جعله الملك الظاهر برقوق أتابكياً لولده الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية، (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، وهو موقوف على المذهب الحنفي بالمسجد الحرام، الفاسي: العقد الثمين، (٢/٣٥٠)، محمد آل عمرو: التعاليم في الحجاز، ص ٢٠٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١١٦).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٤٢).

للأشرف صاحب مصر وتصدير البشير الجمदार، ودرس أيضاً - كثيراً احتساباً وانتفع به الناس في ذلك بالخرمين، وأفتى، كما حدث بالكثير من مروياته وأسمع، (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)^(١)، ومن جمع بين التدريس في المدارس العامة والقاء الدروس الخاصة، أحمد بن محمد بن الضياء الصاغانبي الهندي الأصل، المدني المولد والدار، ولي درس يلبغا الخاصكي بالمسجد الحرام، وكذا ولي تدريس البنجالية^(٢)، والزنجيلية^(٣)، الأرغونية^(٤)، تاب في عقود الأتكة عن العز النويري، كما تاب عنه أيضاً في القضاء، (ت ٨٢٥هـ/١٤٢١م)^(٥).

ومن الوظائف العلمية التي عمل بها العلماء وظيفة الإعادة في المدارس العامة والدروس الخاصة: التي غالباً ما كان يولاهم القضاء إلى جانب وظائفهم، ومن العلماء الذين عملوا بالإعادة بالمدارس والمشاركة في الدروس الخاصة بهاء الدين أبو محمد بن رضي الدين، المعروف بابن خليل العسقلاني المكي، ثم المصري الشافعي، (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)^(٦)، وأحمد بن محمد بن عبدالله الشيخ شهاب الدين البدماصي الذي أعاد بمدرسة أم الأشرف، (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م)^(٧).

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٢٥٨).

(٢) المدرسة البنجالية: تنسب إلى مؤسسها الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه سلطان بنجاله من بلاد الهند، كان حنفياً محباً للعلم والدين، وقد أمر خادمه ياقوت الغياثي أن يعمر له بمكة مدرسة ورباطاً، وأرسل كتاباً إلى الأشرف حسن بن عجلان يطلب منه أن يعين خادمه في ترميم المدرسة والرباط، حيث اشترى خادمه ياقوت دارين متلاصقتين عند باب أم هانئ من المسجد الحرام وهدمها، وأبدئ في عمارتها سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، وفي السنة التي تليها أبدئ التدريس فيها للمذاهب الأربعة، الفاسي: العقد الثمين، (٣/٢٠٢)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٤٨٩).

(٣) المدرسة الزنجيلية: أسسها الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي سنة ٥٧٩/١١٨٣م، ونُسبت إليه فُقرت بمدرسة الزنجيلي، وتقع هذه المدرسة في الجانب الغربي من المسجد الحرام، مما يلي باب العمرة، وقد بني بجوارها رباطاً خاصاً لسكنى المدرسين فيها، الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٤٦)؛ وداد الجعيد: المحجرات السكانية، ص ٥٨.

(٤) المدرسة الأرغونية مدرسة بدار العجلة القديمة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام، عملها الأمير أرغون الناصري للحنفية قبيل العشرين وسبعمئة، ويمكن تصنيف هذه المدرسة من مدارس القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، الفاسي: الزهور المقتطفة من أخبار مكة، ص ١٨٧؛ الفاسي: العقد الثمين، (١/١١٧)؛ فواز الدهاس: المدارس في مكة، ص ١٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٧٩).

(٦) المقرئ: درر العقود، (٢/٣٤٦)؛ ابن العراقي: الذيل على العبر، ص ٤٠٩.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٤٧).

ومحمد بن محمود بن محمود بن محمد بن عمر بن فخر الدين الخوارزمي الحنفي، المعروف بالمعيد أعاد بدرس يلبغا بمكة فعرف بالمعيد، أم بمقام الحنفية زيادة على ثلاثين سنة، (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م)^(١)، والعلامة قاضي القضاة رضي الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن الضياء القرشي الحنفي، ولد بمكة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، ولي الإعادة بدرس يلبغا بالمسجد الحرام^(٢).

ومن الوظائف العلمية -أيضا- وظيفة ناظر المدرسة التي كانت تعد من الوظائف الإدارية، فكان العلماء يتولون نظر المدرسة إلى جانب التدريس فيها، وقد يتولى العالم نظر أكثر من مدرسة إلى جانب التدريس، ومنهم محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف، الذي درس الفقه بالمدرسة المنصورية بمكة المكرمة ستاً وعشرين سنة، مع نظر المدارس الرسولية بمكة المكرمة^(٣)، ومن تولى نظر المدارس عبد اللطيف بن محمد بن علي بن سالم الزبيدي اليمني، القاضي سراج الدين، تولى مكة المكرمة، ولي نظر المدارس الرسولية بمكة المكرمة لملوك اليمن وهي: المنصورية، المجاهدية^(٤)، والأفضلية؛ فعملها وعمر المساجد والمدارس، وعظمت مكانته عند السلطان، (ت ٨٠٠هـ/١٣٩٧م)^(٥).

ومن الوظائف العلمية -كذلك- وظيفة خازن الكتب، ومن العلماء الذين عملوا بها علي بن عبدالله بن أحمد بن علي المعروف بالسمهودي، حج وجاور وسمع من السخاوي، وتدد ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، عمل للمدينة تاريخاً وغيرها من المؤلفات، عاد للقاهرة ولقي السلطان فأحسن إليه ووقف كتباً على المدينة لأجله، وزار بيت المقدس، وعاد إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة وحج، ورجع للمدينة وصار شيخها من غير مدافع، وله فتاوى مجموعات ومؤلفات، كما عين خازناً للكتب وذلك عندما أوقف السلطان قاتباني على مدرسته بالمدينة المنورة أحمالاً من الكتب في العلوم

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٣٤٩)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٤٧٨).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٠؛ النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٢٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٤٣٤)؛ محمد أهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٠٨.

(٤) المدرسة المجاهدية: عمرها الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول الملقب بالملك المجاهد، وذلك سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام، وأوقفها في شهر ذي القعدة من السنة تسبها على الشافعية، الفاسي: شفاء الغرام، (١/٤٢٨).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٨٩).

الشرعية، وعين لها خازناً، وجعل لها مبلغاً، فاستقر الأشرف قايسباي بعلي السمهودي في النظر على المجمع بالمدينة النبوية، ومعه مائة من الكتب التي وقفها، (ت ٩١٢هـ/١٥٠٦م) ^(١).

ولم يكن النشاط العلمي مقتصرًا على المدينتين المقدستين؛ بل ورد في المصادر بعض من أوجه النشاط العلمي في بعض المدن الحجازية، ومنها قرية التنضب ^(٢)، وكان ممن درس بها الجمال محمد بن الحب محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الطبري المكي، وذكر الفاسي بأنه سمع منه بنخلة بمسجد التنضب منها، (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) ^(٣)، وبسولة من وادي نخلة ذكر الفاسي أنه قرأ على محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن محمد بن أبي المعالي الشيباني الطبري المكي، (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م) ^(٤)، ومنطقتي جدة وهدة بني جابر ^(٥) سمع الفاسي على عبدالله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم الشيباني المكي الجدي الذي كان يقيم بجدة كثيراً ويأشر لهم عقود الأتكة، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) ^(٦)، كما أخذ السخاوي بجدة ومكة ومنى عن علي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبري اليمني، ثم المكي الشافعي، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م) ^(٧)، وبالطائف بمنطقة لية سمع الفاسي وأخوه عبد اللطيف وغيرهما على عبدالله بن محمد بن أحمد بن قاسم الحواري المكي الذي كان له اشتغال ونظر كثير في كتب العلم، حيث قال الفاسي: "قرأت عليه بلية من بلاد الحجاز أحاديث الموطأ"، ^(٨) وببدر ^(٩) درس الشيخ محمد بن عبد الحميد بن عبدالله بن خلف القرشي المصري المالكي، نزيل مكة المكرمة، وأخذ

(١) الشوكاني: البدر الطالع، (١/٤٧٠)؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٣٤.

(٢) التنضب قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة، فيها عين جارية ونخل، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٢٠٨.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٩٦، ٢٩٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٩٢).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٣٩١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٧٩)؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٢٢.

(٥) هدة بني جابر: هي وادي فعل يسيل من الشرق إلى الغرب موازاً لوادي مر الظهران من الشمال تفصل بينهما حرة التهمية، وهو وادٍ زراعي خصب، كان يمر بها طريق الماشي إلى المدينة، وأحدة بأعلى مر الظهران، الحموي: معجم البلدان، (٥/٣٩٥)؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٨٢٦، ١٨٢٨.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٥/١٧٨)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢١)؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٢١.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٥٣، ١٥٤)، محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٢١.

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٢٤١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٤٦)؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٢٢.

عنه العلم بمصر، ومكة المكرمة، وبدر،^(١) وبالزيمة^(٢) من وادي نخلة، وبالطائف سمع الفاسي على محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خليف الأنصاري الحزرجي قاضي المدينة المنورة وإمامها، (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)^(٣)، كما اشتهر في منطقتي الخلف والخليف^(٤) أسرة علمية كان له دورٌ في الجانب العلمي في هاتين المنطقتين؛ ففي منطقة الخلف تبوأ أسرة زهرانية عريقة لها مكانة علمية مرموقة كان من بين أفرادها العالم الشيخ موسى بن عيسى بن يوسف بن مفلح الزهراني، كان له عناية بالفقهاء، (ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، كما اشتهر والده الفقيه عيسى بالعلم والفقهاء، وكان يُلقب بالفقيه نسبة إلى اشتغاله بالأمور الفقهية، وكذا اشتهر من أفراد هذه الأسرة محمد بن موسى الذي اشتهر بالعلم كوالده وحده، وكان فقيهاً إلى جانب الاشتغال بالأمور الفقهية؛^(٥) أما في الخليف فأسرة ابن جميع^(٦) اشتهرت بالصالح والتقوى وطلب العلم، واشتغل أفرادها بالفقهاء وإمامة أهل ناحيتهم في الصلاة، وكان أول من قدم منهم إبراهيم بن جميع في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري/ الموافق الربع الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي، ووليه في الشهرة ولده أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جميع،

(١) بدر ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار ليلة، وتسمى بدر حنين، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٧٩؛ الحموي: معجم البلدان، (١/٣٥٧).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٩٦)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٣/٤٩٣)؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢١٩.

(٣) الزيمة عين ثرة عذبة الماء وادي نخلة اليمانية، سكانها جلهم من القداوية، يمر بها طريق مكة إلى الطائف المار بنخلة اليمانية على ٤٥ كم، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٧٧١.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٠٥، ١٠٦)؛ التيجم بن فهد: معجم الشيخوخ، ص ٢٦٧.

(٥) الخلف والخليف أرض ذات غابات تنتشر فيها قرى لبني مالك من بجيلة، جنوب الطائف بما يقارب ١٤٠ كم، وشمال بجيلة على نصف يوم للماشي، الخلف في الجنوب والخليف في الشمال، وسكانها الفقهاء من بني مالك، والخلف والخليف قرىان وهما من الحجاز مما يلي اليمن، فلا تذكر إحداهما إلا وتذكر الأخرى معها، فلا يقال إلا الخلف والخليف معاً، الشرجي: طبقات الخواص، ص ٣٣١؛ أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ١١؛ البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٥٦٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/١٨٨)؛ أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ٢٣، ٢٥.

(٧) أسرة ابن جميع يرجع نسب هذه الأسرة إلى عقب الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد قدموا إلى المكان من بلاد الغرب، وكان قدومهم إليه كان في سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وأول من قدم منهم جدهم إبراهيم بن جميع الذي كان عالماً، فاضلاً، زاهداً، جليل القدر، أحمد الزيلعي: الخلف والخليف، ص ٢٨.

وكان كوالده من عباد الله الصالحين، كثير العبادة، واشتهرت ذرية الشيخ إبراهيم بن جميع الذين تعاقبوا على مشيخة بلدهم باشتغالهم بالفقه وإمامة أهل ناحيتهم في الصلاة. ومن الأسر العلمية التي اشتهرت في الخلف أسرة آل عمران، واشتهر من أبنائها أبو عمران موسى بن عيسى الشاوري صاحب الخلف كان فقيهاً، عالماً، عاملاً، ورعاً، زاهداً، (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)^(١)، وله ولد يقال له: محمداً، كان فقيهاً خبيراً،^(٢) وكانت أسرة ابن جميع في الخلف وأسرة آل عمران في الخلف ثوارثان مهنة التدريس والاشتغال بالأمور الفقهية في بلديهما.^(٣)

كما وجد بالبلاد التهامية والسروية نشاط علمي ملحوظ من عقد الحلقات العلمية أو المناظرات الفقهية والعلمية سواء كان ذلك في المساجد أو في منازلهم، ومن هذه الحلقات حلقة الفقيه صديق بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمد بن حسن الدباجي الجازاني العريشي، الذي سمع على جماعة، كما أقرأ الطلبة ببلدة وغيرها، واهتم فيها بإلقاء دروسه الدينية على الطلاب بموطنه لفترة من الزمن، (ت ٨٦٢هـ/١٤٥٧م)^(٤)، كما أن المنطقة التهامية الممتدة من جازان حتى مكة المكرمة وما بها من عدد من البلدان والمواقع التي كان بها نشاط علمي وفكري كان في مقدمتها بلاد المخلاف السليماني وأحوازها، ومخلاف حلى بن يعقوب، وما يحيط بها من أحواز؛ حيث اشتهرت بها العديد من الأسر العلمية التي أسهمت بدور فاعل في الحياة العلمية في البلاد السروية والتهامية، وخاصة ما يتصل بالعلوم الدينية من فقه وحديث وقراءات وغيرها، فعتهم من عمل بالإفتاء والتدريس. ومن أشهر الأسر العلمية في منطقة المخلاف السليماني أسرة آل الحكمي التي اشتهر أفرادها بالإفتاء والتدريس، وأسرة آل الأسدي التي عمل عدد من أفرادها بالقضاء إلى جانب الاهتمام بالعلوم الدينية، كما اشتهرت أسرة الدباجي وآل شافع بالإفتاء والتدريس؛ أما الأسر العلمية في مخلاف حلى بن يعقوب الذي تقع في البلاد التهامية شمالاً من المخلاف السليماني: أسرة آل الطواشي الذين ترجع أصولهم إلى قبائل الأزد، وأصل بلدتهم بلدة عثر على ساحل بيش في المخلاف السليماني، اشتغل أفرادها بالفقه، وأسرة الوكيل التي ظهرت في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وكان لعلمائها العديد من المناظرات واللقاءات العلمية مع فقهاء أسرة الطواشي، ومن الأسر

(١) الشرجي: طبقات الخواص، ص ٣٤٧

(٢) الشرجي: طبقات الخواص، ص ٣٤٧

(٣) أحمد الزيلعي: الخلف والمخلف، ص ٢٩، ٣٠

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٣٢١)؛ غيثان بن جريس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٩٠

الأسرة العقابية التي اشتهر بعض أفرادها بالقضاء،^(١) كما أن منطقة السراة يعتقد أن بها نشاطاً علمياً، وذلك أن المراكز الحضارية السروية الممتدة على طول الطريق بين الحجاز واليمن، ومنها نجران، وبيشة، وتبالة، وتربة وغيرها جميعها كانت محطات عامرة بالحركة التجارية والمساجد الجامعة؛ مما يدل على أنها شهدت جانباً من النشاط العلمي بحكم القرب من المراكز العلمية المتألقة في تهامة واليمن، ووقوع هذه المحطات التجارية على طريق التجارة والسفر جعل من العلماء ممن كان متوجهاً للحج أو السفر للتجارة يمر بهذه المناطق أو يستقر فيها عدداً من الأيام للراحة، ولا يستبعد أن يكون أهل السراة انتفعوا بهم علمياً عندما حلوا بمساجدهم من خلال حلقات العلم والتدريس والوعظ والإرشاد.^(٢) والذي يمكن للباحثة إضافته هنا هو أن علماء المدن السروية، وكذا الواقعة على قمم جبال السروات، وكذلك المدن التهامية كان معظم أهلها يمتنون حرفة الزراعة والرعي وتربية الماشية؛ فضلاً عن بعض المهن الأخرى؛ كالحدادة، والتجارة، وكذلك التجارة المحلية والخارجية، ولا شك بأن العلماء في ذلك لم تكن لهم مرتبات يرتزقون منها إلا ما ندر، ولهذا فإن معظمهم كان يعمل بهذه المهن؛ فتراه في الحقل يزرع ويحصد، وفي الجبال يرعى، وفي المنازل والأسواق يربي ويتجر في الحيوانات وغيرها من السلع من أجل توفير حياة كريمة له ولأسرته.

ومن خلال عرض المهنة العلمية التي عمل بها علماء الحجاز في العصر المملوكي نجد أنها تميزت بعدد من المميزات من أبرزها: أن العلماء الذين يعملون بالمهنة العلمية كان بعضهم من كبار العلماء وخاصة القضاة الأئمة، ولم تقتصر مهنة التدريس على علماء الحجاز؛ بل شاركهم في هذه المهمة علماء مجاورون ووافدون، ويلاحظ أن العلماء الذين عملوا بالتدريس قرنوا بين عملهم في عدد من المدارس العامة والقاء الدروس الخاصة؛ إلى جانب وظائفهم، ومنهم كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن الهاشمي العقيلي النويري الشافعي، قاضي مكة وخطيبها وعالمها، الذي جمع إلى جانب وظائفه تولى التدريس بالمدارس الرسولية الثلاث: المنصورية، والجاهدية، والأفضلية وهو أول من درس بالأفضلية، وكان يسكن بها وإليه نظر هذه المدارس، وولى التدريس بجلقة الدرس الخاص لبشير الجمعدار، ودرس الحديث لوزير بغداد، كما درس الفقه للملك الأشرف شعبان صاحب مصر، ولم تجتمع هذه الوظائف لأحد من بعده من

(١) غيثان بن جرس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٧٨، ٢٨٥.

(٢) غيثان بن جرس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٩٩.

قضاة مكة المكرمة^(١). وكذلك ممن جمع بين وظائفه والعمل بمهنة التدريس أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن العقيلي قاضي الحرمين وخطيبهما، أضيف إليه تدريس درس بشير الجمदार ثم تدريس المجاهدية بمكة المكرمة^(٢). وتميزت المهنة العلمية في العصر المملوكي بنظام التوارث؛ حيث يتوارثها الأبناء مع ما يتوارثونه من وظائف آبائهم، كما كان الحصول على منصب في إحدى المدارس هدف الكثير من القضاة ورجال الدولة، ويشد التنافس بينهم في ذلك، ومن يحصل على أحد المناصب سواء التدريس أو النظر فإنه يجتهد في جعلها وراثية لأبنائه من بعده، كما تميزت مهنة التدريس بالمشاركة؛ فعن العلماء من تولى مهنة التدريس مناصفة مع أخيه واستقل بالقسم المخصص بأخيه بعد موته؛ كالعلامة قاضي القضاة رضي الدين أبي حامد، الذي ولي درس بلغا بالمسجد الحرام بعد والده عن أخيه، ثم استقل به بعد موت أخيه إلى أن مات، وولى درس الزنجيلي بالمسجد الحرام النصف الأول بعد والده، والنصف الثاني بعد أخيه أبي البركات، ونصف تدريس المدرسة الغياثية البنجالية بمكة المكرمة بعد والده شركة لأخيه^(٣)، وكذا أحمد بن أحمد بن الضياء القرشي، ولي بعد أخيه تدريس درس بلغا، وتدرس الزنجيلي، والتدريس في المدرسة الغياثية البنجالية^(٤).

(١) القاسمي: العقد الثمين، (١/٣٠١).

(٢) القاسمي: العقد الثمين، (١٢٣/٣)؛ السخاوي: النخبة الطيفة، (١/٢٢٢).

(٣) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٩؛ خلود البدنة: الأسر العلمية في مكة المكرمة، ص ٢٢٩.

(٤) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٥؛ السيوطي: نظم العقيان، ص ١٣٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٦).

المبحث الثالث: الوظائف الإدارية:

وتشمل الوظائف المتعلقة بالجانب الإداري، وهي من الوظائف التي أسندت للعلماء، فعين فيها العلماء سواء كانوا من أهل الحجاز أو الوافدين إليها، بالرغم من أنها لا تتطلب قدراً كبيراً من العلم كما في الوظائف الدينية، فقد كان يتم تعيينهم في معظم هذه الوظائف من قبل السلطة بمراسيم سلطانية، ولعل تولى بعض العلماء لهذه الوظائف لا سيما الخدمية منها كان ابتغاء للأجر والمثوبة من الله تعالى.

ومن أهم الوظائف الإدارية التي تولاهها العلماء سدانة الكعبة، وهي الوظائف المتوارثة في بني شيبه، ورئيسهم أو كبيرهم يدعى "شيخ السدنة"، وقد ظهر هذا المنصب في العصر المملوكي منذ أن تولى الشيخ أبو غانم إدريس بن غانم بن مفرج الشيبه منصب مشيخة السدنة، وكان متولياً فتح الكعبة سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م^(١)، واستمر لقب شيخ السدنة بهذا المسمى حتى الوقت الحاضر.^(٢) ومن العلماء الذين تولوا وظيفة شيخ السدنة والسدانة إلى جانب اهتمامهم بالعلم سماعاً أو تحديداً أو تدريساً أو إجازة: أحمد بن ديلم بن محمد بن إسماعيل الشيبه المكي، سمع على جماعة من العلماء وحدث، كان شيخاً للحجبة وفتاحاً للكعبة، قيل: إنه ولي فتح الكعبة أربعين سنة، (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م)^(٣)، وغانم بن يوسف بن إدريس بن غانم الشيبه، أجاز له سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م عدد من العلماء، وكان شيخ السدنة وفتاح الكعبة، (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)^(٤)، وعلي بن محمد بن أبي بكر بن محمد الشيبه الحجبي المكي، سمع من شيخ بلده والقاديين إليها، وأجاز له عدد من العلماء، ولي مشيخة السدنة بعد أبي راجح من جهة صاحب مكة أحمد بن عجلان في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، ثم عزل عنها بأخيه أبي بكر مرة بعد أخرى، واستمر معزولاً حتى مات سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م^(٥)، وعلي بن أحمد بن علي بن محمد القرشي العبدري الشيبه، أجاز له جماعة ولم يحدث، كان شيخاً للسدنة، ولي المشيخة بعده

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٢٧٨).

(٢) أحمد الربيعي: مظاهر العناية بالكعبة المشرفة، ص ١٣٣.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٣٨)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (١/٢٩٥)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/١٤٩)؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ١٤٧.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٧).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٩٥)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (٨/١٥٧)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٥٣٠).

شقيقه يحيى، وقد ولي مشيخة الحجة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، واستمر إلى أن مات سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م^(١)، ويوسف بن أبي راجح محمد بن علي القرشي العبدري الشبي، سمع على القاضي جمال الدين الشبي وتقي الدين بن فهد، ولي مشيخة السدة أربعين سنة، وولي المشيخة بعده أخوه عمر، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٢)، وعمر بن محمد علي بن محمد بن إدريس بن غانم بن مفرج العبدري الشبي، كان له عناية بالعلم، واهتم بالفقه وعلوم اللغة العربية، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٣)، وعمر بن أبي راجح محمد بن علي الشبي، نشأ بمكة المكرمة، وحفظ القرآن وتلا به على عدد من المقرئين، وكان ممن أخذ في الفقه والعربية، ولي حجابة الكعبة الشريفة بعد موت أخيه يوسف سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، واستمر حتى مات، وخلفه في المشيخة ابن أخيه أبو البركات بن يوسف^(٤). ومن العلماء الذين تولوا السدانة عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن صالح الشبي المكي، أجاز له جماعة من العلماء من دمشق ومن مكة، وكان أحد الحجابة، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)^(٥)، ومحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر المكي الشبي، سمع على عدد من العلماء، وأجاز له جماعة، وتفقه، ونظم الشعر الحسن كان ممن ولي سدانة الكعبة بعد قربه محمد بن علي بن أبي راجح سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، كما ولي قضاء مكة المكرمة، وأضيف إليه نظر الحرم، (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م)^(٦).

وكان صاحب هذه الوظيفة يُعين بمرسوم من السلطان المملوكي، ويُقرأ بالمسجد الحرام بحضور القضاة والأعيان؛ على الرغم من أن هذه الوظيفة متوارثة في بني شبيبة، ولا يمكن لأحد أن يتولاها غيرهم، وكذلك كان التعيين في بعض الأحيان يتم من قبل شريف مكة، وأيضاً العزل مثل أحمد بن يوسف بن أحمد بن صالح الحجبي أبو الفضل الشبي المكي الذي أجاز له عدد من العلماء، وسمع ولم يحدث، كان قد ولي فتح الكعبة شهراً من جهة الشريف عجلان أمير مكة لما غاب عنها الشيخ محمد بن أبي بكر الشبي في مصر، وذلك في أوائل سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م،^(٧) إلى أن وصل في آخر شعبان

(١) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧٥).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٢٠)؛ التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٢٥٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٣٣٢).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٢١).

(٤) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١١٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٢١).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤١٥).

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، (٣/٥٣٠)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٣).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٩٣).

أو مستهل رمضان مرسوم من السلطان بعودة أحمد بن أبي بكر لمشيخة السدنة كما كان، ويكون صهره يوسف بن محمد بن أبي راجح نائباً عنها إلى حين حضوره إلى مكة، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).^(١)

ومن الوظائف التي عمل بها العلماء وظيفة خدام درج الكعبة المشرفة، ومن العلماء الذين عملوا بها جمال الدين محمد بن أحمد بن دينار المكي الفقيه، أجاز له في سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م أبو اليمن الطبري وغيره، كان أحد خدام الدرجة، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٢)، وأحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الشهاب السندمي المكي، أجاز له في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م الكثير من العلماء، كان أحد خدام درجة البيت الشريف، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(٣)، ومحمد بن أبي بكر بن يعز بن محمد بن أبي بكر المغربي المكي، أجاز له جماعة من العلماء، وكان أحد خدام الدرجة وكبرائهم، (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م).^(٤)

ومن الوظائف الإدارية التي عمل بها العلماء ناظر الحرم، وهي من الوظائف الإدارية المتعلقة بالحرمين، وكان صاحبها يدعى "شيخ الحرم"، وأسندت تسمية "ناظر الحرم" خلال العصر المملوكي، وأول من تولى هذه الوظيفة في عصر المعاليك هو الشيخ منصور بن محمد الطائي، المعروف بابن منعة، وكان على درجة كبيرة من العلم، تولى منذ عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، واستمر حتى توفي سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م^(٥)، وموسى بن حسن بن موسى بن عبد الرحمن الشيباني، سمع على عدد من العلماء بمكة وحدث، وكان شيخاً للحرم، (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)^(٦)، ومحب الدين أبو العباس عبدالله بن محمد الطبري، كان فقيهاً شافعيًا، وله عدة تصانيف، كان شيخ الحرم بمكة، (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م)^(٧)، ومحمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي الشافعي، كان فقيهاً، ومفتياً، ونحوياً، وكان شيخاً للحرم، (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م)^(٨)، وعبدالله بن

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢٧٠/٣).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٨/٦).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٠٣/٧).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٤٨٤؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٥٤/٣).

(٥) القاسي: العقد الثمين، (٢٨٥/٧)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٩٠/٣)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٠٥.

عبد الكريم باز: ناظر الحرم في العصر المملوكي، ص ١٤٦.

(٦) القاسي: العقد الثمين، (٢٩٧/٧)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (١١٨/٣).

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، (٧٤٣/٧)؛ الزركلي: الأعلام، (١٥٩/١).

(٨) ابن العماد: شذرات الذهب، (٧٦٢/٧).

أسعد بن علي الياضي البعني، نزيل مكة، سمع على عدد من العلماء، وكان عارفاً بالفقه، والعربية، والقوانين، والحساب، وغير ذلك من الفنون، وله نظم كثير، كان ممن تولى مشيخة الحرم، (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)^(١)، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري المكي الشافعي الذي تولى في الحكم عن شهاب الطبري، وولى قضاء مكة، سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م مع الخطابة ونظر الحرم، (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)^(٢)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العقيلي الهاشمي، سمع على جماعة من العلماء، وحصل على إذن في الإفتاء والتدريس، ولى الخطابة والحسبة ونظر الحرم، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن علي بن أبي عبد الله الفاسي المكي المالكي، سمع بمكة والقاهرة ودمشق وغيرها، ودخل اليمن مراراً وسمع على مشايخها، وعني بعلم الحديث أتم عناية، وحدث ودرس وأفتى بالحرمين ودمشق وغيرها، كان شيخاً للحرم، (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)^(٤)، ومحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر القرشي العبدري الشيباني الشافعي، أخذ عن عدد من العلماء، ورحل لشيراز، وبغداد، ومصر وغيرها، تولى سداية الكعبة، وقضاء مكة المكرمة ونظر الحرم،^(٥) ومحمد بن محمد بن علي بن أحمد النويري المكي الشافعي، سمع على عدد من شيوخ مكة والقادمين إليها، تولى قضاء جدة والنظر على المسجد الحرام، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٦)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد الصاغانى الأصل المكي الحنفي، سمع بمكة على والده وغيره، وارتحل إلى القاهرة غير مرة، وثقته في مكة وفي القاهرة، وأذن له في الإفتاء والتدريس، تولى في القضاء بمكة عن أبيه ثم استعفى بعد ذلك، ثم أضيف إليه نظر المسجد الحرام والحسبة، ثم عزل عنها واستمر في القضاء إلى أن مات سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وعزل في أثناء ذلك ثلاثة أشهر^(٧)، كما عين يرم خيجا سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م ناظراً على المسجد الحرام

(١) الفاسي: العقد الثمين، (١٠٤/٥)؛ ابن تقي بردي: المنهل الصافي، (٧٤/٧).

(٢) المقرئ: درر العقود، (٣٥/٣).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣٧٦/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤٥/٧).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (١٨/٧)؛ الشوكاني: البدر الطالع، (١١٤/٢).

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، (٥٣٠/٣)؛ التجم بن فهد: إتحاف الوري، (٧٢/٢)؛ الشوكاني: البدر الطالع، (٢١٤/٢)؛ محمد الهيلة: التاريخ

والمؤرخون، ص ١٢٦.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، (٢١٩/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٤٣/٩).

(٧) المقرئ: درر العقود، (٣٥٩/٣)؛ ابن تقي بردي: المنهل الصافي، (٢٥٣/٩)؛ التجم بن فهد: إتحاف الوري، (٦٠٧/٣)؛ السخاوي: التبر

المسبوك، (٦٨/٣)؛ الشوكاني: البدر الطالع، (١٢٠/٢).

ومحسباً، وكان له اهتمام بالعلم، وسمع على عدد من العلماء^(١)، وطوغان شيخ الأحمدي، ولى نظر المسجد الحرام، وامرة الراكر بمكة المكرمة، وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء، (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م)^(٢)، ومحمد بن محمد بن حسين بن علي بن ظهيرة، ناب في القضاء عن أبيه سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، واستقل به بعد وفاته، وأضيف إليه نظر الحرم وقضاء جدة، ثم أعفي منها إلى أن مات سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م^(٣).

ومن العلماء الذين تولوا نظر المسجد النبوي: عبد الرحمن بن محمد بن صالح الذي يعد أول من ولى وظيفة النظر؛ إضافة إلى الوظائف الثلاث: القضاء، والإمامة، والخطابة^(٤) وتوارثها عنه أبناؤه، ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الكتاني المصري الأصل المدني الشافعي، اشتغل بالفتنة، وأخذ في الأصول والبيان والمعاني والنحو، ناب في القضاء والخطابة والإمامة ببلده طيبة عن أبيه، ثم استقل بذلك بعد موته إلى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م؛ فترك القضاء لأخيه، واقتصر على الخطابة والإمامة مع نظر المسجد النبوي حتى مات^(٥)، كما تولى وظيفة نظر المسجد النبوي أفراد من أسرة الكتاني، ومنهم عبد الرحمن بن محمد الكتاني، الذي نشأ بالمدينة المنورة، وأخذ العلم عن عدد من العلماء، وقد عُيِّن فيها سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م، كما شارك في وظيفة نظر المسجد النبوي من هذه الأسرة محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، وكان ممن حفظ القرآن، وسمع على عدد من العلماء سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م^(٦)، ورُتِبَ من العلماء الذين تولوا وظيفة ناظر الحرم أنها غالباً ما كانت تسند للقضاة، ويجمع بينها وبين القضاء أو السدانة، أو الحسبة، ونظر الربط والأوقاف^(٧).

ومن الوظائف الإدارية التي شغلها العلماء وظيفة ناظر الوقف، ويُعَيَّن في هذه الوظيفة بمرسوم من السلطان أو الخليفة العباسي، وغالباً ما يجمع متولياها بين عدد من الوظائف، وتضاف هذه الوظيفة في الغالب إلى القضاء، فيأتي مرسوم التعيين لهذه الوظيفة مع عدد من الوظائف لمتولياها. ففي سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م قرر الخليفة العباسي المستنصر بالله

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٤).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٤).

(٣) الزركلي: الأعلام، (٥٢/١).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٤٠/٢)؛ حورية السمللي: الأسر العلمية، ص ٣٤٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٤/٨).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٢٦/٩)؛ ريم الساج: الموقوفون في المسجد النبوي، ص ١٧٥.

(٧) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢٩٧/٤)، (٨٤/٣)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (٢٨١/٩).

أبو القاسم أحمد بن الظاهر محمد بن الناصر للوجيه عبد الرحمن بن عبد المعطي بن مكي بن طراد لأنصاري الخزرجي وابن أخيه الشريف بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي النظر في مصالح المسجد الحرام، وأمر الأوقاف والربط بمكة المكرمة^(١)، ومحمد بن محمد بن حسن بن علي بن ظهيرة المخزومي المكي، ولي قضاء مكة المكرمة، ونظر الأوقاف بها والربط، (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م)^(٢)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي العقيلي، ولاه السلطان قضاء مكة وخطابتها وحسبتها، ونظر المسجد الحرام والأوقاف، والربط بمكة المشرفة، (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م)^(٣)، ومحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي المصري ثم المكي الشافعي، ولي نظر أوقاف المدارس التي بمكة المكرمة عدة سنين، (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م)^(٤)، وأحمد بن محمد بن محمد بن محمد القرشي المخزومي المكي، ولد بمكة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م، وناب في القضاء بمكة المكرمة، ثم استقل وعزل ثم أعيد، وتولى نظر الحرم، ورباط السدرة^(٥)، ورباط كلاله^(٦)، وقضاء بجدة^(٧).

ومن الوظائف الإدارية التي تولاهها علماء الحجاز وظيفة الخادم أو الخدام التي ارتبطت في الغالب -بخدمة الحرمين الشريفين، والحجرة النبوية، وغيرهما من المساجد في مدن الحجاز، وإن كانت وظيفتهم مخصصة في الغالب بأعمال

(١) التيجم بن فهد: إتحاف الوري، (٨٤/٣).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٧/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧٧/٩).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣٧١/١)؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (٢٨٠/٩).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (١٨١/٧).

(٥) رباط السدرة أوقف سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ويقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام بجوار باب بني شيبه، وهو أحد الأربعة التي كان لها دور في رفع المستوى العلمي بمكة. وفي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م ثبت عند قاضي مكة الحنفي جمال الدين محمد بن أبي البقاء بن الضياء أن رباط السدرة خراب واستبدل بثلاثة آلاف دينار، وصار بذلك للسلطان الأشرف قايتباي، فأقام عليه وعلى غيره عمارة مدرسته ورباطه، وفي سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م كُمل هدم رباط السدرة، خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٤٢٠؛ محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١٣٥.

(٦) رباط كلاله وقفه أبو القاسم بن كلاله سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وموقعه بالمسعى قرب رباط العباس، وكان في هذا الرباط بئر يشرب منه ساكنوه، محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ١٤٥.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (١٩٠/٢).

الخدمة؛ إلا أنه عمل بها فئة تميزت بالاشتغال بالعلم؛ فكان منهم المقرئ، والمحدث، والفقهاء. ومن العلماء الذين عملوا بهذه الوظيفة علماء تولوا مشيخة الخدام، ومنهم افتخار الدين ياقوت بن عبدالله الخزنداري، كان من أكثر الناس عقلاً وتديناً مع العبادة والورع، وكان له اجتهاد عظيم ومثابة على سماع الحديث وكتب العلم، ولي مشيخة الخدام سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م^(١)، وشاهين المنصوري يلقب فارس الدين، سمع على ابن الجزري في سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، كما سمع على أبي الفتح المراغي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، وكان شيخ الخدام بالمدينة المنورة^(٢)، وشاهين الجمالي ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم، وصف بإقباله على العلم، استقر في مشيخة الخدام بالمدينة النبوية، ثم رسم بتولية لنيابة جدة^(٣)، وقام المحمدي الظاهر جقمق، كان ممن لزم التخلق بالخير مع التلاوة وحضور مجالس العلم، استقر في مشيخة الخدام بالحرم النبوي، (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)^(٤)، ومن تولى النيابة عن شيخ الخدام عمر الزيني القجاجقي الطواشي، نائب شيخ الخدام، وكان ممن سمع من السخاوي بالمدينة المنورة^(٥). ومن العلماء الذين تولوا الخدمة بالمسجد النبوي: ربحان عز الدين أو عزيز الدولة الطباخي، كان حنفياً، متفقاً، ملازماً للعلماء، أحد خدمة المسجد النبوي، (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)^(٦)، ودينار بن عبدالله الشواطي، سمع على عدد من العلماء وحديث، كان أحد خدام المسجد النبوي^(٧)، ودينار الشهابي المرشدي عز الدين، صاحب المشايخ الكبار وتأذب بأدابهم وأخلاقهم، وحديث بصحيح البخاري، وسمعه عليه قاضي المدينة ابن سبع وغيره، كان خادماً للحرم النبوي الشريف، استقر فيه مدة طويلة، ثم عزل بشرف الدين الخزنداري ثم أعيد، ثم كبر جداً وانقطع؛ فاستقر عوضه ياقوت الافتخاري سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م، (ت ٧٦١هـ / ١٣٥٩م)^(٨)، وشهاب الدين رشيد بن عبدالله السعدي، كان فقيهاً، مدنياً، يصحب العلماء ويشغل عليهم، ويشترى كتب العلم ويوقفها عليهم، كان أحد الخدام

(١) ابن فرحون: تصحيحه المشاور، ص ٤٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/ ٢٩٦).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/ ٢٩٣).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/ ٢٠٠).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/ ١٤٦).

(٦) السخاوي: التحفة الطليقة، (٢/ ٧٠).

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢/ ١٠٣).

(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢/ ١٠٣).

بالمسجد النبوي^(١)، وخالف أبو الصفا الرومي الهندي الكافوري الطواشي، كان ممن حضر عند السخاوي، وقرأ عليه أربعين النووي وغيرها، وسمع من السخاوي وكتب له إجازة، وكان أحد خدام المسجد النبوي^(٢)، وإبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي بن علي الطباطبائي الشافعي، سمع بالقاهرة ودمشق والمدينة المنورة، جاور بالحرمين الشريفين، وتصدى للإقراء، (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، وكان أحد الخدام بالحجرة النبوية^(٣)، وعبد شجاع الدين المغزي الطواشي، سمع على عدد من العلماء سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وهو أحد خدام المسجد النبوي^(٤)، وكافور بن عبد الله الحضري، كان شيخاً في الرواية، وسمع على جماعة من العلماء، كان ممن أدركه ابن فرحون من الخدام بالمسجد النبوي^(٥)، وعمر بن عبد العزيز بن بدر بن سراج الدين السابقي، نشأ بطيبة، واشتغل بحفظ كتب العلم كالمنهاج، وسمع على أبي الفرج المراغي وغيره، كان أحد خدام الحرم كاتبه، (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م)^(٦).

ومن الوظائف الإدارية التي ارتبطت بالحرمين الشريفين وغيرها من مساجد مدن الحجاز وبالذات الكبرى منها وظيفة الفراشة أو الفرائش، وقد عرفت الفراشة نظام التوارث وكذا المشيخة^(٧)، ومن العلماء الذين تولوا الفراشة ومشيختها بالحرمين الشريفين: أحمد بن سالم بن ياقوت المالكي، الذي كان شيخ الفرائشين بالمسجد الحرام، (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م)^(٨)، ومحمد بن علي بن عبد الكريم المصري، نزيل مكة المكرمة، ذكر الفاسي بأنه سمع بالقاهرة على أبي البقاء السبكي بعض الصحيح، وأورده ابن فهد في معجمه، وأورد عنه حديثاً، وإلى الفراشة بالمسجد الحرام، وتمشيخ بآخر حياته على

(١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٦٤).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٧٣).

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٨٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/١٤)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١٠١).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٤٨).

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٩٣).

(٧) ريم الساج: الموطوفون بالمسجد النبوي، ص ٢١٦.

(٨) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٢٢)؛ المقرئ: درر العقود، (١/٣٤٦)؛ النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٤٠٣)؛ ابن العراقي: الذيل على

العبر، (٢/٤٣١)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٨/٤٤٠).

الفراشين، (ت ٨٢٥هـ/١٤٢١م)^(١)، وعلي بن أحمد بن فرج عميق الخطيب الطبري، سمع على عدد من العلماء، تولى مشيخة الفراشين بالمسجد الحرام وكان أميناً على الزيت، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٢)، ومحمد بن محمد بن عبد العزيز السمنودي الأصل المكي، سمع على جماعة من العلماء، وأجاز له العراقي والحبيشي وغيرهما، كان فراشاً بالمسجد الحرام، (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز الدمشقي الأصل المكي، تولى مشيخة الفراشين بالمسجد الحرام، وأمانة الزيت والشمع في سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، واستمر حتى مات سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، وخلفه ولده في مشيخة الفراشين^(٤).

ومن العلماء اللذين تولوا مشيخة الفراشين بالمسجد النبوي أحمد بن عبدالله الشهاب الحسيني الأصل المدني، كان شيخ الفراشين والمداحين بالمدينة، ومن سمع من السخاوي بالمدينة المنورة^(٥).
أما عن العلماء الذين تولوا وظيفة الفراشة بالمسجد الحرام: أحمد بن عبد الله الشرفي المكي، سمع بالقاهرة، ودمشق، ومكة، والمدينة وغيرها، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)^(٦)، وأحمد بن عبدالله الدوري المكي، سمع ولم يحدث، بأشر الفراشة سنين كثيرة، وأمانة الزيت والشمع، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٧)، وعلي بن عبدالله بن محمد نور الدين الوزبي المكي، أجاز له في سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م فما بعدها ابن صديق وابن فرحون وآخرون، الفراش بالمسجد الحرام، (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٨)، وسليمان بن أبي السعد بن عمر الربيغي المغربي ثم المكي، سمع على جماعة من العلماء، كان مؤذناً بالمسجد الحرام وفراشاً به، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٩).

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٢٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٩٢).

(٢) التاجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٩١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧٩).

(٣) التاجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٣٩٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٠٧).

(٤) التاجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٧١).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٧٤)؛ ابن العراقي: الذيل على العبر، (١/٧٣).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٧٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٧٤).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٥٣).

(٩) التاجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٥٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٦٤).

ومن العلماء الذين تولوا الفراشة بالمسجد النبوي رشيد بن عبدالله الحاج رشيد الدين البهائي، سمع على عدد من العلماء في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، وكان أحد الفراشين بالحرم النبوي^(١)، وحمزة بن عبدالله بن علي بن عمر العمري المدني، ولد بالمدينة المنورة سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م، أجاز له عدد من العلماء، ولي الفراشة بالحرم النبوي^(٢)، ومحمد بن محمد بن عبدالله الشمس العوفي المدني الشافعي، أخذ في أصول الفقه، والعربية، والفرائض، والحساب وغيره، كان أحد فراشي المسجد النبوي، وكان قائماً بوظيفة الفراشة بمسجد قباء مع بوابته والأذان فيه، (ت ٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(٣)، وطلحة بن سعد بن عبدالله بن أحمد المدني، ولد بالمدينة سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م، حفظ القرآن، والأربعين النووية وغيرها، وعرض على جماعة من العلماء، وتكرر قدومه القاهرة، ودخل الشام وسمع بها، وكان المؤذن والفراش بالمدينة^(٤)، ومما يلاحظ على العلماء المتولين لهذه الوظيفة بأنهم جمعوا مع وظيفة الفراشة ومشيختها عدداً من الوظائف الأخرى؛ كوظيفة أمانة الزيت، ووظيفة الأذان.

ومن الوظائف الأساسية في الحرمين الشريفين في العصر المملوكي وظيفة البوابة التي كانت تشمل المساجد الكبرى، وكذلك المدارس وغيرها في الحجاز، وعلى الرغم من أن وظيفة البواب لم تكن من الوظائف العليا؛ بل تعد من الوظائف الخدمية، كما أنها لا تحتاج قدراً من العلم؛ فضلاً على أنها تتطلب من العامل بها التفرغ في أغلب الوقت لملازمة الباب؛ إلا أنه كان يعين فيها القضاة والفقهاء. والذي يبدو للباحث - هنا - أن من تولى وظيفة البواب في الحرمين الشريفين من العلماء - سواء كانوا قضاة أو فقهاء أو غيرهم - كان من باب التشرف بخدمة بيت الله الحرام ومسجد نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن هذه الوظيفة يغلب على من يتولاها أن يكونوا من عامة الناس، أو من أصحاب الحرف والمهن الأقل شأنًا، وكان من مهامهم ملازمة أبواب الحرمين، والتناوب على حراستها، ولا يغيبون عنها إلا للضرورة؛ فضلاً عما يلحق ذلك من الكس والرش والتطيف، ومنع الحيوانات الضالة من الدخول للحرمين وتلوينهما^(٥). ومن العلماء الذين تولوا هذه

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٢٥).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٦٤).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٢٩).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٢٦٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٩).

(٥) التجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٦٤٦).

الوظيفة إبراهيم بن حسين بن عمر بن أبي بكر بن الشيرازي الأصل المكي، الخياط، وكان ممن اعتنى بالعلم، وأجاز له عدد من العلماء، وحدث سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، ذكر القاسي أنه رأى بخطه استدعاء كتب فيه: البواب مجرم الله الشريف، (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)^(١)، والحسن بن أحمد بن محمد بن عبد الله الدواخلي ثم القاهري الشافعي، جاور بالحرمين وسمع من السخاوي، وأقام بالمدينة المنورة، وصار بواباً بمدرسة السلطان هناك^(٢)، ورمضان بن سلامة بن وهيب بن سلامة المصري، كان ممن سمع على أبي الفتح المراغي، وكان بواب المدرسة الجمالية بمكة المكرمة، (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م)^(٣).

ومن الوظائف الإدارية التي عمل بها العلماء وظيفة الوقادة وجمعها وقادون، ومن العلماء الذين تولوا وظيفة الوقادة: علي بن أحمد بن فريخ الطبري، كان له عناية بالعلم فسمع على جماعة من العلماء، وقال القاسي: أجاز له باستدعائي من أجاز محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ظهيرة، وكان شيخ الفراشين بالمسجد الحرام، وأميناً على الزيت والشمع، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٤)، وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن بلال، أجاز له سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م الحافظان العراقي والميشي وجماعة من العلماء، كان وقاداً بالحرم المكي الشريف، (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م)^(٥)، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز الدمشقي الأصل المكي، سمع على عدد من العلماء، تولى مشيخة الفراشين بالمسجد الحرام، وأمانة الزيت والشمع، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٦).

ومن خلال العلماء الذين تولوا الوظائف الإدارية يبدو أنهم تولوها من باب الشرف بخدمة الحرمين وابتغاء الأجر والمثوبة من الله، فهي لم تكن ذات صلة بمجالهم العلمي بقدر ما كانت محتصة بالناحية الإدارية وأعمال الخدمة في الحرمين الشريفين، كما أن إسناد هذه الوظائف للعلماء كان من ضمن السياسة التي اتبعتها السلطة في التوظيف حيث حرصت

(١) القاسي: العقد الثمين، (٣/٢١١)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (١/٢٤).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٩٤).

(٣) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٧٣٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٢٩).

(٤) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ١٠٦٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧٩).

(٥) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٩٣٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٥٣).

(٦) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٢١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٣٢١).

على إسناد الوظائف المختلفة سواء الدينية أو الإدارية أو العلمية- للعلماء؛ حيث كانت ترى أنهم الأكفأ لتوليها والقيام بمهامها، وإن كانت في بعض الأحيان تعمل على إسناد بعض الوظائف الدينية والإدارية لأمرأء عسكريين برتب عالية، إلا أن الغالب على التعيين في الوظائف المختلفة للعلماء .

الفصل الثالث

مهن وحرف العلماء الصناعية والتجارية والعلمية والاجتماعية والطبية

المبحث الأول: المهن والحرف الصناعية.

المبحث الثاني: حرفة التجارة.

المبحث الثالث: المهن والحرف الاجتماعية.

المبحث الرابع: المهن والحرف العلمية.

المبحث الخامس: حرفة الطب.

لم تكن مصادر دخل علماء الحجاز مُقتصرة على العمل بالوظائف الدينية والإدارية والعلمية؛ بل كان العمل المهني والحرفي من المجالات التي عمل بها علماء الحجاز، وأسهموا من خلالها في مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، وقد أوردت بعض المصادر العديد من أسماء العلماء الذين عملوا بها؛ سواء كانوا من أهل الحجاز، أو الوافدين إليها .

المبحث الأول: المهن والحرف الصناعية :

تعد المهن والحرف الصناعية من مجالات العمل المهني والحرفي التي عمل بها علماء الحجاز في العصر المملوكي، ومن هذه المهن التي عمل بها العلماء حرفة الصياغة، ومن العلماء الذين عملوا فيها إلى جانب اشتغالهم بالعلم: شهاب الدين أحمد بن الجويان الدمشقي، المعروف بالذهبي، ولد بدمشق ونشأ بها، ومن ثم عمل إلى جانب الصياغة في تجارة البز، وتورد إلى مكة المكرمة للحج والتجارة مرات، وعني بالكتابة فيجود فيها، وكان مع ذلك يحضر مجالس العلم والحديث، (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)^(١)، ومنهم الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي عبدالله بن محمد الأنصاري الرصافي المغربي الذي كان إلى جانب معرفته بالفقه يعمل صائغاً، (ت ٨٩٢هـ/١٤١٦م)^(٢)، ومن جمع بين وظيفة الأذان وحرفة الصياغة سالم بن ذكور بن محمد بن عبد المؤمن الكازروني الذي ينهي نسبه إلى أسرة كانت توارث وظيفة الأذان في الحرم المكي.^(٣)

وكذا من الحرف الصناعية حرفة الحدادة، ومن العلماء الذين عملوا: محمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري، ولد فيما بين سنة سبع وخمسين وسبعمئة إلى سنة ستين، احترف الحدادة واشتهر بالسكاكيني؛ إلى جانب اشتغاله بالعلم والرحلة لطلب العلم.^(٤)

وكذا من الحرف الصناعية التي عمل بها العلماء حرفة الخرازة، ومن عمل بها من العلماء إلى جانب اشتغالهم بالعلم علي بن أحمد بن أبي بك اليميني المكي، الذي كان له حانوت بالمسعى، ووصف بأنه كان خيراً مباركاً، أجاز له

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢٤/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٨/١) .

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٣٩/١) .

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٤٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٤٠/٣) .

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٥٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦٧/٨)، السكاكيني: نسبة إلى السكاكيني، المعجم الوسيط، ص ٤٤٠ .

جماعة وحديث باليسير، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(١)، و محمد الخراز الذي كان من المجاورين ومن أقرأ القرآن وانتفع به جماهير من أبناء المجاورين^(٢).

ومن المهن والحرف المتعلقة بالجمال الصناعي - أيضاً - مهنة الخياطة، ومن العلماء الذين عملوا بها العالم الصالح أبو الحسن علي السالوي الذي اشتغل بهذه المهنة مدة من الزمن؛ إلى جانب الاشتغال بالعلم^(٣)، ومن العلماء من حدث إلى جانب العمل بالخياطة، ومنهم إبراهيم بن حسين بن عمر بن أبي بكر الشيرازي الأصل المكي الخياط، الذي أجاز له عدد من العلماء وسمع وحديث سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م بالحرم، وكان رجلاً خبيراً بخيط على باب بني شيبه^(٤)، وكذلك ممن عمل بالخياطة من العلماء شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن الرقاء، الذي أكثر من المجاورة بمكة المكرمة^(٥)، وكان يعمل بمهنة رفو الثياب، إلى جانب الاشتغال بالعلم سماعاً وتحديثاً، (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)^(٦)، وكذلك محمد بن محمد بن بليق الحارثي، الذي عمل بالخياطة خلال مجاورته بمكة المكرمة؛ إلى جانب الاشتغال بالعلم^(٧)، وقد ارتبط بحرفة الخياطة حرفة عمل العمر وبيعها، وهي من الحرف التي ارتبطت بمهنة التجارة والخياطة، كما أنها من الحرف التي انتشرت في ذلك الوقت^(٨)، ومن عمل بها العلماء ومنهم وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك الذي كان - إلى جانب اهتمامه بالفقه - يجتهد في عمل العمر وبيعها لذلك قيل له: العمري^(٩)، وكذلك محمد بن أحمد بن سالم بن أبي العين الربيعي الجدي المكي، وكان ممن سمع على جماعة من العلماء، وحصل على عدد من الإجازات العلمية، وكان يشتغل بعمل العمر،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧١)؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٨٣.

(٢) ابن قرحون: نصيحة المشاؤون، ص ١٣٤.

(٣) ابن قرحون: نصيحة المشاؤون، ص ١٦٦.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٣/٢١١)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (١/٢٤).

(٥) المقرئ: درر العقود، (٣/٦٠)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٣/٣٤١)؛ ابن حجر: شذرات الذهب، (٨/٥٥٥).

(٦) رقا: رفو الثوب: أصلحه وخاطله، لويس معلوف: المنجد في اللغة، ص ٢٧٣.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٢٣٠).

(٨) شرفة المدبل: مهن العلماء وجرفهم، هامش ص ١٠.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٥٣).

(ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)^(١)، وعبدالرحمن بن محمد بن عثمان، كان ممن أخذ عن السخاوي، واشتغل بالعلم فسمع بالشام، كما حضر دروس بلغا وغيره، كان ينكسب بالعلم، (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)^(٢)، ومن العلماء من جمع بين الاشتغال بالعلم وبين عمل العمر وحرف أخرى، منهم محمد بن محمد بن محمود الكراني الهندي، سمع على عدد من العلماء، وكان أحد الطلبة بدرس بلغا، كان ينكسب بعمل العمر إلى جانب حرف كثيرة^(٣)، ومنهم أحمد بن عمر بن محمد المرشدي المكي، الذي تنكسب بالعلم وبإقراء الأبناء.^(٤)

ومن الحرف المرتبطة بالمجال الصناعي حرفة النساج والصباغة، ومن العلماء الذين عملوا بها إلى جانب اشتغالهم بالعلم أحمد الشهاب الذي كان يعمل قزازاً^(٥) في مكة المكرمة، وكان مقرئاً^(٦)، والحواجا زين الدين عبد الكريم بن محمد بن إبراهيم الدمشقي، الذي تردد إلى مكة وسكنها، وكان يدخل منها للهند للمعاجرة، اشتهر بالصوف^(٧) الذي يبدو أنه كان يعمل بتجارة الأصواف وغيرها من الأقمشة؛ إلى جانب اهتمامه بالعلم، (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)^(٨)، ومحمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الديروطي، المقرئ، ويعرف بابن الصانع، حج بعد الأربعين من عمره، وأخذ على جماعة في القراءات، وتصدي للإقراء وانتفع به جماعة، ولم ينقل عن التعيش بالحياكة^(٩)، (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(١٠)، وأحمد بن مفرج الصباغ^(١١)، كان ممن سمع من السخاوي بمكة المكرمة^(١٢).

(١) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٣٠٩).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٣٩).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٢١).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٥٦).

(٥) القزاز: باغ القز وناسجه، المعجم الوسيط، ص ٧٣٣.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٥٧).

(٧) الصواف: صانع الصوف أو تاجر، حسن باشا: الفنون الإسلامية، (٢/٧٠٩).

(٨) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٨٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣١٦).

(٩) الحياكة: هي غزل النسيج قماشاً، والحائك هو الذي ينسجه. والحياكة من ضروريات العمران، ومن الفنون الإسلامية المشهورة، حسن باشا: الفنون الإسلامية، (٢/٤١٧).

(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٨٩).

ومن الحرف المتعلقة بالجانب الصناعي وعمل بها بعض العلماء حرفة البناء وما يرتبط بها من حرف كالدهان، والتجارة، ومن العلماء الذين عملوا بهذه الحرف أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد المكي الذي كان له اشتغال بالعلم؛ إلى جانب عمله بحرفة البناء، (ت ٨٦٢هـ/١٤٥٧م)^(١)، ومحمد بن أبي بكر بن أحمد إبراهيم بن خليل المصري المكي، الذي اشتغل بالعلم، وكان ممن عمل بحرفة البناء، (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م)^(٢)، كما عمل بها محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن الزمن، وكان ممن اشتغل بالعلم، والتقى بعدد من العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة وحضر مجالسهم^(٣)، تولى الإشراف على العمارة بمكة المكرمة من قبل السلطان قايتباي سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، ثم انتقل منها للإشراف على عمائر بالمدينة المنورة، كما كان يعاظم التجارة له بمكة المكرمة^(٤).

ومن عمل من العلماء بحرفة الدهان عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العباس المغربي المرحاني، التونسي الأصل، المكي المولد والدار، سمع على جماعة من العلماء، وتخصص في دهن سقف المنازل وغيرها من المنشآت المعمارية؛ إلى جانب الاشتغال بالعمارة^(٥)، ومحمد بن محمد بن محمد الغرناطي الذي برع في الفرائض والحساب، كان يكسب بالدهان، وأتقن العمل بهذه المهنة، (ت ٧٥٤هـ/١٣٥٣م)^(٦).

ومن العلماء الذين عملوا بحرفة التجارة عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الغنومي المكي النجار، سمع على جماعة من العلماء، كما حصل على العديد من الإجازات العلمية، تكسب بالعمل بالتجارة، وكان نجاراً حسناً،

(١) الصباغ: هو الذي يصنع أولون الثياب أو القماش، حسن باشا: الفنون الإسلامية، (٢/٧٠٣).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٢٧).

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٤٥٣.

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٥٤).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢٦٠).

(٦) حسين شافعي: الحواجا شمس الدين ابن الزمن ودوره الحضاري والعمراني في بلاد الحرمين الشرقيين في عهد السلطان قايتباي، ص ٧٩، ٩٠.

مجلة مشكاة المجلة المصرية للآثار الإسلامية، العدد الخامس، ٢٠١٠-٢٠١١.

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢).

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٣٣٦)؛ ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٤٣.

(ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(١)، وعمر بن محمد بن محمد بن عبد الله بن مجد الدين الحموي، نزيل مكة المكرمة، النجار المقيم الشافعي، تكتسب بالتجارة، ومن نقش شواهد القبور، وأقرأ الناس بالمسجد الحرام وبيته، وربما أم بمقام الحنايلة نيابة، (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٢)، ومن العلماء من عمل بالتجارة إلى جانب وظيفته الرسمية، ومنهم علي بن أحمد بن فريج الطبري المكي، الذي اشتغل بالعلم وسمع على عدد من العلماء، كان شيخاً للفراشين، كما عمل نجاراً يعمل بإدارة الصناديق لذوي حسن^(٣)، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٤).

كذلك من المهنة الصناعية للعلماء التي هي من اختصاصهم مهنة الهندسة، ومن عمل بها من العلماء أحمد بن صدقة بن أحمد بن حسين العسقلاني المكي الأصل، القاهري الشافعي، يُعرف بابن الصيرفي، برع في عدد من العلوم منها الحساب، والفلك، والجبر، الهندسة، وله عدة مؤلفات، وهو من علماء القرن التاسع^(٥)، وكذلك بدر الدين حسين بن علي بن محمد بن داود البيضاوي المكي الشافعي، المعروف بالزمزمي، طلب العلم وأخذ عن الكثيرين ثم رحل عنها وأخذ الفلك والهندسة بالقاهرة، ولم يزل مجتهداً في الطلب حتى صار أعلم الناس بالفرائض، والحكمة، والحساب والجبر، والمقابلة، والهندسة، والفلك، وذكر الفاسي بأنه كان له خبرة في الهندسة والفلك وعمل التقاويم، ومهر في الفرائض والحساب، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)^(٦)، وكذلك وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عقبة المكي، كان مهندس الحرم، وكان عالماً خبيراً دينا يخدم الناس في الكثير من العمائر، خبيراً بالهندسة والعمارة^(٧)، وأحمد بن عبيد الله ابن محمد بن أحمد السجيني، ثم القاهري الأزهرى الشافعي القروصي، برع في الحساب، والمساحة، الهندسة والميقات، جاور بالمدينة المنورة

(١) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٤٤.

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١١٢٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٢٤).

(٣) ذوي حسن فرع من الأشراف العبادلة، في الطائف، لهم قرية الرميذة، عاتق البلادي: معجم القبائل العربية، ص ٤٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧٩).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣١٦): أحمد باشا: أعلام المهندسين في الإسلام، ص ٤٦.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٤/٢٠٥)؛ المقرئ: درر العقود، (٢/٤٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٥٢، ١٥١)؛ أحمد باشا: أعلام

المهندسين في الإسلام، ص ٤٤.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٤٠٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٤٢).

نحو عامين لضبط بعض العمائر بها، وكذا ضبط بعض العمائر في غيرها، (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)^(١)، وعبد الرحيم بن علي بن محمد الطولوني الأصل المديني الشافعي، كان مهندساً للحرم، وعرف بالمهندس وبابن للبناء^(٢).

ومما يلاحظ على معظم العلماء العاملين بالحرف الصناعية أن معظمهم من الوافدين على الحجاز، كما أنهم لم يقتصروا على حرفة واحدة؛ بل جمعوا بين أكثر من حرفة، أو بين الحرف والوظائف؛ هذا إلى جانب اشتغالهم بالعلم؛ إقراء، أو تحديثاً، أو التحاقاً بالدروس العلمية، وهذا يؤكد في ذات الوقت أن العلماء كانوا موسوعيين يتعلمون العلوم النظرية، ويضمون لها بعض العلوم الحرفية والمهنية التي كانت مصدر رزقهم وخدمة مجتمعاتهم في علوم وفنون عدة.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٧٦)؛ أحمد باشا: أعلام المهندسين في الإسلام، ص ٤٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٨٣)؛ أحمد باشا: أعلام المهندسين في الإسلام، ص ٤٦.

المبحث الثاني: حرفة التجارة:

تعد حرفة التجارة من أهم الحرف التي امتنها العلماء وذلك لإدراكهم كغيرهم بأنها هي الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد في بلاد الحجاز، وقد تعدد تجار الحجاز في تلك الفترة ما بين حجازي ووافد وغيرهم، وقد أسهمت هذه الفئات في النشاط التجاري، وكان من ضمن الذين عملوا بالتجارة ثلثة من العلماء؛ بل إن الكثير من العلماء من سافر لأجل العمل بالتجارة إلى جانب اشتغالهم بالعلم، ومنهم يحيى بن يوسف بن يحيى الجماعي المكي، اشتغل بالفقه، ومارس التجارة وسافر لأجلها إلى اليمن ومصر وغيرها، ثم عاد إلى عاد إلى مكة وبها مات بعد أن ملك بها عقاراً، (ت ٨٣٠هـ/١٤٢٦م)^(١)، ومنهم عمر بن حسن بن علي بن أحمد ظهيرة المكي القرشي، ولد بمكة سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، وأجاز له عدد من العلماء، ودخل الديار المصرية والشامية للاستزاق غير مرة، وكذا دخل اليمن^(٢). ومن العلماء الذين عملوا بالتجارة أيضاً حسن بن علي بن يوسف بن سالم المكي، الذي ولد بمكة سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، وأجاز له جماعة من العلماء، ودخل اليمن مراراً في التجارة^(٣)، ومن العلماء من كان يتنقل بين البلدان للتجارة، ثم استقر بمكة وتاجر بها، ومنهم عوض بن موسى المكي، الذي كان يعمل بتجارة القماش، وكان أحد التجار المعبرين، وكان ممن أجاز له جماعة من العلماء، وكان بزازاً بدار الإمارة، ثم ترك وسافر لسواكن^(٤) وبلاد اليمن للتكسب، ثم صار يتسبب بمكة، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٥)، ومن العلماء من اتجر وأثري من التجارة وأصبح ذا مال وعقار، ومنهم ظهيرة بن حسين بن علي بن أحمد بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي، الذي صار يتجر حتى أثري واستفاد عقاراً، (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٦)، وكذا علي بن أحمد بن علي بن محمد البخاري المكي الحنفي الذي يعرف بالزمزمي، ولد ببلاد الهند، وحمل إلى مكة ونشأ بها، وسمع على جماعة من العلماء، وأخذ الفرائض والحساب وبيع فيهما وفي الفقه، ودخل شيراز للاستزاق، ومنها انتقل إلى

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٤٥٨/٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٦٧/١٠).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٨/٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨٣/٦).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (١٥٣/٣)؛ السخاوي: النبر المسبوك، (٢٧٠/١).

(٤) سواكن مدينة بقرب جزيرة عيذاب، وهي ذات مرسى، ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن، وهي مدينة عامرة في ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة، وفيها مناجر، ويخرج منها رقيق البجاة والحبشة والؤلؤ الجيد، الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (١٤٩/٦).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٧٨/٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٥/٤).

اليمن، ثم إلى الهند غير مرة، وكان ممن أثري من العمل بالتجارة^(١)، كما أن من العلماء الذين عملوا بالتجارة من لم يخالفه الحظ فيها حيث أتجر وخسر ماله وانتقل إلى حرفة أخرى^(٢)، ومنهم محمد بن أحمد بن صدقة القاهري الحسبي، سَمِعَ على السخاوي بالقاهرة ثم بمكة، وكتب من تصانيف السخاوي الكثير، تكتسب بالتجارة، وكان تاجراً حسن الحظ فغرق في أموال الناس وأُملق واقتطع للنسخ بالأجرة، ثم عمل شاهداً بباب السلام، (ت ٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(٣)، كما كان من العلماء الذين عملوا بالتجارة أصحاب الوظائف الذين جمعوا بين وظائفهم والمهن التجارية، ومنهم أحمد بن سالم بن حسن الجدي، نزل مكة، وعمل قاضياً بجدة؛ إلى جانب امتهانه التجارة وحصل دنيا وعقاراً^(٤)، وكذا أحمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي المالكي، ولد بمكة سنة ٧٨٠هـ/١٣٦٨م، جمع بين التجارة وإمامة المالكية بالحرم المكي شريكاً لأخيه، وحصل من التجارة دنيا طائلة^(٥)، وكذا داود الكيلاني الذي جمع بين وظيفة شاد العمائر وبين التجارة، وكان وجيهاً في التجارة، وكذلك عُيِّن ناظراً للمسجد الحرام إلى جانب عمله بالتجارة^(٦)، كما عمل ابن الزمن بالتجارة إلى جانب الإشراف على العمارة بمكة المكرمة من قبل السلطان قايتباي سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، ثم انتقل منها للإشراف على عمائره بالمدينة المنورة، كما كان يتعاطى التجارة له بمكة المكرمة^(٧)، وكذا الخواجه نور الدين علي بن أحمد بن علي الشيرازي، نزل مكة المكرمة، حج في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م، وكان له اشتغال بالعلم، وسمع على جماعة من العلماء، وعمل بالتجارة، وصار ذا وجاهة بين التجار، تولى نيابة جدة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م^(٨)، كما عمل علي بن محمد بن سند المصري بوظيفة الفراشة بالمسجد الحرام إلى جانب العمل بالتجارة بمكة المكرمة، وكان ممن يحضر الدروس العلمية خاصة في الفقه،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٩٢/٥).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٣١٤/٦).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٣١٤/٦).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٤٢/٣)، السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٣/١).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٩٨/٣)، السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢).

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٢٦، السخاوي: الضوء اللامع، (٢١٤/٣)، عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٤٣.

(٧) حسين شافعي: الخواجه شمس الدين ابن الزمن ودوره الحضاري والعمراني، ص ٧٩، ٩٠.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (١٧٧/٥)، عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٤٤.

(ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(١)، ومن العلماء من عمل إلى جانب التجارة بوظيفة الحسبة، ومنهم محمد بن محمد بن جحشيش بن أحمد السيفي المكي، نزيل ساحل جدة من أعمال مكة المكرمة، الذي عمل بالتجارة وناب في الحسبة عن قضائتها، إلى جانب السماع والتحديث، كما أجاز له السخاوي في سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م^(٢)، ومن جاور في مكة المكرمة وحج مراراً، واشتهر بالحسبة أمين الدين يحيى بن محمد الأقصراني الحنفي، (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)^(٣).

ومما تميز به النشاط التجاري في الحجاز خلال العصر المملوكي إشراف السلطة بمصر على النشاط التجاري، وعمدت في كثير من الأحيان إلى إرسال موظفين من أمراء المثين والعشرات لبلاد الحجاز للقيام بمهام متعلقة بالجانب التجاري يكفون بها من قبل السلطان المملوكي في القاهرة، وكانت المهمة الرئيسية لمؤلاء العسكريين تنظيم عملية أخذ المكس الذي يعود بالنفع الكثير لخزانة الدولة المملوكية في مصر^(٤).

ومن هذه الوظائف وظيفة ناظر جدة التي كانت في العصر المملوكي وظيفة مرموقة تحظى باهتمام مباشر من السلطان المملوكي في القاهرة الذي كان يصدر مرسوم تعيين الناظر^(٥)، ومن تولى هذه من العلماء القاضيين ناظر الخاص علائي الدين علي بن الإمام، تولى نظر جدة بمرسوم سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، ومن ضمن ما ورد في المرسوم التوصية عليه أنه جاء لضرورتنا وحوادثنا فاليعنى به^(٦)، وشاهين الجمالي تولى نظر المدينة المنورة، وتولى نيابة جدة، وأضيف إليه عمارة المسجد الحرام^(٧)، وتم الأشرفي الفقيه الخازندار تولى نيابة جدة سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، ويرد بك الأشرفي الخازنداري الفقيه تولى نيابة جدة سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م^(٨)، وهو تم الأشرفي قاتباي أرسله أستاذه لنيابة جدة مرة بعد أخرى، ثم أخوه السنة

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢٣١/٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠٧/٥)؛ عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٤٢

(٢) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦٣، السخاوي: الضوء اللامع، (٥٥/٩)، عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٤٥

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٤٠/١٠)، حيدر الصافح: الحسبة في العصر المملوكي وواقع المعاصر، ص ٤٥٥، ٤٥٧

(٤) فاطمة الكلبي: الوظائف السياسية والإدارية، ص ٨١

(٥) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٦٥، ٥٦٦/٢).

(٦) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٦٧/٣).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٣/٣).

(٨) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٤٣/٢)؛ العز بن فهد: غاية المرام، (٥٨٥/٢).

الثالثة بعد أن ألبسه الخالعة لها وأتزعجها وألبسها لبرد بك^(١)، والقاضي شمس الدين محمد بن كاتب البزادره الذي عين في نيابة جدة ونظرها وجميع وظائفها ماعدا الصيرفة في سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م^(٢)، والقاضي ابن السكر والليثون كان ناظراً لجدة وصيرفياً في عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م^(٣)، والقاضي نور الدين علي الوفاي تولى نظر جدة عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م كما كان صيرفياً بجدة^(٤).

وظيفة شاد جدة، وهي من الوظائف التي استحدثت في العصر المملوكي، ويطلق على متوليها شاد أو مشد، ومن تولاه من العلماء شاهين الجمالي عمل في شادية جدة سنتين، وحدث مباشرة لعقله ورقته وسكونه مع إقباله على العلم^(٥).

وكذا من الوظائف المتعلقة بالناحية التجارية وعمل بها العلماء وظيفه المباشرون، ومن العلماء الذين عملوا بها محمد بن الخواجا داود بن عثمان، سمع على عدد من العلماء، وكان أحد المباشرين بجدة، (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م)^(٦)، وعمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد اللطيف الزبيدي ثم المكّي، ذكر ابن فهد بأنه سمع على والده، وعلى الشيخ أبي الفتح المراغي، كان أحد مباشري جدة، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٧)، وعبد الباسط بن محمد بن محمد بن محمد، اشتغل بالعلم، كان مباشراً بجدة (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)^(٨)، وشاهين الجمالي الذي وصل مباشراً لجدة سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م^(٩)، كما عين مباشراً بجدة في سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م^(١٠).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٤٥/٣)؛ العز بن فهد: غاية المرام، (٥٦٧/٢).

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٦٥/٢).

(٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، (١٠٩٤/٢)؛ عائشة باقاسي: تجار الحجاز، ص ١٠٢.

(٤) العز بن فهد: بلوغ القرى، (١٢١/٢)؛ عائشة باقاسي: تجار الحجاز، ص ١٠٢.

(٥) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤٥١/٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٣/٣).

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٣٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٣٨/٧).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١١٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧٧/٦).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٠/٤).

(٩) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤٨٣/٤).

(١٠) النجم بن فهد: بلوغ القرى، (٤٧٤/٢).

ومن المهنة التجارية التي اشتهرت في تلك الفترة مهنة الاتجار بالعطارة، وكانت من المهنة التي عمل بها العلماء، ومن العلماء الذين عملوا بها وأتجروا: علي بن عيسى بن علي بن الحضر فخر الدين أبو الحسن العسقلاني الأصل، ثم المصري الشافعي، سمع على والده، كما قرأ الحديث وسمعه على جماعة، تكتب العطارة بمكة، (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)^(١)، ومن عمل بمهنة العطارة إلى جانب الاشتغال بالعلم، أحمد بن محمد بن عماد الدمنهوري ثم المكي، قدم إليها سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وعمل بالعطارة، وكان له دكان مع العطارين، وكان مع ذلك ينسخ كتب العلم مع رغبة في تحصيلها؛ كثيرة ابن هشام، والرياض النضرة للمحب وغيرهما، (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)^(٢)، وكذا محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الحجازي، الذي اشتغل بالعطارة بمكة المكرمة إلى جانب تسنمه منصب شيخ المقرئين بها، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٣)، وأحمد بن محمد بن ناصر بن علي بن يوسف الكتاني المصري العقبي ثم المكي، ولد سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م بمكة ونشأ بها، سمع على عدد من العلماء بها، ورحل إلى القاهرة وحلب وسمع بهما، نزل بجيلة وعمل بالعطارة بها، فكان يبيع العطر ببلاد بجيلة ويتردد منها إلى مكة في بعض السنين^(٤)، والملاحظ أنه كان لهذه المهنة مشيخة تولاها بعض العلماء، ومنهم سعد بن أحمد بن منصور المكي، الذي اشتغل بالعلم فسمع على شمس الدين الجزري، وأجاز له أبو الفضل محمد بن أحمد بن ظهيرة، كان شيخاً للعطارين بباب السلام، (ت ٨٦٢هـ/١٤٥٧م)^(٥).

وكذلك من المهنة التجارية التي عمل بها العلماء مهنة البراز، ومن العلماء الذين عملوا بها بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد بن سلامة السلمي المكي، أجاز له جماعة من العلماء وحديث، وعمل بزازاً فكان يبيع الحرير والبز، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٦)، وعبد العزيز بن أبي قاسم بن محمد المراغي الطهطاوي ثم المكي، سمع على جماعة من العلماء، وكان بزازاً بمكة المكرمة، (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)^(٧)، وعوض بن موسى بن ناصر الدين بن عثمان، أجاز له جماعة من العلماء

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٢٣٥)؛ المقرئ: درر العقود، (٢/٤٦٧).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٥٨)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٥٩).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٥٥).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٠٩).

(٥) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٧٤٨.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٤/٦٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٩٤).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٥١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٢٢٩).

ولم يحدث، كان بزازاً بمكة المكرمة ثم ترك، وتوجه لسواكن وبلاد اليمن وتكسب، ثم ترك ذلك وتسبب بمكة المكرمة وصار له مال، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(١)، ومحمد بن أحمد بن علي الأفواسي البصري، نزيل مكة المكرمة، سمع سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، تسبب في البز بمكة المكرمة^(٢). ومن عمل بالبزارة من العلماء إلى جانب اشتغاله بالعلم شرف الدين محمد بن أبي بكر بن محمد، نزيل مكة المكرمة، كان أحد المشتغلين بالنحو والصرف مع التكسب بالقماش، ولازم السخاوي وسمع منه، وكتب له السخاوي إجازة وفارقه في سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م^(٣)، ومن العلماء من عمل بمهنة الدلالة ومنها دلالة الكتب؛ مثل: سعيد بن محمود بن أبي بكر الكوداني نزيل مكة المكرمة، وكان ممن سمع على التقي بن فهد، (ت ٨٧٢هـ/١٤٩٧م)^(٤)، ومنهم من عمل بدلالة الرقيق؛ كعبدالله بن محمد الظفاري المكي، وكان ممن سمع على السخاوي بمكة^(٥)، ومن العلماء من عمل بالدلالة في مجالات أخرى؛ كعيسى بن عوضه بن أحمد بن موسى بن مسعود الحميري من قبيلة بني مكرم الشاحذي اليمني العدوي، وهو نزيل مكة المكرمة قدم إليها في سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٨م، وأخذ في الفقه والنحو، وسمع من السخاوي بمكة خلال مجاورته، وكان يحفظ الكثير من السيرة النبوية والمتون وغير ذلك، تسبب بالدلالة بمكة، وذكر السخاوي بأنه صار ذا عيال وأولاد يجتهد في القيام عليهم، وربما غسل الأموات^(٦).

ومن الحرف التجارية التي عمل بها العلماء حرفة الصرافة، ومن الذين عملوا به القاضي شمس الدين محمد بن وفا الصيرفي، كما عين نائباً لجدة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م^(٧).

وكذا من الحرف التجارية التي عمل بها العلماء حرفة القباني، ومنهم أحمد بن محمد بن حمزة بن عبدالله الحواتي الأصل المدني الحنفي، تكسب هو وابن عمه بالقبان وعمل الشمع، سمع على عدد من المشايخ، كما حصل على إجازات،

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١١٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٤٩).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٣٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٤).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢٠٢).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٥٦).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٧٠).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٥٥).

(٧) العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٧٩).

كما كان يحضر مجالس العلم كان حياً سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م^(١)، وكذا عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل المصري المكي الشهير بالجوخى، اشتغل بالعلم، وسمع على عدد من العلم، كان مؤدباً للأطفال إلى جانب العمل بالقبان^(٢)، ومحمد بن أحمد الشمس القباني التاجر، تكتسب بالقبانية ثم ارتقى فيها بفرضه جدة فلم يخرج منها لغير جدة إلا للزيارة في سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، ارتقى في التجارة وصار له بمكة وجدة دور بعضها من إنشائه، سافر غير مرة إلى مكة وجاور وتكتسب بالوزن بالقبان والتجارة والمعاملة، (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)^(٣)، وعبد الغني بن محمد بن محمد بن عبدالله القليوبي المصري، نزيل مكة، سمع على أبي الفتح المراغي، وكان خيراً حافظاً لكتاب الله، كثير التلاوة، وكان ممن تكتسب بالقبان، (ت ٨٦٩هـ/١٤٦٤م)^(٤).

ومن الحرف ذات العلاقة بالمجال التجاري حرفة النسخ، وتعد هذه الحرفة من الحرف وثيقة الصلة بالجانب العلمي، وكانت واحدة من الحرف التي عمل بها العلماء في العصر المملوكي، وكان العلماء في نسخهم للكتب العلمية منهم من اتخذ النسخ حرفة يكتسب منها ويأخذ الأجر على ما يقوم بنسخه، ويقال له: الوراق^(٥) ومنهم من نسخ لنفسه رغبة في تحصيل العلم؛ كأحمد بن محمد الدمنهوري الذي كان ينسخ بعض كتب العلم رغبة في تحصيلها^(٦)، وأشارت المصادر بتميز العاملين بهذه الحرفة بجودة الخط وحسنه، وغيرها من الصفات الدالة على حسن الخط ووضوحه؛ لا سيما أنها كانت من ضمن الأمور التي تزيد من ثمن الكتاب. ومن العلماء الذين عملوا بالنسخ واتصفوا بجودة الخط محمد بن عبدالله بن أحمد الفاسي، التونسي الأصل، المكي المولد والدار، الذي سمع على عدد من العلماء، واشتغل بالفقه والعربية، كان له خط جيد كتب به أشياء كثيرة (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)^(٧)، ومن العلماء من نسخ للغير دون مقابل مادي احتساباً للأجر والمثوبة، ومنهم عبد اللطيف بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد الحسيني الفاسي المكي الشافعي، سمع على جماعة من

(١) السخاوي: التحفة الطليقة، (١/٢٣١).

(٢) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٣٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٥٨).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٢٦).

(٤) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٢٥٧).

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٤٩٥)؛ عليان الجالودي: سبل عيش العلماء في ضوء كتاب الأنساب للسمعاني، ص ٢٢.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٥٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٥٩).

(٧) العقد الثمين، (٢/٥١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٨٢).

العلماء، وحصل على إذن في التدريس والإفتاء، وكان ذا حظ من العبادة، واهتم بعدد من العلوم؛ كالأصولين (القرآن والسنة)، والفقه، والتفسير، والعربية، والمعاني، والبيان، والمنطق؛ كثير النباهة فيها، مجيداً في الإفتاء، كان سريع الكتابة، وكتب بخطه الكثير لنفسه وغيره مجاناً، ودرس بالحرم وأفتى، (ت ٨٢٢هـ / ١٤٠٩م)^(١)، ومنهم أيضاً - عيسى الأنصاري المصري الحنفي المكّتب، الذي تعانى الكتابة وبرع فيها، وتصدى لذلك احتساباً، فانتفع به جمع كثير من أهل مكة، وكان ممن اشتغل بالعلم، وسمع على جماعة من العلماء^(٢). كما حققت حرفة النسخ النفع العلمي والمادي للعلماء، فمن العلماء من جمع بين طلب العلم وحرفة النسخ فاستفاد الحصول على نسخ من الكتب لنفسه، وأفاد بعلمه في هذه الحرفة، فلم يقتصر عمل العلماء بهذه الحرفة على مجرد النسخ للكتب؛ بل أثرى العلماء هذه الحرفة بعلمهم، وتضح ذلك من خلال نسخ بعض العلماء الكثير من الكتب، وإضافة التعليقات والحواشي النافعة، ومنهم علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفارقي الأصل المكي المالكي، ولد بمكة المكرمة سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، كان ممن أخذ في الفقه والنحو، ونسخ بخطه الحسن عدداً من الكتب، وعلق بخطه كثيراً عليها^(٣)، وكذا محمد بن محمد بن محمد بن أبي الخير بن فهد الهاشمي المكي، ولد سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، استجاز له والده عدداً من شيوخ الحرمين والقدس والقاهرة وغيرها، وجمع معجماً لشيوخه بالسماع والإجازة، ومعجماً لوالده، ومشيخات لبعض شيوخه، كتب بخطه الكثير من الكتب والأجزاء، وأضاف وشرح عليها وعلق على بعضها، وجمع عدة من المجموع وعلق فوائد حديثة وغيرها^(٤)، كما أن من العلماء الذين عملوا بالنسخ من أضاف الحواشي النافعة؛ مثل: محمد بن محمد بن علي بن محمد البليسي القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م، وكان ممن نكّسب بالنسخة؛ فكتب بخطه عدة كتب قيد على بعضها حواشي نافعة، وكان يعلق على الكتب ويضع عليها من الفوائد والحواشي ما يدل على فضله وعلمه، كما لازم كتابة الأمالي من السخاوي، وكتب عدداً من تصانيف السخاوي

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٢٣٢).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/١٥٩).

(٣) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٧٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٨٣)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (٣/١١٨).

(٤) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٩١.

(٥) الأمالي تعد من كتب التراث المهمة التي بدأت تظهر في القرن الثاني الهجري، والأمالي بمعناها الاصطلاحي: هي جمع الإملاء وهو أن يجلس عالم وحوله تلاميذه بالحابر والقراطيس، فينقلهم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى، ويكتبه التلامذة عليه من العلم، فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء والأمالي، وليس بالضرورة أن ينقل العالم على تلاميذه، فقد ينقل على أصحابه، وسواء أنقل على تلاميذه العالم، أو بين أصحابه فهي لغرض =

السخاوي وغير ذلك،^(١) كما أن من العلماء من حرص على كتابة أو نسخ كتب العلم لنفسه ولغيره، ومنهم محمد بن أحمد بن محمد الشمس الجبيري^(٢) القاهري، نزيل مكة المكرمة، الذي عمل بالنسخ وكتب بخطه الكثير لنفسه ولغيره من الكتب الكبار، وذكر السخاوي أنه لا يعلم من يشاركه فيها كثرة وملازمة، وكتب جملة من تصانيف السخاوي وحرص على تحصيلها، وكتب بخطه الكثير لنفسه ولغيره، وسمع على السخاوي، وله ملازمة للنسخة وخبرة بالكتب^(٣)، وكذا موفق الدين علي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبري البعني، ولد قبل ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، أجاز له جماعة من العلماء، وكتب بخطه الحسن الكثير لنفسه ولغيره، كما كتب القرآن العظيم في أربعة شريفة ثلاثين جزءاً جملة واحدة^(٤). ومن العلماء الذين احترفوا النسخ من كتب بخطه الجميل الكتب العلمية إلى جانب الاشتغال بالعلم عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن حسان بن أسعد العمراني^(٥) نسباً، المكي المولد والدار، كتب الكثير من الكتب العلمية، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)^(٦)، وأيضاً محمد بن أحمد بن أبي الفضل محمد بن أحمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي، الذي كتب بخطه الكثير، وحضر الدروس العلمية لقريبه البرهان والحج وغيرهما من شيوخ بلده، (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)^(٧). ومن العلماء الذين عملوا بالنسخ من تخصص في

الحصول على المعلومات المقيدة، وحسم بعض المسائل التي كانت موضع خلاف وجدل بين العلماء، كانت تُعقد في مكان معلوم في مسجد، أو ربما في دار العالم في أيام معينة من الأسبوع، وكتب الأماي اعتمدت على القراءة من الكتب؛ فضلاً عن النقل عن طريق السماع؛ إلى جانب الذاكرة والحفظ، وتتميز هذه الكتب بقلة تطرق احتمال السهو والغلط والنسيان، ولا سيما إذا كان إملاء الشيخ عن كتابه المصحح، أو عن ظهر قلب مع الوثوق والاعتمادان بكونه حافظاً ضابطاً متقناً، عبدالله التميمي: الأماي والجالس في آثار الدارسين وقيمتها العلمية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٢١، حزيران، ٢٠١٥م؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، (١/١٦١).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٦٢)؛ الزركلي: الأعلام، (٧/٥٠).

(٢) الجزيرة بلدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، الحموي: معجم البلدان، (٢/٢٠٠).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٠٢).

(٤) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٦٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٠٢).

(٥) العمراني هذه النسبة إلى شيبين: أولهما أهل بيت كبير بسرخس، وهو بيت قديم، وثانيهما إلى العمرانية بالموصل، السمعاني: الأنساب، (٩/٣٦٨).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٣٧٩).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٤٤).

نسخ المصاحف؛ فكان يُقرئ إلى جانب نسخ المصاحف، ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان، الناسخ المقرئ، كان ذنباً خيراً، يعانى نسخ المصاحف مع المعرفة بالقراءات، وأخذ عن جماعة من العلماء، وأقرأ الناس وانتفعوا به، (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)^(١)، كما كان من العلماء من يجمع إلى جانب العمل بالنسخ العمل بإحدى الوظائف أو المهن، ومنهم أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن أحمد الأنصاري الحزرجي، كان ممن أخذ في الفقه والعربية وبرع فيهما، واشتغل بمكة في العربية والعروض وألف فيهما، وانتفع به جماعة في ذلك، كما حصل على إذن في الإفتاء والتدريس، كما درس في الفقه، وله نظم كثير، كتب بخطه الحسن كثيراً من كتب العلم؛ إلى جانب أنه نأب في العقود بمكة، (ت ٧٨٨هـ/١٣٨٦م)^(٢)، وكذا عبد السلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر الشيرازي المكي المعروف بالزمزمي، ولد بمكة المكرمة سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، وسمع على جماعة من العلماء، وأجاز له الكثير، وحدث، كان ممن تميز بحسن الخط، ونسخ بالأجرة، وأدب الأطفال مدة، كما باشر حرفة الشهادة مدة يتكسب بها^(٣).

ومن الحرف التجارية التي عمل بها العلماء وتعدُّ مُكملة لحرفة النساخة حِرَفُ التجليد والتذهيب إلى جانب تجارة الكتب. ومن العلماء الذين عملوا بها محمد بن عمر بن أحمد بن عزم التميمي التونسي، ثم المكي المالكي، الشهير بابن عزم، كان له عناية بالعلم فحفظ القرآن الكريم، كما حفظ عدداً من الكتب، كما سمع على عدد من العلماء، وكان ممن يتكسب بالتجليد وتجارة الكتب بالقاهرة ومكة، جاور بمكة وتوفي بها سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م^(٤). ومن عمل بالتجليد - أيضاً - سالم بن محمد بن محمد بن سالم القرشي المكي ثم القاهري، أجاز له جماعة من العلماء، وقال عنه السخاوي: أجاز لنا، كان ممن تكسب بصناعة تجليد الكتب، توفي سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م^(٥). كما وجد من الأسر العلمية الشهيرة من عمل بعض أفرادها بحرفة التجليد، ومن هذه الأسر أسرة ابن فرحون، ومن العلماء الذين عملوا بالتجليد من هذه الأسرة عبد العزيز بن علي بن فرحون الذي كان يعمل مجلداً، وهي حرفة أبيه أيضاً، وكذا الشمس محمد بن علي بن فرحون الذي

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٤٩٥).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٤٩)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٨/٢٧٧).

(٣) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٨٤٧، ٨٤٨؛ النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٤٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٢٠٧).

(٤) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٢٤٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢٥٥)، الزركلي: الأعلام، (٦/٣١٥).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٤٢).

كان يعرف بابن المجلد، فقد عمل بالتجليد وهي مهنة أبيه وأخيه، وقد عملوا بهذه المهنة على الرغم من أنهم من مشاهير العلماء؛ خاصة في علم الحديث وقضاء المذهب المالكي^(١). ومن الجدير بالذكر أن العلماء الذين عملوا بالمهنة التجارية لم يشغلهم طلب الرزق عن الاشتغال بالعلم؛ بل إن العلماء الذين عملوا بالتجارة منهم من تميز بكثرة السماع والإجازات العلمية، ومنهم محمد بن خالد بن حمدون بن محمد الشافعي، الذي جاور بمكة مدة، وكان يتاجر بالكاتب، وسمع على جماعة مجلب، وبغداد، ودمشق، ومصر، وحديث بأماكن منها مكة (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)^(٢)، والعلامة ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد الصغاني الهندي الحنفي، الذي أقام بالمدينة المنورة يُدرّس ويُفتي ويتاجر، وحصل خلافاً بينه وبين أميرها فخرج من المدينة المنورة، وأقام بمكة المكرمة وتولى تدريس المذهب الحنفي بمكة الذي قرره الأمير بليغا الخاصكي الأتابكي وباشره سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م، (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م)^(٣)، وكذلك إبراهيم بن محمد بن مصلح بن إبراهيم، العراقي الأصل، المكي المولد والدار، الذي عمل بالتجارة وعرك له فيها، وكان يحضر دروس القاضي محب الدين ابن ظهيرة والجمال الشيباني، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٤)، وكذا علي بن عبدالله بن إسماعيل الديروطي، نزيل مكة، تصدر للإقراء وصار شيخ مكة في القراءات إلى جانب العمل بالتجارة، (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)^(٥)، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله القرشي الذي كان يُفتي إلى جانب العمل بالتجارة في الكثير من الأشياء، وحصل "دنيا طائلة"، وكان يجلس للحكم في السوق في غالب النهار، (ت ٧٣٥هـ/١٣٣٤م)^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٣٣)؛ حورية السمللي: الأسر العلمية بالمدينة، ص ٤١٥

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٢، ١٣)؛ الكلي: الوافي بالوفيات، (٣/٣١)؛ عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٥٣

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٩٢).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/١٦٦).

(٥) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٠٣٧، ١٠٣٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٤٨).

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٧٩).

المبحث الثالث: المهن والحرف الاجتماعية:

ومن الحرف الاجتماعية التي عمل بها علماء الحجاز حرفة الشهادة، ومن العلماء الذين تكتبوا منها شهاب الدين أحمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد بن محمد البجائي الأصل المكي المالكي، سمع وأجاز له عدد من العلماء، تكتب بحمل الشهادة والجلوس لها وحدث، (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م)^(١)، وأحمد بن عبد القوي بن محمد يحيى بن محمد بن عبد القوي الحيويني المكي المالكي، سمع على عدد من العلماء، وأجاز له كثيرون، تكتب بالشهادة وحُمد فيها، (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٢)، وكان من العلماء من تكتب بالشهادة مدة، منهم زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الأميوطي المكي الشافعي، الذي جلس للشهادة وتكتب بها مدة ثم ترك، (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)^(٣)، وعبد السلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر الشيرازي العجمي المكي الشهير بالزمرمي، سمع على عدد من العلماء، وأجاز له جماعة، باشر الشهادة مدة يكتتب بها، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٤)، كما حدث أن جمع بعض العلماء بين الشهادة ومهن أخرى، منهم علي بن عمر بن أبي موسى بن ناصر الدين الديلمي ثم القاهري الشافعي، نزل مكة المكرمة، ولد سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، أذن له في الإفتاء والتدريس، وتكتب بالشهادة، وكتب بخطه أشياء، وحج غير مرة وجاور مراراً، وجلس شاهداً باب السلام مع المداومة لحضور دروس البرهاني، وحضر الكثير من دروس السخاوي،^(٥) وكذا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حسن القسطلاني، عانى الشهادة وصار يكتب الوثائق (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)^(٦)، وعبد الله بن أحمد بن حسن بن الزين محمد بن الأمين القسطلاني المكي يلقب بالعفيف، ولد سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، درس الفقه وعانى الشهادة، وكأية الوثائق والسجلات في ولاية القاضي محب الدين بن القاضي جمال الدين، وله معرفة بالوثائق والسجلات والدعاوى.^(٧)

(١) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٦١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١/٢٥٠).

(٣) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٣٧.

(٤) التجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٤٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٦٩).

(٦) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٤٦٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/٣٥٥).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٩٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٥).

ومن الجُرف الاجتماعية التي عمل بها العلماء -كذلك- السقاية، وهي في الغالب من المهن المرتبطة بالمسجد الحرام وخدمة زواره طوال العام، وعُرف القائمون عليها بالزمازمة نسبة لبشر زمزم، وكان لهم رئيس يطلق عليه شيخ الزمازمة، وتكاد تنحصر هذه الوظيفة في الأسر التي عمل معظم أبنائها بهذه الوظيفة؛ لذلك نجد أنهم يتوارثون العمل بها، وقد انصف عددٌ من أبناء هذه الأسرة بالعلم الوافر، والتقوى والزهد وذلك بحكم عملهم بالحرم المكي الذي يعد أكبر جامعة إسلامية^(١)، ومنهم علي بن أحمد بن علي بن محمد بن داود البيضاوي نور الدين أبو الحسن المكي المعروف بالزمزمي، ولد ببلاد الهند وحمل إلى مكة المكرمة، ونشأ بها، وحفظ القرآن والكتب العلمية في فقه الحنفية وغير ذلك، وأخذ في الفرائض والحساب وكان نبيه في ذلك ورحل لأجل الرزق إلى شيراز ثم اليمن والهند غير مره ونال في بعضها دنيا، (ت ٨٢٤هـ/١٤٢١م)^(٢)، وعبدالله بن منصور الوجداني التلمساني المغربي، السقاء بالحرم الشريف، أجاز له جماعة، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥٠م)^(٣)، وإبراهيم بن علي بن محمد بن داود بن شمس الدين بن رستم بن عبيد الله البيضاوي الأصل، المكي الشافعي، العلامة الفرضي الحاسب، برهان الدين، أبو إسحاق، سمع على جماعة، واشتغل بالعلم فأخذ في الفقه العربية والفرائض والحساب والهندسة وغيرها من العلوم، وحدث، وإبراهيم بن علي البيضاوي، (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٤)، وكذلك كان بالمدينة سقاؤون فقد حددت وثيقة الأشرف شعبان رجل يسقي الماء بالمدينة المنورة^(٥)، ومن العلماء الذين عملوا بالسقاية بالمدينة عبد الرحمن بن مبارك بن سعيد، السقاء بالحرم النبوي، سمع على جماعة، أجاز لابن الشيخ ابن حجر العسقلاني وغيره، سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م، مات بعد ذلك^(٦)، وعبد الكافي بن محمد بن محمد بن حسين المدني، ويعرف بابن قطب، سمع على ابن صديق، (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)^(٧)، كما أن من العلماء من جمع بين السقاية وبعض الوظائف أو الحرف والمهن ومنهم محمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبدالله

(١) قاطعة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٦/١٣٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/١٧٥).

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٩٣٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٧١).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٠٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١/٨٦).

(٥) أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٢٨٩؛ ريم الساجي: الموظفون بالمسجد النبوي، ص ٢٢٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢/٥٢٨).

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٣/٥٨).

البيضاوي الأصل المكي الشافعي، الشهير بالزمزمي، أبو علي، ولد سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م، سمع على جماعة، وياشر الأذان وكان شريكاً لإخوته في مئذني سوقية والخزورة، وغير ذلك، وتكسب بعمل العمر^(١)، وأبو الفتح ويسمى محمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن داود الزمزمي، سمع على جماعة، وكان له معرفة بالفرائض والحساب، ويكتب خطه على الفتاوى فيها، كان له ولأخيه ثابت أمر سقاية العباس وشتر زمزم وهو وأخوته شركاء في أذان منارة سوقية، والخزورة، وتكبير الحنابلة، (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م)^(٢)، وشهاب الدين أحمد بن سالم بن ياقوت المكي، ولد سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، سمع على جماعة، وحدث، كان إليه أمر زمزم، وسقاية العباس، وكان مؤذناً بالحرم الشريف حيث كان يؤذن بمأذنة الخزورة، وكان شيخاً للفراشين بالحرم المكي، وأميناً على زيت الحرم وشمعه^(٣)، وكذا إسماعيل بن علي بن محمد بن داود البيضاوي الأصل المكي الشافعي، الشهير بالزمزمي، مجد الدين، أبو طاهر، سمع على جماعة وحدث، واشتغل كثيراً، وأخذ في العروض، وتعالى النظم، وولى أمانة الحاصل بمكة، وكان ملازماً لخدمة قبة العباس وشتر زمزم، (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٣م)^(٤).

ومن المهنة الاجتماعية التي عمل بها علماء الحجاز -أيضاً- عقد الأنكحة وإصلاح ذات البين، وتعد من المهام التي يكلف بها القضاة إلى جانب وظائفهم، وكان القضاة غالباً ما يعينون فيها من ينوب عنهم؛ إلا أن من القضاة من باشر بنفسه عقد الأنكحة والإصلاح بين الخصوم، ومن القضاة الذين تولوا عقد الأنكحة بأنفسهم قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة^(٥)، وكذلك قاضي القضاة الشافعي وناظر المسجد الحرام صلاح الدين بن ظهيرة ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة، (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)^(٦)، وقاضي القضاة الحنفي نور الدين علي بن أبي الليث بن أبي حامد بن الضياء القرشي المكي، (ت ٩١٧هـ / ١٥١١م)^(٧)، ومن أمثلة عقود الأنكحة التي قام بها القضاة ما

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/ ١٣٧).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١١/ ١٢٢).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٣/ ٤٣)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (١/ ١٣٥). وللوقوف على المزيد عن زيت الحرم وشمعه، انظر صالح الرعي الإضاءة في الحرمين خلال العصر المملوكي.

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٢٧، ٦٢٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/ ٣٠٢).

(٥) النجم بن فهد: بلوغ القرى، (٢/ ١٧٣، ١٧٤، ٣١٣).

(٦) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٣/ ٥٣٦).

(٧) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٣/ ٣٨٥).

كان في عام ٨٩٦هـ/١٤٩٠م حيث عقد الشهاب أبي الحاسن أحمد بن قاضي القضاة الحنفي شرف الدين أبي القسم بن الضياء على عيشة بنت الخواجا علي العجمي، وكان العاقد ناظر المسجد قاضي القضاة الشافعي جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة، وفي عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م عقد أبو البقاء بن القاضي عفيف الدين عبدالله بن أبي الفضل بن ظهيرة على قريبته فاطمة بنت القاضي فخر الدين أبي بكر، والعاقد قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود^(١). ومن خلال عقود الأئمة التي تولاهم القضاة تبضح أن القضاة كان يتولون القيام بعقد الأئمة بأنفسهم إذا كان يتعلق بكبار الشخصيات من الأشراف والقضاة والتجار والأعيان، وما عدا ذلك يتولى نوابهم بهذه الوظيفة؛ فقد عين القضاة النواب عنهم في هاتين المهنتين؛ سواء في نفس المدينة فيقوم النائب بهذه المهمة نيابة عن القاضي في مكة أو المدينة، وكذلك الحال في عدد من المدن الحجازية؛ مثل: جدة، وادي مر، وقرية التنضب، ووادي نخلة وغيرها من المدن الحجازية. ومن النواب من عين فيها مستقلاً في هذه المدن بمرسوم سلطاني، وكان هؤلاء النواب يعهد إليهم بالعديد من المهام فيعينون في الخطابة والإمامة وعقد الأئمة، أو يتولى عقد الأئمة والإصلاح بين الناس. ومن العلماء الذين تولوا هاتين المهنتين يعقوب بن إبراهيم المعروف بأبي الحمد، (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م)، كان مقيماً بقرية التنضب من وادي نخلة الشامية ويعقد بها الأئمة، ويكتب الوثائق وله شهره كبيرة^(٢)، ومحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الصاغاني يلقب بالكمال ابن الضياء المكي الحنفي أبو الفضل، سمع وأجيز، وأجاز لجماعة، سكن قبل وفاته بسنتين كثيرة وادي نخلة، ثم استقر بخيف بني عمير^(٣)، وكان يؤم الناس به ويخطب بهم، ويعقد الأئمة، وتعالى التجارة، (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٤)، وصالح بن أبي المنصور أحمد بن عبد الكريم بن أبي المعالي يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين الشيباني الطبري الأصل، المكي المولد والدار، أجاز له عدد من العلماء ولم يحدث، أقام بجدة متولياً لعقود الأئمة والإصلاح بين الناس نيابة عن القاضي شهاب الدين الطبري، ثم انتقل إلى مصر

(١) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٣١٣/٢)، (١٧٣/٢).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٤٧١/٧).

(٣) خيف بني عمير: الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من مئى، وعمير بلفظ تصغير العمر، وهي موضع قرب مكة يصب منه نخلة الشامية، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٢٠، ٥٩٠.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٣٣٣/٢)؛ المقرئ: درر العقود، (٣٦٤/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٧/٢).

وأقام بها سنين، (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)^(١)، وعبدالله بن صالح بن أحمد بن أبي الكريم بن أبي المعالي يحيى بن عبدالرحمن الشيباني المكي الجدي، بلقب بالعفيف، سمع بمكة، وسمع منه الفاسي بجدة، كان يُقيم بجدة يخطب الناس بها ويأشركهم عقود الأتكة، (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٢)، وعبد الرحمن بن أبي عبدالله محمد بن الرضي محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي سمع ولم يحدث، قال الفاسي: إنه كان حياً سنة سبع وثمانين وسبعمائة؛ لأنه أجاز في هذه السنة لبعض شيوخ شيوخنا المكيين، وكان يسكن بأرض خالد من وادي مر من أعمال مكة، وتولى عقد الأتكة بها عن قضاة مكة^(٣).

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢٥/٥).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١٧٨/٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢١/٥).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٤٠٦/٥).

المبحث الرابع: المهن والحرف العلمية :

وفي مقدمة المهن العلمية التي عمل بها علماء الحجاز مهنة المقرئ؛ فقد حرص عدد منهم على تعليم القرآن الكريم؛ فكان أول ما يبدأ بتعليمه من العلوم، فالكثير من العلماء تلقى القرآن الكريم على يد والده، أو من اشتهر بالعلم من أقاربه، كما نجد أن أول ما يتعلمه الأطفال في الكتاب هو القرآن الكريم. ومن خلال تراجع العديد من العلماء نجد أنه أول ما أتقن حفظ القرآن صلى به صلاة التراويح،^(١) وقد عمل العديد من علماء الحجاز وغيرهم على الإقراء بالحرمين الشريفين، ولعل ذلك رغبة في الأجر والمثوبة لمكانة الحرمين ومضاعفة الأجر فيهما، وتعددت جهود العلماء في الإقراء، فمنهم من قرأ على عدد من المشايخ، وبالعديد من البلدان، وحصل على إذن بالإقراء، فقد كان يعين على من يعمل بمهنة الإقراء الحصول على إذن بالإقراء، ويحصل عليه من المشايخ الذين قرأ عليهم وأجازوه في ذلك. ومن العلماء الذين عملوا بالإقراء عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد، الزين أبو الفرج، وأبو بكر بن المشهاب أبي العباس، الدمشقي الأصل المكي الشافعي المقرئ، ويعرف بابن عباس، جاور بمكة وتصدى بالحرمين لنشر القراءات ليلاً ونهاراً؛ فانتفع به خلق من أهلها والقادمين عليها، وصار شيخ الإقراء بلا مدافع، ووصف بمقرئ الحرم، ووصفه المقرئ الحجازي، واقطع في منزله في مكة سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م عن الحركة غير متفك مع ذلك عن الإقراء لمن يقصده، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٢)، وأبو القاسم بن أحمد بن عبد الصمد بن أبي بكر الأنصاري الحزرجي الحولاني، نزل مكة المكرمة والمقرئ بالحرم الشريف، قرأ القراءات ببيت المقدس وبالشام وغيرها، وتصدر للإقراء مدة، ثم ولي وظيفة تلقين القرآن الكريم سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، وبقي بحرم الله تعالى حتى مات، (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م)^(٣)، وكان الكثير من العلماء الذين عملوا بالإقراء بالقراءات السبع يمنحون طلابهم الذين قرأوا على أيديهم إجازات تدل على نبوغهم وتجيزهم لتدريس هذا العلم، ومن هؤلاء العلماء الشيخ العقيف الدلاصي والشيخ برهان الدين الذي كان يجيز الإقراء بالسبع قراءات، وغيرهم من المقرئين،^(٤) كما نبغ كثير من

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٥/٥٢٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٩٥).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٥٩)؛ المقرئ: درر العقود الفريدة، (٢/٢٥٣).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٨/٨٨).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٦/٣١٢، ٢٣٦)؛ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٢٦.

العلماء ذلك العصر بالإقراء، وأطلقت عليهم ألقاب تدل على نبوغهم مثل شيخ الإقراء^(١) مقرئ الحجاز^(٢)، ومن هؤلاء المقرئين هبة الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد المغربي الفاسي، نزيل مكة، وشيخ الإقراء على الإطلاق، (ت ١٤٦٣/هـ ١٨٦٨م)^(٣)، وبرهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم بن سعيد الأربلي القاهري^(٤)، نزيل مكة وشيخ القراء بمكة، وتصدى للإقراء بالحرم النبوي^(٥)، كما تولى مشيخة القراء والقراءات بالحرمين عدد كبير من المشايخ والذين كان لهم دور بارز في إقراء وتعليم الناس لكتاب الله، ومن الذين تولوا هذه المشيخة عمر بن محمد بن محمد بن عبد الله الحموي النيجار، نزيل مكة، (ت ١٤٦٨/هـ ١٨٧٣م)^(٦)، وأحمد بن يوسف بن حسن بن علي الحصنكي في الأصل المكي^(٧) المقرئ بالحرم، وصفه ابن فهد بـشيخ المقرئين بالمسجد الحرام، وأجاز له زيادة على المئة، (ت ١٤٥١/هـ ١٨٥٥م)، وقد اختص علماء هذه المشيخة بالتدريس والإقراء بالحرمين؛ بل قد تولاهم أكثرهم معرفة بالقراءات^(٨). ومن العلماء الذين اشتهروا بالإقراء محمد بن صالح بن إسماعيل الكنان، المقرئ تلا بسبع القراءات وأتقنها، وانتفع به أهل المدينة والوافدون إليها، (ت ١٣٩٤/هـ ١٧٩٧م)^(٩)، ومن الذين عملوا بالإقراء -أيضاً- محمد بن إبراهيم بن يوسف غصن السبئي المالكي، المقرئ المجاور بالمدينة المنورة، (ت ١٣٢٣/هـ ١٧٢٣م)^(١٠)، ومحمد بن ثابت الأنصاري المراكشي، الذي كان له معرفة بالقراءات

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٠٧/١٠).

(٢) المقرئ: درر العقود الفردة، (٢٥٣/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥٩/٤).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٠٧/١٠).

(٤) أربل تعد من أعمال الموصل وبها مسيرة يومين، وهي قلعة حصينة، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط، الحموي: معجم البلدان، (١٣٨/١).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٢٦٢/٣)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٧٣/١).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (١٢٤/٦).

(٧) حصن كيفا هي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وحزيرة ابن عمر من ديار بكر، الحموي: معجم البلدان، (٢٦٥/٢).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٤٧/٢)؛ النجم بن فهد: معجم الشيخوخ، ص ٩٩؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٨٧.

(٩) السخاوي: التحفة الطليقة، (٥٨٣/٣).

(١٠) كحالة: معجم المؤلفين، (٤٣/٣).

السبع، وكان يؤدب الأطفال عند باب أحياء من الحرم الشريف، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)^(١)، ومن هذا يتضح أن بعض هؤلاء العلماء الذين آمنوا بالإقراء والتأديب للأطفال كانوا يكتبون من هذه المهنة، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، حيث تنتشر العديد من حلق تحفيظ القرآن، ويعمل بها العديد من حفظة كتاب الله مقابل أجر يدفع لهم، وكذا من العلماء من تصدى للإقراء بالحرمين منهم محمد بن أبي يزيد محمد بن أبي يزيد الكيلاني، نزيل الحرمين الشريفين، المقرئ الذي تصدى للإقراء بالحرمين دهرًا^(٢)، ولم يقتصر العلماء في الإقراء على القرآن الكريم؛ بل من العلماء من أقرأ في فنون متعددة، فمنهم من أقرأ في الحديث أو العربية وغيرها من العلوم، ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم البليسي ثم القاهري الأزهري الشافعي، نزيل طيبة، قدم مكة سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م، فحج وجاور ثم قدمها بعد سنة أيضاً، ثم عاد ثم رجع إلى مكة سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، وقطن مكة إلى سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، ثم عاد إلى المدينة فقطعها، أقرأ في فنون وانتفع به جماعة^(٣)، ومحمد بن مبارك القسنطيني المغربي المالكي، الذي استوطن المدينة المنورة مدة وأقرأ الطلبة في الفقه والعربية وغيرها وانتفعوا به، (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م)^(٤)، ولطف الله بن يعقوب بن إسماعيل بن إسحاق الحمذاني ثم التبريزي الشافعي، نزيل مكة المكرمة، تصدى بمكة المكرمة لإقراء الطلبة في كثير من الفنون، وكان يُقرئ في فقه الحنفية، (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)^(٥)، ومما يجدر ذكره أنه وجد نوع من المقرئين كانوا يختصون بالقراءة في المحافل، وكانوا بالإضافة لقراءة القرآن يمتنون بإنشاد الأناشيد في المحافل والمناسبات الخاصة والعامة؛ سواء داخل المسجد الحرام أو خارجه، وكان لهم مشيخة أطلق عليها "مشيخة المقرئين في المحافل"، ومن أهم ما تميز به هؤلاء المقرئون عدوية الأصوات، كما أنه لم يرد ما يؤيد أن قراء هذه المشيخة كانوا يدرسون للطلبة بالمسجد الحرام؛ بل كان دافع بعضهم من ذلك هو الكسب المادي نظير إقراهم وإنشادهم^(٦). ومن العلماء الذين عملوا بالقراءة في المحافل أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف الحصنكي في الأصل

(١) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٥٣).

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٧٦).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٩٠).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٢٩٥).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٢٣٤).

(٦) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٥؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٢٢؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي،

المكي، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)^(١) الذي كان شيخ المقرئين بالحافل، وولي بعده مشيخة القراء في الحافل محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الحجازي الشريفي العطار، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٢)، ورغم أن أغلب المقرئين كانوا لا يأخذون أجراً مقابل تعليمهم القرآن الكريم بل كانوا يقومون بذلك احتساباً للأجر والثوبة من الله تعالى ومنهم الشيخ عفيف الدين الدلاصي، مقرئ مكة الذي أقرأ القرآن أكثر من ستين سنة بغير أجر^(٣)؛ إلا أن البعض الآخر غلب عليهم التكسب من ذلك؛ إذ لم يكن لهم مصدر للرزق إلا هو ليتفقوا على أنفسهم وأسرهم، ولذلك وجد من العلماء من عمل بالإقراء والإشاد إلى جانب العمل ببعض الوظائف والحرف والمهن، ومنهم علي بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد القادر الديروطي، نزيل مكة، الذي اشتغل بالقراءات وتصدي للإقراء، وصار شيخ القراءات، وكان يعلاني التجارة، (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)^(٤)، ومحمد الحجازي الشريفي الذي عمل بالعطارة بمكة، كما كان شيخ المقرئين، (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٥)، وكذلك المقرئ أحمد الحصنكي في الأصل المكي، المقرئ بالحرم، ناب في الحسية بمكة ثم تركها ودخل مصر واليمن مراراً للاستزاف، كان يقرأ ويمدح في الجامع، ويؤذن بالمسجد الحرام^(٦)، وإبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي الطباطبي، كان أحد الخدام بالحجرة النبوية، وعمل بالإقراء في الحرمين الشريفين، (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م)^(٧)، ومحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الششتري المدني، المقرئ، الذي تصدى للإقراء وانتفع به أهل المدينة المنورة وغيرها، ناب في الخطابة والإمامة، (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)^(٨)، وكذلك يحيى بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيني المغربي المالكي المقرئ الذي أم بمقام المالكية نيابةً، واشتغل بالقراءات وتعليم العربية^(٩). والذي يمكن إضافته إلى ما ذكر هو أن عدداً من المقرئين والمنشدين كانوا إلى جانب قيامهم بهذا العمل في الحرمين وغيرها

(١) الديلم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٧٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٤٧).

(٢) ابن فهد: الدر الكمين، ص ٥٧٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٤٧).

(٣) القاسي: العقد الثمين، (٤/٣٦٧).

(٤) الديلم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٠٣٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥/٢٤٨).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٥).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢٤٧).

(٧) الديلم بن فهد: الدر الكمين، ص ٥٨٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٤).

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/١٩٥).

(٩) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٤١٠).

من مساجد الحجاز؛ فإنهم كانوا يتكسبون من وراء الإقراء والإنشاد من خلال مشاركتهم في المناسبات الخاصة سواء أكانت أفراحاً أم أتراحاً، وهو عادة كانت متبعة في ذلك الوقت، ولا زالت آثارها حتى اليوم في بعض المجتمعات الحجازية ومن علماء الحجاز من تكسب من التحديث وذلك بعد حصولهم على الإجازات من المشايخ الذين تلقوا على أيديهم علم الحديث؛ سواء من قام منهم بالرحلة لطلب الحديث، أو من اقتصر على شيوخ بلده، وقد تنوعت جهود علماء الحجاز في خدمة الحديث الشريف، فمن العلماء من حدث في أكثر من بلد، ومنهم برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي الحنبلية، كان مُسند الحجاز، وحدث بمسعوداته في دمشق، والحرمين، وحلب، وطرابلس دهرًا، وعمر ونفرد حتى ألحق الأجداد بالأجداد، وصار بقية المسندين وخاتمة المعمرين، وكان أسند من بقي في الدنيا، (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(١)، وكذا محمد بن خالد بن حمدون بن محمد الجويني الحموي الشافعي الذي جاور بمكة مدة، وحدث بأماكن منها، (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)^(٢). ومن العلماء الذين رحلوا في طلب الحديث محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي الأصل الصعدي، ثم المكي المعروف بالمرجاني، كان ممن رحل في طلب الحديث إلى دمشق، وسمع وحدث قليلاً، (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٣)، ومن العلماء الذين عملوا بالتحديث أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب، أبو العباس المرشدي القوي المكي الشافعي، ولد سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م، سمع الحديث على عدد من العلماء بمكة والقاهرة ودمشق، وحصل على عدد من الإجازات، وحدث وسمع منه الفضلاء؛ كالقاضي بن فهد وولديه، والبرهان بن ظهيرة وغيرهم، حدث قبل موته بسنة بشرح السنة للبعوي بإجازته من بعض شيوخه، وقبل موته بشهر بالشعائل بإجازته من الصالح بن أبي عمر^(٤)، ومن العلماء من عمل بالتحديث إلى جانب وظيفته، ومنهم إبراهيم بن علي محمد بن أبي القاسم فرحون المدني المالكي، الذي ولي قضاء المالكية بالمدينة حتى مات سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، كان ممن تفقه وبرع وصنف

(١) الفاسي: العقد الثمين: (٢٥٤/٣)، المقرري: درر العقود، (٧٣/١)، السخاوي: التحفة الطليقة، (١٣٦/١)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٤٧/١)

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١٣/١)؛ الكلي: الوافي بالوفيات، (٣١/٣).

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، (٣٣٨/٣).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (١٩٥/١)

وجمع وحديث^(١). كما أن اهتمام بعض العلماء بعلم الحديث لم يقتصر على الحصول على الإجازات لأنفسهم؛ بل إن من العلماء من عمل على الحصول على الإجازات لأنبائهم، ومن ذلك محمد بن محمد بن أحمد بن علي، أمين الدين أبو المعالي بن الشيخ قطب الدين بن الشيخ أبي عباس القسطلاني المكي الشافعي، عني به أبوه واستجاز له جماعة من الشيوخ بمكة والشام، ومصر، وبغداد، وأسمعه الكثير على جماعة، وتفرّد بإجازة جده لأبيه، وحديث بها عنه، وإجازة لجده لأمه وسمع على جماعة، وسمع منه الأعيان، وكان شيخ الحديث بالحرم بمكة المكرمة، والمدرسة المظفرية، (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م)^(٢). ومن العلماء من استغل مدة مجاورته في التحديث؛ كالشيخ سعد الله بن عمر بن محمد بن علي سعد الدين أبي السعادات الأسفريني، الصوفي، كان ممن حدث وجاور بمكة المكرمة سنين إلى أن مات بها بعد الحج^(٣). ومن عمل بالتحديث الصالح الحاج بقية المسندين شمس الدين أبو جعفر السلمي المرداسي بن الموازي، الذي جاور مدة بمكة المكرمة، وحديث بالحرم، (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)^(٤)، وكذلك من العلماء من كان يستفيد من موسم الحج لأداء فريضة الحج والتحديث، فممن من كانت تكرر حجّاته ويحدث في كل مرة يحج فيها، ومنهم محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد قاضي القضاة عز الدين أبو عبدالله بن قاضي القضاة تقي الدين المقدسي الحنبلي، الذي سمع الحديث واشتغل وحصل وقرأ الفقه على والده وغيره، وكان له محفوظ في الحديث، حج ثلاث مرات، وحديث في كل حجة منهما، (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)^(٥)، كما عمل البعض من العلماء على قراءة الكتب الكبار في الحديث وتكرار قراءتها، ومنهم الشيخ الإمام المحدث فخر الدين أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزري بمكة، وقد سمع الكثير، وأجازة خلق يزيدون على ألف شيخ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها، وقرأ صحيح البخاري أكثر من ثلاثين مرة، (ت ٧١٣هـ/١٣١٢م)^(٦)، ومحمد بن أحمد بن الضياء القرشي العمري الحنفي العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء، وكان ممن حدث

(١) المقرئ: درر العقود، (٧٥/١)؛ ابن حجر: إنباء الغمر، (٤٨/١)؛ السخاوي: وجيز الكلام، ص ٣٢٦

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٧٨/٢).

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٥٣١/٤)؛ ابن تقي بريدي: المنهل الصافي، (٣٨٦/٥).

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٦٣/٤)؛ الصفدي: أعيان العصر، (٦١٨/٤).

(٥) الصفدي: أعيان العصر، (٤٥٨/٤)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤٤٨/٣).

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، (٦٩/١٤).

بالصحيحين وغيرهما، وألف في الحديث، (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)^(١)، كما أن من العلماء من درس الحديث في أحد الدروس التي أوقفت لهذا الغرض، ومنهم الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بالأميوطي الشافعي، نزيل مكة المكرمة، ولى تدرّس الحديث للأشرف صاحب مصر، (ت ٧٩٠هـ/١٤٢٨م)^(٢)، كما كان من العلماء الذين تولوا التدريس بدروس الحديث فخر الدين عثمان بن يوسف بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم النويري المكي، الذي تردد إلى مكة مرات وجاور بها كرات، وكان ممن ولى بمكة المكرمة تدرّس الحديث لوزير بغداد^(٣)، ودرس به سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، (ت ٧٧٥هـ/١٣٥٤م)^(٤)، وغالباً لم يكن المحدثون يتقاضون أجراً على تعليم وتدرّس علم الحديث، أو مرتباً من الدولة ماعدا الدروس التي أقامها المتبرعون، وكذلك الذين يعينون لقراءة الحديث، أو ما كان يطلق عليه "قارئ الحديث"؛ بل كان جُلّ تعليمهم احتساباً للأجر والثواب، ويدل على ذلك أن عدداً من المشايخ الذين عملوا بالتحديث كانوا يعملون بأعمال أخرى يكسبون بها،^(٥) إلا أنه كان هناك من العلماء من كان يأخذ على التحديث وذلك لفقره وحاجته، ومنهم: إبراهيم محمد بن أبي بكر صديق بن إبراهيم بن يوسف البرهان ابن إسحاق الدمشقي، مُسند مكة، ومُسند الحجاز، ذكر الفاسي: "بأنه كان شديد الحرص على أخذ شيء على التحديث، وأخذ خطة بالإجازة أو التصحيح، وهو معذور في ذلك فإنه كان قد احتاج"^(٦). ومن الأعمال التي اشتغل بها العلماء في الحديث ما كان من قراءة أو ختم^(٧) كتب الحديث على كبار العلماء وخاصة القضاة، ومن ذلك أنه في صبح يوم الاثنين رابع عشرين الشهر سنة ٨٩٦هـ/١٤٤٠م وصل إلى مكة القاضي الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة القرشي وولده وبعض أصهاره وأصحابه محرمات بالعمرة، فلما

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٢٥، ٥٤؛ السخاوي: الضوء اللاحق، (٨٤/٧)؛ البغدادي: هداية العارفين، (١٩٧/٢).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢٥٨/٣)، (٢٦٠).

(٣) وزير بغداد لإسماعيل بن زكريا بن حسن البغدادي، أحد أمراء بغداد، كانت له اليد الطولى في تعمير بغداد، وقد قتل سنة

٨٧٨١هـ/١٣٧٩م. الفاسي: العقد الثمين، (١٣٠/٦)؛ خالد الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٥٥

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٥٦/٦).

(٥) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٣٧؛ راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ٩٣

(٦) الفاسي: العقد الثمين، (٢٥٤/٣)؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٣٦/١)؛ السخاوي: الضوء اللاحق، (١٤٧/١).

(٧) المقصود بالختم: ختم الشيء أتمه وبلغ آخره وفرغ منه فيقال ختم القرآن، أو ختم الكتاب، أو ختم عليه بمعنى أتمه، إبراهيم أنيس: المعجم

طافوا وسعوا هرع الناس للسلام عليه، وشرع في يومه بالقراءة عليه بعد الظهر في البخاري، وبعد العصر في مسلم، وفي اليوم التالي قرئ عليه في تكملة الشفا، وفي صبح الخميس سابع عشري الشهر ختم عليه السنن لابن ماجه، والشفا للقاضي عياض، وفي عصره ختم عليه صحيح مسلم، وفي ظهر الجمعة ختم عليه صحيح البخاري^(١)، وكذا في سنة ٨٩٧هـ/١٩٤١م في يوم الثلاثاء حادي عشري شهر رمضان ختم على قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، النسائي، والشمائل للترمذي. وفي يوم الأحد سادس عشري الشهر ختم عليه -أيضاً- ولده القاضي الخطيب الصلاحي صلاح الدين، البخاري، وفي يوم الاثنين سابع عشري الشهر ختم عليه -أيضاً- صحيح البخاري^(٢). ومن خلال هذا العرض يبدو أن بعض العلماء جعل من هذا مهنة يكسب منها، وخاصة من كان يقد على مدن الحجاز الكبيرة من خارجها كمكة والمدينة؛ إذ إن معظم هؤلاء العلماء كان ينفق ما معه من المال في طريق سفره، وعند وصوله إلى مكة أو المدينة أو غيرها من مدن الحجاز التي بها دور علم يقومون بالقراءة أو الإجازة أو الإسماع لغيرهم مقابل مردود مالي معين يعينهم على تدبير حياتهم اليومية خلال إقامتهم في هذه المدن.

ومن المهن العلمية التي اشتهر بها بعض العلماء تدريس الفقه وأصوله، ومنهم العلامة قطب اليمن وعلامة الشام واليمن الشيخ عمر بن عبد الله السراج الهندي الذي كان عالماً في الفقه وأصوله، مكث أكثر من أربعين سنة يعلم الناس وفقههم، (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)^(٣)، والفقيه أبو العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل، ولد سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، وكان إماماً من أئمة المسلمين، عالماً، صالحاً، ورعاً، زاهداً وكان من العلماء المهتمين بعلم الفقه، ولم يكن في الفقهاء المتأخرين من هو أدق منه نظراً في الفقه، ولا أعرف به منه، وكان كثير الحج إلى مكة المكرمة، وكان إماماً في الفقه، والأصاين، والنحو، واللغة، والحديث، والفرائض^(٤). والفقيه عز الدين عبد السلام الذي تفقه ودرس في الحرم المكي الشريف في موضع أخيه وانتفع به أهل زمانه، توفي والداه سنة إحدى وخمسين وسبعمائة^(٥)، وعز الدين ربحان الطباخي

(١) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/٣٥٦، ٣٥٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٩٨).

(٤) الحزرجي: العقود اللؤلؤية، (١/٢١٨).

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٠٤.

كان حنفياً متفقاً ملازماً للعلماء، كان كثير الحج إلى بيت الله الحرام، (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م)،^(١) وكان من أبرز علماء الفقه بمكة قضاتها فكان منصب القضاء لا يتقلده إلا من يكون متقناً لعلم الفقه^(٢)، وكان بعضهم -أيضاً- يمتحن مهنة تدريس الفقه وأصوله إلى جانب عمله بالقضاء. ويبدو للباحث أنهم كانوا يُدرسون الفقه وأصوله في المدارس الخاصة أو حلق العلم التي يشرف عليها ويمولها الموسرون، ومنها ما كان يعقد في مجالس الأثرياء، وكذلك المساجد وغيرها، وهو تقليد يشبه - إلى حد كبير- ما يعرف في وقتنا الحاضر بالدروس الخصوصية. ومن القضاة الذين درسوا الفقه القاضي جمال الدين محمد بن عبدالله بن ظهيرة، (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٣)، فقد درس على يديه عدد من طلبة العلم، ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الفخر بن الجمال الذروي الأصل المكي الشافعي، الذي اشتغل بالفقه والتجوة، وكثرت عنايته بالأدب، وكان ذا معرفة به وبغيره، (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)^(٤). ومن العلماء من الذين صنفوا في الفقه إبراهيم بن علي بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبدالله البيضاوي المكي الشافعي، الشهير بالزمزمي، الذي صنف في علم الميقات، والفرائض^(٥)، وكان له نظم، (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٦)، وكان لهم إلى جانب ذلك دروس عامة وخاصة في هذا المجال، ويبدو أنهم كانوا يكتسبون منها.

ومن الحرف العلمية التي عمل بها العلماء مهنة الوعظ والإرشاد، ومن العلماء الذين عملوا بها شمس الدين محمد بن قاسم بن علي بن محمد المصري السيوطي المالكي الشاذلي، الواعظ، ولد سنة تسعين بسبوط، نزل مكة المشرفة قدم

(١) ابن فرحون: تصحيح المشاور، ص ٥٥

(٢) عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية، ص ٢٤١

(٣) القاسي: العقد الثمين، (٢/٥٣): السخاوي: الضوء اللامع، (٨/٩٢).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (١١/٧٤).

(٥) علم الفرائض هو علم بقواعد وحجرات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث بعد معرفته، وموضوعها التركة والوارث؛ لأن الفرضي يبحث عن التركة ومستحقها بطريق الإرث من حيث إنها تصرف إليه إرثاً بقواعد معينة شرعية، ومن جهة قدر ما يحرز ويتبعها مغلقات التركة، حاجبي خليفة: كشف الظنون، (٢/١٢٤٤).

(٦) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٤٥

(٧) سبوط: كورة بصعيد مصر، الحموي: معجم البلدان، (٣/٣٠١).

مكة وتأهل بها، (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)، الذي وعظ بالمسجد الحرام،^(١) ومسعود بن أحمد بن نور الدين العجمي، واعظ مكة، كما ذكر عنه بأنه هو واعظ الحرمين، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)^(٢). ومن العلماء من وعظ خلال الحج والمجاورة، ومنهم عبدالله بن عبد الرحمن بن أحمد أبو أحمد الغمري، ثم القاهري الشافعي، كان ممن أخذ على جماعة من العلماء، وتعالى الوعظ والتذكير، حج غير مرة وجاور مراراً، ووعظ هناك، وكذا جاور بطيبة^(٣)، ومحمد بن محمد بن علي الكاشغري، فقيه صوفي وواعظ، (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٦م)^(٤)، ومحمد بن قاسم بن محمد بن علي الشمس السيوطي المصري المالكي الشاذلي، الواعظ، يعرف بابن قاسم، نزيل مكة، (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)^(٥)، وكذلك من الوعاظ من كان له شهرة بين الناس وإقبال عليه، ومنهم زين الدين عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الكرم بن سليمان الحنبلي، الذي تصدى للوعظ فبرع في تفسير كتاب الله، وجاور بمكة مرتين، ووعظ بها في البيت الحرام، وكان يزدحم الحلق عليه هناك، (ت ٨٤٤هـ/١٤٦١م)^(٦)، والشيخ أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد المقدسي الواعظ، كان يفتي ويُدرّس للناس على كرسي له، كان مجاوراً بمكة سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م.^(٧) والذي يجدر توضيحه هنا أن من العلماء من امتن الوعظ والإرشاد وجعله جزءاً من نشاطه، وعليه فلا تستبعد الباحثة أن بعضهم تكسب من ذلك من خلال إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد أو أماكن خاصة أعدت لذلك أو خلال المناسبات العامة، ولا تستبعد أن تكون مصادر عدة للصرف على مجالس الوعظ والإرشاد هذه؛ إما من جهات رسمية حاكمة، أو من أهل الصلاح من الموسرين وعلمية الناس ممن يهتم بهذا الأمر بأن يخصص لهؤلاء الوعاظ والمرشدين رواتب معلومة، أو يجعل لهم مكافآت تدفع لهم نظير إقامتهم دروس الوعظ على الناس؛ ناهيك عما كان

(١) التجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٦١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٨٦/٨).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (١٨٠/٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٣/٥).

(٤) كحالة: معجم المؤلفين، (٦٦١/٣).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٨٦/٨).

(٦) المقرئ: درر العقود، (٢٥٧/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨٢/٤).

(٧) التجم بن فهد: إتحاف الوري، (١٧٢/٤)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣٦٣/١).

يصرف على هؤلاء الوعاظ والمرشدين من ريع الأوقاف التي خصص ريعها للصرف على الأنشطة الخيرية وخاصة بمدن الحجاز الكبرى^(١).

ومن المهن الاجتماعية التي عمل بها بعض علماء الحجاز مهنة الميعاد، ومن عمل بها منهم محمد الأنصاري القصيري التونسي، حج سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وأقام بالمدينة من سنة عشرين، وأقرأ بها القراءات والنحو وغير ذلك، وكان يعمل المواعيد ويصدع بالحق فأخرج من تونس فأقام بالمدينة يعمل المواعيد كل جمعة، (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)^(٢)، ومن العلماء من عمل ميعاداً في الحرم، وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله التونسي المالكي، المعروف بالمرجاني، الذي أقام بمكة سنين، وسمع بها، وكان يعمل ميعاداً بالحرم، (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٣). ومن العلماء الذين عملوا الميعاد في مكة المكرمة إلى جانب الاشتغال بالعلم شمس الدين محمد بن عبد الرحيم بن أحمد، ولد سنة إحدى أو اثنين وسبعين وسبعائة، الذي دخل مكة وحصل له بها قبول تام، وعمل بها عدة مواعيد، وأقرأ الحديث، واشتغل بالعلم^(٤). والذي يمكن أن نضيفه هنا - أن ما كان يعرف بالميعاد هو لقاء كان يدعى إليه نخبة من العلماء، وذلك في مكان أشبه بالمنديات تلقى فيه الدروس أو الأمسيات العلمية. ويبدو للباحث أنه يشبه - إلى حد كبير - النوادي الأدبية الثقافية في وقتنا الحاضر، وكذلك بعض اللقاءات الأسبوعية التي تعقد في منازل العلماء وبالذات الأدباء منهم. ويبدو للباحث أيضاً - أن بعض العلماء خلال حقبة الدراسة كان يتقاضى بعض العوائد والمكافآت المادية والعينية التي تدفع ل هؤلاء العلماء مقابل المشاركة في تلك المواعيد على اختلاف تخصصاتها.

ومن المهن العلمية مهنة المادح، ومن العلماء الذين عملوا بها إلى جانب الاشتغال بالعلم الحسين بن الحسين بن قاسم، الرضي القطان، كان مؤذناً بصوت حسن بالمدينة، ويمدح جيداً^(٥)، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس

(١) للوقوف على الأوقاف التي كان ريعها يصرف على الحرمين الشريفين، انظر أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ١١٠، ١٢٣.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٣١٩).

(٣) القاسي: العقد الثمين، (٣/١٤٦).

(٤) ابن شهية: طبقات الشافعية، (٤/١٣٤).

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/٥٠٥).

المسوفي، ولد سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، قدم المدينة مع والده وهو ابن السنتين أو ثلاثاً فقراً القرآن بها، وصار مادح الحرم، واشتغل بالعلم، وقال السخاوي: لما كنت هناك سمع مني.^(١)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٧٩/٨).

المبحث الخامس: حرفة الطب:

ومن المهن العلمية التي عمل وتكسب بها العلماء في الحجاز مهنة الطب، وكان العلماء الذين اشتهروا بالطب غالباً من المجاورين والوافدين، الذين عملوا بالطب في مكة والمدينة وغيرها من مدن الحجاز، على مراتب منهم من تولى مشيخة البيمارستان، ومنهم شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن علي المقدسي، الشهير بالرباطي، نزيل مكة الذي تولى مشيخة البيمارستان المستنصري بمكة^(١)، (ت ٨٣٤هـ/١٤٣٠م)^(٢)، وكذا الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم بن محمد الكردي، نزيل الحرمين، ولى مشيخة البيمارستان بمكة المشرفة في سنة أربعين وثمانمائة، وجدد أوقافه، (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)^(٣)، وكان برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مصلح بن إبراهيم العراقي الأصل المكي المولد والدار الشافعي، وكان ممن تولى نظار البيمارستان بمكة المشرفة، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٤)، ومنهم من عمل مجبراً كابي الحسن علي بن مسعود بن فيروز البغدادي، نزيل مكة المكرمة، كان ممن سمع على عدد من العلماء ولم يحدث، (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م)^(٥)، وكذلك محمد بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني المكي، رئيس المؤذنين بالحرم المكي، (ت ٧٧٧هـ/١٣٨٥م)^(٦)، ومن الذين درسوا الطب ببيمارستان مكة الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالله بن

(١) البيمارستان المستنصري بمكة تقع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام قرب باب الزبارة، وهو من تعمیر ووقف الخليفة العباسي المستنصر بالله، وقد وقفه سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، كما قام بتعميره الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة، وزاد فيه على ما كان عليه أولاً إيوانين أحدهما في جهته الشمالية والآخر في جهته الغربية، وأحدث فيه صهريجاً ورواقاً فوق الإيوانين اللذين أحدهما فوق الإيوان الشرقي الذي كان فيه من قبل وجدد هو عمارته، وأدخل فيه البئر التي كان يستقي منها للمباضة الصرغتمشية، ووقف جميع ما بناء وما يستحق منافع المدة التي يستحقها على الضعف والجاني، ووقف عليه منافع الدار المعروفة بدار الإمارة عند باب بني شيبه، أحمد بك: تاريخ البيمارستانات، ص ٢٦١.

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٣١؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٢/٩).

(٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٧٠/١).

(٤) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٦٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٦٦/١).

(٥) القاسي: العقد الثمين، (٢٦٨/٦).

(٦) القاسي: العقد الثمين، (٧٠/٢)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤٧٨/٣).

أحمد، الذي ولد سنة ٧٤٥/١٣٤٤م^(١)، وورد في المصادر أسماء الكثير من الأطباء الجاوريين الذين كان لهم معرفة بالطب، وكانوا يعالجون المرضى ويقدمون الدواء لهم، وانتفع بهم الناس، ولم تذكر ارتباطهم بالبيمارستان، ومنهم الفقيه أبو بكر بن يوسف المكي الحنفي الذي كان فقيهاً جليل القدر، عالماً، نحوياً، كان عارفاً بالطب، (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)^(٢)، ومحمد بن عبدالله الحضري، نزيل مكة، كان يتعاني الطب، والكيمياء، والنحو، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)^(٣)، وأبو عثمان الحكيم المغربي سعيد بن عبد الله بن محمد الزواوي، جاور بمكة ستين سنة حتى مات بها أوائل المائة الثامنة، كان عارفاً بالطب^(٤)، والشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن أحمد بن محمد الكردي ثم المقدسي، نزيل مكة المكرمة، يعرف بابن الكردية، كان ممن سمع بمكة وبيت المقدس على عدد كبير من العلماء، وأجاز له جماعة، له معرفة بالطب، (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٥)، ونجم الدين محمد بن أبي البركات محمد بن أحمد بن الزين القسطلاني، ولد سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، واشتغل وتعالى الرمل^(٦)، والطب، مات قبيل التسعين^(٧)، ومحمد بن عبدالله بن محمد الكازروني الأصل الشيرازي، نزيل مكة، كان له يد في الطب والمنطق^(٨) والفلسفة، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٩).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٢٩٠).

(٢) الحزرجي: العقود الثمانية، (١/١٧٩)؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٦٧.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٣٤٦)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٢١).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٨/٧١)؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٨٧.

(٥) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٢٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٢١٩).

(٦) علم الرمل هو علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل، وهي اثني عشر شكلاً على عدد البروج، وأكثر مسائل هذا الفن أمور تخمينية مبنية على التجارب، حاجي خليفة: كشف الظنون، (١/٤٩٦).

(٧) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٩٨.

(٨) علم المنطق يسمى علم الميزان أيضاً، وهو علم يعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية والتصديقية من معلوماتها، وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الإحصال إلى المجهول أو النفع فيه، والغرض منه ومنفعته ظاهرتان؛ لكونه حاكماً على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف، حاجي خليفة: كشف الظنون، (٢/٤٦١).

(٩) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٨٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١١٤).

ومن العلماء الذين عملوا بالطب وألقوا فيه الشيخ غياث الدين أبو المعالي بن الفضل عز الدين محمد بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن أبي بكر الشيرازي الأبرقوهي^(١)، المعروف بالكبي، وأقام بمكة ثلاثين سنة على طريقة حميدة حتى مات بها سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، كان ممن عرف بالطب وألف فيه، واشتفع به الناس كثيراً، وكان يحسن إليهم بما يحتاجونه من الأدوية^(٢).

وهكذا نرى أن هؤلاء الأطباء كانوا جميعاً من المجاورين، ولم يعرف طوال هذا العصر إلا إثنان من أهل مكة هما: محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد شمس الدين بن الصغير، الطبيب بالبيمارستان المستنصري الذي حفظ "الموجز لابن النفيس" وشرحه، (ت ٨٢٣/١٤٢٠م)؛ ومحمد بن أبي البركات محمد بن أحمد بن الزين القسطلاني، الذي اشتغل وتعالى الطب، وسافر إلى الهند، وحصل له هناك فيها قبول بالطب، (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م).^(٣)

والذي يمكن تأكيده - هنا - هو أن مهنة الطب كانت إحدى المهن التي عمل بها العلماء من الحجاز وخاصة الأطباء منهم، وهي من أفضل المهن وأجلها التي كان يكتسب منها الأطباء. والذي يبدو للباحث من نص وقفت عليه عند ابن عماد الحنبلي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي جاء فيه أن ابن سينا كان يعالج مرضاه "تأدياً وليس تكتسباً"^(٤) أن مهنة الطب كانت من المهن التي كان يستزق منها الأطباء والصيادلة وغيرهم؛ ولكن الكسب المادي لم يكن أكبر همهم؛ بل من الأطباء من كان يمتنع عن أخذ مقابل مادي، ومنهم لطف الله بن يعقوب بن إسماعيل الهمداني، نزيل مكة المكرمة الذي عالج الكثير من المرضى بمكة، وكان يمتنع عن أخذ المال مقابل ذلك، وذكر السخاوي أنه عالج أخاه أثناء إقامته بمكة، كما درس الطلبة في الكثير من الفنون.^(٥)

(١) أبرقة بلد مشهور بأرض فارس من كورة اصطخر قرب يزد، وذكر الإصطخري أن أبرقة آخر حدود فارس، بينها وبين يزد ثلاثة فراسخ أو أربعة، الحموي: معجم البلدان، (١/٦٩).

(٢) المقرئ: درر العقود الفريدة، (٣/١٥٤)؛ الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٠٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/١٣).

(٣) الجابري: الحياة العلمية، ص ٥٦٩.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، (٣/٢٣٤).

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٢٣٣)؛ الجابري: الحياة العلمية، ص ٥٦٩.

من خلال العرض لمهن العلماء وحرفهم في الحجاز خلال العصر المملوكي يتبين أن العلماء مارسوا العديد من المهن والحرف إلى جانب مواصلة نشاطهم العلمي، وأن من المهن والحرف التي مارسها العلماء ما كان داعماً لنشاطهم العلمي فأفادوا فيها واستفادوا؛ مثل: حرفة الوراقة. هذا وقد عمل كثير من العلماء بالعديد من المهن والحرف؛ لكن كانت النسبة الأكبر من المهن والحرف التي عمل بها العلماء هي المهن المتعلقة بالجال العلمي؛ ولعل ذلك لقرنها أو تعلقها بميولهم العلمية، فيجمع العلماء بين الحرف والوظائف، ومنهم من جمع بين أكثر من حرفة، وبلغ من ارتباطهم بالمهنة أو الحرفة أن من العلماء من أصبح ينسب أو يشتهر باسم حرفته، أو مهنته، أو حرفة والده أو جده؛ فيعرف بالعطار أو النجار وهكذا. وختاماً فإن واقع الحياة وظروف المعاش كانت تحتم على معظم العلماء - وخاصة من لم يتيسر له العمل في الوظائف الرسمية - العمل في مهن متعددة لكسب قوتهم وقوت عيالهم، وتأمين حياة كريمة لهم.

الفصل الرابع

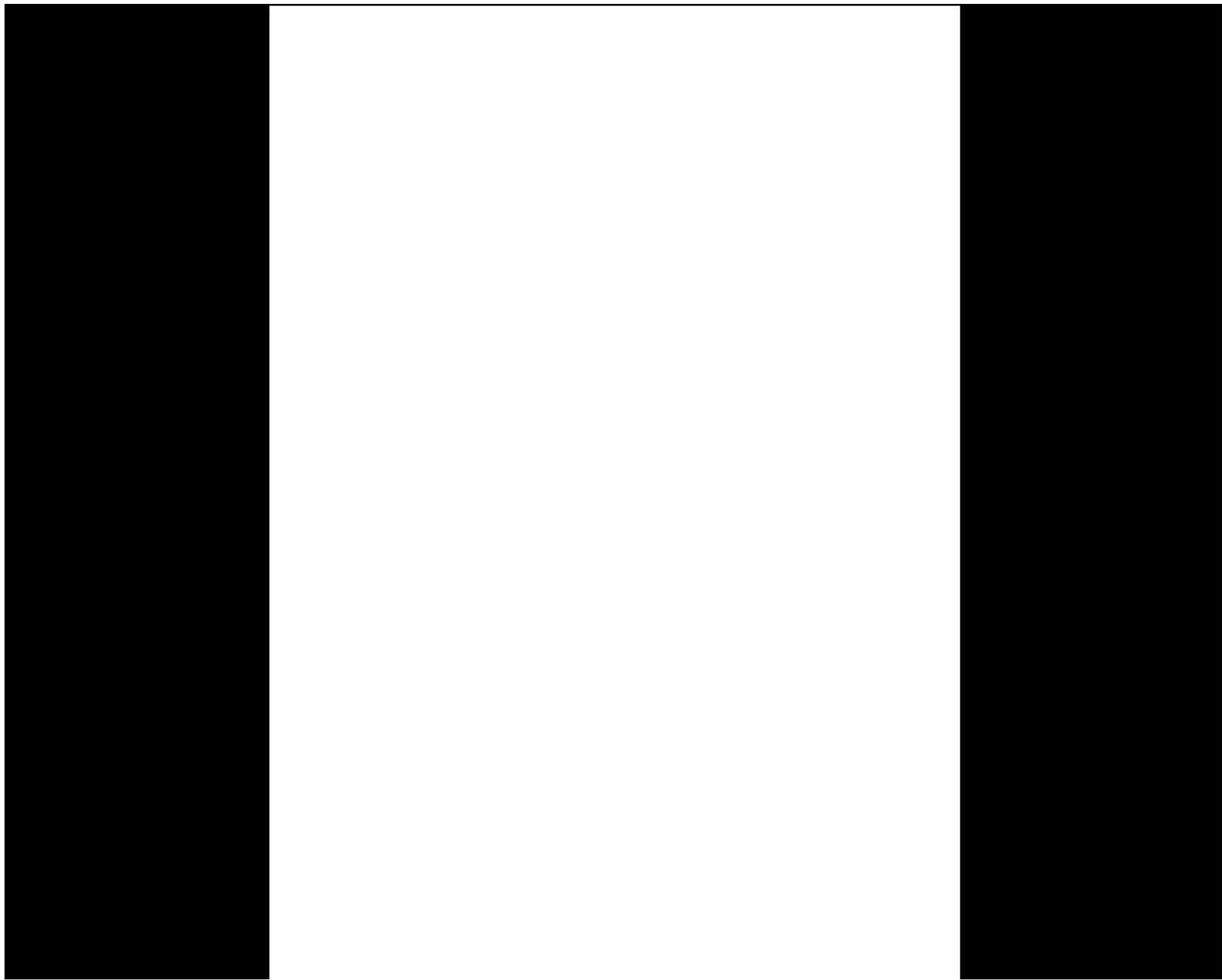
أثر وظائف العلماء ومهنتهم وحرفهم على الحياة العامة

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية.

المبحث الثالث: الآثار العلمية.

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية.



بينها وبين الوظائف الإدارية^(١) وكذلك الحال بالنسبة لبعض أصحاب الوظائف العسكرية فمنهم من قدّم خدمات متعلقة بالحرمين، مثل شاد العمائر الذي يأتي للحرمين قبل موسم الحج ويقوم بالإصلاحات اللازمة للحرم من عمارة وترميم ما يحتاج إلى ذلك^(٢) كما أن من العلماء من جمع بين الوظائف العسكرية والوظائف الدينية؛ كالجمع بين وظيفة الحسبة وامرة الراكر^(٣) كما عمل بعض العلماء بالعديد من المهن ذات الطابع الديني منها مهنة الوعظ بالحرمين الشريفين، وأطلق على بعضهم واعظ الحرمين^(٤) ومنهم عمل المواعيد بالحرم^(٥) ومن العلماء من عمل محدثاً، وبعضهم حدّث بالحرم^(٦) أو درس في أحد الدروس الخاصة بالحديث، ومن العلماء من امتهن الإقراء^(٧)، كما أسهم هؤلاء العلماء في تأصيل المذهب السني من خلال مهنة التدريس سواء في الحرمين أو المدارس، فكان التدريس على المذاهب الأربعة، ويغلب على المواد التي كانت تدرس في الحرمين أو المدارس، التعليم الديني، فأكثر ما يدرس فيها الحديث والفقه على المذاهب الأربعة^(٨) كما جمع بعض العلماء العاملين بالحرف والمهن إلى جانب عملهم العمل ببعض الوظائف الدينية، فمنهم من عمل بالإمامة بمقام الحنفية، ومهنة الإعادة وقاموا بهذه الوظائف خير قيام^(٩) ومنهم عمل بوظيفة الأذان ومعها التأديب، وكانت لهم بصمة واضحة في التربية الدينية الصحيحة، وكذلك تنشئة النشأة الصالحة^(١٠).

ومن الأثر الديني للعلماء على الحياة العامة جهود العلماء ودورهم في محاربة البدع، ومنها إزالة البدعة التي كانت بالكعبة المشرفة التي يقال لها: العروة الوثقى وذلك سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، وماهية هذه البدعة "أن الفجرة المحتالين عمدوا

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين، (١/٦٥٨)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٤/١٠)؛ محمد الحيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٢٦.

(٢) حسن مقابلة: الرسولين والماليك في الحجاز، ص ٧٥.

(٣) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٤٨٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٩٣).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٧/١٨٠).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٤٦).

(٦) الصفدي: أعيان العصر، (٤/٦١٨).

(٧) المقرئ: درر العقود، (٢/٢٥٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٧٦)، (٤/٥٩)، (١٠/٧٦).

(٨) محمد الطاسان: التعليم في مكة، ص ٣٢.

(٩) ابن حجر: إنباء الغمر، (٢/٤٧٨).

(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١١٨).

إلى موضع عال من جدار البيت المقابل لباب البيت فسموه العروة الوثقى، وزعموا أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى، فأخرجوا الناس إلى أن يقاسوا في الوصول إليها أشده، وأن يركب بعضهم فوق بعض، فيلحقهم بذلك أنواع من الضرر"، وأزيلت هذه البدعة على يد صاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي بن حنا^(١)، وذلك لما قدم إلى مكة في أثناء هذه السنة فرأى هذه البدعة فأمر بقلع ذلك المثل وأزيلت تلك البدعة، والبدعة الأخرى التي أحدثوها في البيت أنه كان في وسط البيت مسماراً سموه سرّة الدنيا، وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار؛ فكان زوال بدعة العروة الوثقى سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، ولم يذكر زوال هذه البدعة متى كان.^(٢) ومن العلماء الذين أنكروا بعض البدع، وكان لهم أكبر الأثر في إزالتها ما قام به الأمير تغري برمش التركماني^(٣) في سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م من منع المؤذنين من المدائح النبوية وغيرها في المنائر ليلاً، ومنع المذاحين من إنشاد ذلك في الأوقات التي كانت العادة للناس بكثرة الاجتماع فيها بالمسجد الحرام، ومنع من إيقاد المشاعل بالمقامات التي بالمسجد الحرام في الأوقات التي جرت العادة بها في العشر الأخيرة من رمضان، وليلة العيد، وليلة هلال شهر رجب، وليلة هلال شهر ربيع الأول وغيرها؛ لما يحصل فيها للمصلين والطائفين من كثرة اجتماع الرجال والنساء لسماع الخطب ورؤية الوقيد، وذلك بعد أن وافقه على ذلك جماعة من الفقهاء بمكة المكرمة، وكتبوا له خطوطهم بذلك، وكتب له يمثل ذلك غيرهم من علماء القاهرة^(٤) كما حصل على إذن من السلطنة المملوكية في القاهرة حيث وصله مرسوم يتضمن الإذن له في إنكار المنكرات المجمع عليها، وأن يعينه على ذلك الحكام.^(٥)

(١) القاضي زين الدين أحمد بن صاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا، كان قتيلاً، فاضاً، سدياً، توفي سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، ابن تغري بردية النجم الزاهرة، (٢١٥/٨)، ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٨٣/١).

(٢) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (١٣٢/٣)؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٦٦؛ لم نشر المصادر التي تم الإطلاع عليها إلى تاريخ إزالة هذه البدعة.

(٣) تغري برمش بن يوسف التركماني الحنفي، نزيل القاهرة والحرمين، يلقب زين الدين، وكني بأبي الحاسن، عني بفنون العلم، وأخذ عن جماعة من العلماء، وكان يتعصب للحنفية مع محبة أهل الحديث والتبوية بهم، والتعصب لأهل السنة، وأكثر الخط على ابن العربي ونحوه من متصوفي الفلاسفة، ومبالغته في ذلك، وصار يحرق ما يقدر عليه من كتبه، استأذن المؤيد في الحج والجاورة، فسافر لمكة وأقام بها من سنة سبع عشرة إلى أن مات، القاضي: العقد الثمين، (٣٨٨/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣١/٣).

(٤) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٥٢٧/٣).

(٥) القاضي: العقد الثمين، (٣٨٨/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣١/٣).

وسين من خلال هذا المرسوم عناية السلاطين المعاليك بالحرمين الشريفين وإزالة البدع والمنكرات، ودعمهم للعلماء في ذلك؛ مما يقوي من مكانة العلماء ويساعدهم في القضاء على البدع، كما حظي العلماء بتأييد بعض حكام مكة المكرمة في إنكارهم للبدع من ذلك ما كان في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م عندما سعى بعض الناس عند بعض حكام مكة من جهة الدولة في الإذن بأن توقد المشاعل، ويمدح على المنائر ليلة هلال رجب وفعل ذلك، ولما علم تغري خرج لمنع ذلك، ولم يكن يعلم بموافقة الحاكم وناله أذى كثير، وكان ذلك في غيبة صاحب مكة عنها، فلما حضر إليها أنكر على من أمر بذلك أو أشار به، وأمر باتباع تغري برمش.^(١)

ومن البدع التي أحدثت بالمدينة المنورة التي أزيلت على يد القاضي شرف الدين الأميوطي، والشيخ ظهير الدين، ما ذكره ابن فرحون " أنه كان في وسط المسجد النبوي سقاية يحمل إليها الماء من العين، بناها شيخ الخدام في ذلك الوقت، وأوقف عليها أوقافاً من ماله، وجعل في وسطها مصرفاً للماء مرخماً، ونصب فيها مواجير للماء وأزباراً، ودوارق، وأكواباً، وجعل لها غلقاً من حديد، واستمرت سنين عديدة، فكثر الشر والتراحم عنها، وصار يدخلها من بوضاً فيها، وربما يزيل عنه الأذى فيها، ثم تعدى الحال في شرها أن تضرب عليها بالسلاح، فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها أزيلت عن اجتماع القاضي شرف الدين والشيخ ظهير الدين.^(٢)

وكذا من البدع التي كانت بالمدينة المنورة وتمكن العلماء ومنهم السعدي من القضاء عليها بمعاونة ودعم من السلطان قايتباي؛ ما ذكره السعدي عن بدعة طابق إحدى الدور الجاور للحجرة النبوية؛ حيث كان يجلس عند الطابق الذي كان يوصل إليه من خوخة آل عمر^(٣) بالمسجد النبوي شخص ليس من ذرية آل عمر؛ لأن من كان يدهم من آل

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٥٥١).

(٢) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢١.

(٣) خوخة آل عمر: هي التي يوصل إليها من الطابق الذي بالرواق الثاني من أروقة القبلة، وهو الرواق الذي يقف فيه الناس للزيارة أمام الوجه الشريف، فبعد أن زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد النبوي لم يزد فيه علي، ولا معاوية رضي الله عنهما، حتى كان عهد الوليد بن عبد الملك الذي بحث إلى عمر بن عبد العزيز عامله على مكة والمدينة بمال لبساع بيت حفصة من آل عمر، فقالوا ما نبيعه بشيء فقال: إذا أدخله في المسجد، قالوا أنت وذلك، فأما طريقنا لا تقطعها، فهدم البيت، وأعطاهم الطريق ووسع لهم، أنت وذلك، كما ذكر في رواية أخرى لابن زبالة، أن الأصل في ذلك لما احتج لدار حفصة - يعني حجرتها - وذلك في التوسعة للمسجد النبوي في عهد الوليد، قالت: كيف =

عمر قد اقترضوا، فاستمر المفتاح بيده، فيستنيب من يجلس عند هذا الطابق ويفتحه أيام الموسم، ويقف عنده جماعة يزورون الحجاج، ويأخذون من الداخلين منه شيئاً شبيهاً بالمكس، فكان الجالس عنده لا يمكن أحداً من الدخول إلا ببذل شيء برضيه، وقد اشتهر هذا الأمر عند أهل المدينة فلم يكن أحداً ينكره، وكان ذلك أمر يشق على الحجاج والزوار الذين ربما لم يكن معهم شيء، فينجشمن المشقة في الوصول إلى ذلك، إلى جانب ما كان يقع في أسفل هذا الطابق من الازدحام واختلاط الرجال بالنساء مالا يوصف مع ضيقه حتى أن الماشي فيه يحتاج إلى الإخفاء، وذكر السهودي بأنه لا يزال ينكر ذلك الأمر بالقلب واللسان وكتابة البنان، ولم يجد في ذلك معيناً، حتى شافه في أمره السلطان الملك الأشرف قايتباي لما حج سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وذلك لما بدأ السلطان بالزيارة للمدينة النبوية، فأنهى إليه السهودي أمر الطابق، فأمر السلطان بسده وما كان يجتمع لمن معه المفتاح في كل سنة، وهو نحو عشرة دنانير أن السلطان سيعوضه عنها، ثم توجه السلطان بعد ذلك إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فلما قابل السهودي السلطان سأله عن أمر الطابق المذكور، وأمر بألا يفتح وأن يسد بعد ذلك، فلما بلغ ذلك شيخ الخدام بالمدينة الشريفة منع من فتحه عند قدوم الحاج المصري في ذلك العام؛ ولكن بقي سده وقد وعد بسده، فلما رجع السلطان لمصر، فإن من كان بيده الطابق توجه إليه بمصر وسأل أن يمكن من فتحه، فلم يجبه إلى ذلك، وقرر له بضعة عشر ديناراً كل سنة عوضاً عما كان يحصل له منه، ثم وردت المراسيم الشريفة بالإخبار بذلك والأمر بسده وشق ذلك الأمر على البعض، فلما قدم السهودي مصر عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م أنهى للسلطان بأن الطابق لم يسد، وخشي من أن يغضب السلطان على بعض الناس؛ فاعتذر بأن موجب التأخير هو وفاة شيخ الحرم^(١)، فأصدرت المراسيم الشريفة لشيخ الحرم ومولى العمارة الشمس بن الزمن بسده بالبناء بحيث لا يفتح أبداً، وكان المعاكس لذلك استعمال مولى العمارة إليه، وكان هذا الطابق قد احترق بعد أمر السلطان بسده سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وأثرت النار في قبوه تأثيراً عظيماً، فأعاد مولى العمارة وأحكمه وجعل له باباً، فلما وردت عليه المراسيم الشريفة أجاب بأنه يراجع السلطان؛ لأن تلك الدور صارت له، فلما أنهى شيخ الحرم ذلك إلى السلطان أصدر المراسيم بسده، واللوم على تأخيره مع تكرار الأمر لذلك، فأمر مولى العمارة بتأخير ذلك حتى يراجع السلطان فيه،

=

بطريقي إلى المسجد، فقبل لها تعطيك أوسع من بيتك، ونجعل لك طريقاً مثل طريقك، فأعطيت دار عبيدالله التي صارت إليه بعد حفصة رضي الله عنها، بن عمران زبالة: أخبار المدينة، ص ١١٠، السهودي: وفاة الوفاء، (١/٢٢٧).

(١) السهودي: وفاة الوفاء، (١/٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)؛ النهرواني: الأعلام، ص ٢٥٠.

فغضب السلطان غضباً شديداً، وأصدر مرسوماً يسده والوعيد التام على تأخيرته، فسده شيخ الحرم بالبناء المحكم من خارج المسجد، ونزع باب طابقه، وردمه بالأثربة حتى ساوى أرض المسجد، ولم يبق له أثر وذلك في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م.^(١)

وكذلك من البدع التي كان للعلماء دورٌ في محاولة القضاء عليها بدعة تعدد الأئمة، وتجلّى دور العلماء في مواجهة هذه البدعة بإصدار الفتاوى بتحريم ذلك والمنع منه؛ فقد أنكر العلماء صلاة أئمة متعددة في مسجد واحد، فإن صلوا مرتين في وقت واحد حرم لما فيه من التشويش على المصلين، وإذا توتبوا بأن يصلي أحدهم وإذا انتهى صلى الآخر وهكذا فهذا مكروه، وقد أفتى بمنع الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مترتبة في المسجد الحرام جمع من العلماء كالإمام إسحاق الغساني المالكي، وكان مذهب الإمام أحمد المنع من إقامة صلاة واحدة بجماعتين في المسجد الحرام، كما أن مذهب الإمام الشافعي ومالك وأبي حنيفة منع إقامة صلاة بإمامين في مسجد واحد، وذكر جماعة من علماء المالكية والحنفية أنهم أنكروا صلاة الأئمة الأربعة في المسجد الحرام على هذه الصفة، وأن المنع من ذلك هو مذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، وما منع من ذلك إلا أنه مخالف لما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والسلف الصالح، كما أن فيه من التشويش على المصلين، وما تسبب من الفرقة والعدا بين المسلمين نتيجة لتعصب كلٍ منهم لمذهب دون غيره^(٢)؛ فضلاً عن أن المراسيم التي كانت تصدر من السلطان المملوكي فيما يتعلق بتعدد الأئمة في صلاة المغرب كالمرسوم الذي الصادر عن السلطان الناصر فرج عام ٨١١هـ/١٤٠٨م بمنع تعدد الأئمة في صلاة المغرب، كانت بجهود وسعي من العلماء لما في هذا التعدد في من إلحاق الضرر بالمصلين من التشويش واللبس عليهم في صلاتهم.^(٣)

ومن البدع أيضاً - بدعة الطواف بالميت حول البيت سبعا، فقد كانت من الأمور المبتدعة السائدة في العصر المملوكي، وكان يصاحب الطواف بالميت ذكر لحاسن الميت وأوصافه يقوم به المؤذن من على قبة زمزم، وكان هذا الأمر خاصاً بعلية القوم من الأمراء وبعض العلماء، وكان العلماء على علم بعدم صحة هذا العمل؛ ولكنهم اعتادوا أن يفعل ذلك بعلية القوم فسكت عنه، وبدل على ذلك ما ذكر عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م عندما توفي الشيخ سليمان بن خليل العسقلاني إمام

(١) السهودي: وفاة الوفاء، (١/٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) علي محفوظ: الإبداع في مضار الابتداع، ص ١٥٤؛ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ٢٠.

(٣) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٤٦٦).

مقام إبراهيم وخطيب المسجد الحرام، فطيف به حول الكعبة قبل أن يصلى عليه، وكان حاضراً الشيخ أبو العباس الميودقي فسأل ابن أخي الشيخ سليمان الفقيه محمد بن عمر عن دليل شرعي في الطواف بالميت؛ فأجابه بأن العادة جرت للأشراف من البيت الحاكم ومن عظم قدره من الناس، ولهذا هم يقومون به تقليداً. ومن العلماء من أنكروا ذلك كابن الضياء الحنفي الذي قال^(١): "وما يفعله الأشراف في زماننا من الطواف بالميت سبباً حول الكعبة فبدعة شنيعة لم تنقل عن السلف، ويجب على ولاة الأمر إزالتها"^(٢)، واستمر الناس على هذا التقليد حيث ذكر الفاسي أن هذه البدعة ظلت مستمرة إلى عصره، كما ذكر أنه عندما توفي الشريف قايتباي بن محمد بن بركات سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م طيف به حول الكعبة^(٣)، وذكر السنجاري "وقد زالت هذه البدعة ولله الحمد ولا أعلم متى زالت"^(٤).

وكما عمل العلماء على محاربة البدع إلا أن طائفة من القضاة والأئمة لم تنكر بعض الأمور المبتدعة؛ بل قد شاركت في بعض البدع، ولعل ذلك يعود إلى أنها أصبحت من ضمن المناسبات الدينية التي اعتاد الناس على الاحتفال بها وشاركوهم في ذلك، ومنها قراءة الرِّبَعات التي كانت تقرأ - عادة - على الأموات من الأمراء والتجار والأعيان^(٥)، ومن

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن علي بن إسماعيل البهاء، أبو البقاء بن الشهاب أبي العباس وأبي الخير بن الضياء أبي عبدالله بن العز العمري الصاغانى الأصل المكي الحنفي، ولد سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، سمع على جماعة، كان إماماً علامة مقدماً في الفقه والأصول والعربية، مشاركاً في فنون، حسن الكتابة والتقييد، عظيم الرغبة في المطالعة، ناب في القضاء بمكة المكرمة عن أبيه، ثم استقل به بعده، ثم أضيف إليه نظر الحرم والحسبة فسار فيها أحسن سيرة، المقرئ: درر العقود، (٣/٣٥٩)، السخاوي: الضوء اللامع، (٨٤/٧).

(٢) السنجاري: مناقب الكرم، (٣/٢٤٦)؛ رائد بن أبي علفة: معجم البدع، ص ١٤٢.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٤/٦٠٣)؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٤) السنجاري: مناقب الكرم، (٣/٢٤٦).

(٥) الرِّبَعات: من العادات السيئة التي كانت منتشرة في تلك الفترة قراءة الرِّبَعات، والمراد بها قراءة أجزاء من القرآن، تقرأ بعد دفن الميت في المسجد الحرام، وفي المعلاة على قبر الميت حتى يحتم القرآن، وكان يصلى على أبناء المسلمين المشهورين من أبناء الملوك في بلاد العالم، ويعمل لهم ربة بالمسجد الحرام يحضرها القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم من الناس. العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/١٨٧)، وقراءة الخُتمات التي يعملونها للأموات، ويجمع لها القراء ويفرقون على بعضهم أجزاء (الرِّبَعة) المصحف، ثم يستنحون القراءة ويحتمونها جميعاً في ساعة، ثم يهدون ثواب ما قرؤوه للموتى، بدعة ضلالة فاعلمها في غاية الجهالة، ولو عاشوا عمر نوح يبحثون في الشريعة الغراء على دليل يدل على ذلك لما وجدوه،

محمد الشقيري: السنن والمبتدعات، ص ٢٤٠، ٢٤١؛ محمد شجاع: القضاء والقضاء، ص ٢٨٢.

هذه الربعات ما كان عام سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م، حيث صليت صلاة الغائب على ولد صاحب كنيابة^(١) وعمل له ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة الشافعي ربة حضرها القضاة والفقهاء والتجار وغيرهم^(٢) ومن هذه الربعات ما كان سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م في يوم الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الثاني صلي صلاة الغائب على الفقيه يوسف المقرئ أوجد علماء اليمن، وعمل له ربة بالمسجد الحرام دعا لها القاضي الشافعي والقاضي المالكي، وحضر بعض الفقهاء، ولم يحضر القاضي الحنفي^(٣) وكذا في عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م مات القاضي عفيف الدين عبدالله ابن أبي الفضل بن أبي المكارم بن ظهيرة، وعملت له ربة بالمسجد الحرام^(٤) كما شارك بعض العلماء من القضاة والفقهاء والأئمة في الاحتفالات الدينية؛ مثل: الاحتفال بدخول شهر رمضان المبارك، وعيد الفطر^(٥) واحتفالات المولد النبوي، وكان هذا الاحتفال من جملة ما أحدثوه في الدين من البدع، وتوارث المعاليك هذه البدعة عن الدولة الفاطمية التي استحدثت هذه البدعة، وهذا الاحتفال في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، وهي من الأمور التي لم يقم بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة رضوان الله عليهم^(٦)، ومن هذه الاحتفالات ما كان عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كانت زفة المولد النبوي، ومشى أمام القاضي الشافعي الناظر الجمالي أبو السعود بن ظهيرة على العادة الفقهاء والقضاة والأمراء والترك وخلق كثير^(٧) ولعل سكوت أو اشتراك بعض العلماء في مثل هذه البدع يعود إلى تساهل بعض العلماء حيال هذه الأمور؛ وخاصة أولئك الذين قدموا من الخارج ودرجوا على رؤية مثل هذه الأمور في البلاد التي قدموا منها .

كما كان للعلماء دوراً كبيراً في مواجهة التشيع في الحجاز، ومن ذلك ما أسهم به العلماء من دور في تحول القضاء والإمامة والخطابة في المدينة المنورة التي كانت بأيدي آل سنان بن نبيلة الشريف الحسيني في بداية الحكم المملوكي إلى أهل السنة؛ حيث لم يكن لأهل السنة إمام ولا خطيب ولا حاكم منهم في بداية الحكم المملوكي، ولما تولى القاضي سراج الدين

(١) كنيابة: بلاد من أرض الهند، المسعودي: مروج الذهب، (٩١/١) .

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٣٤٦/٢) .

(٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٧٢٧/١) .

(٤) ابن فهد: بلوغ القرى، (٨٧٤/٢) .

(٥) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ١٢٢؛ عبد الحفيظ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٧٥ .

(٦) ابن الحاج: المدخل، (٢/٢)، راشد بن أبي علقمة: معجم البدع، ص ٣٥٥، ٦٤٠؛ السالمي: الحياة الدينية في مكة، ص ٢٨٥ .

(٧) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٢٥/٢) .

الخطابة بالمدينة المنورة ناله من الإمامية من الأذى والقبائح مالا يبصر عليه غيره فصر واحسب، وذكر ابن فرحون أنه أدرك من آذاهم أنهم كانوا يرمونه بالحصباء وهو يخطب على المنبر، ولما كثر آذاهم له تقدم الخدام وجلسوا بين يديه، فكان هذا هو السبب في إقامة صف من الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب، كما أسند إليه القضاء فأصبح القضاء والخطابة والإمامة سنية،^(١) ومن جهود العلماء -أيضاً- في إضعاف المذهب الشيعي ما قام به القاضي عبدالله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون^(٢) الذي بسياسته وهمته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة، فعزلت قضائهم، وانكسرت شوكتهم، وذلك أنه لما باشر النيابة في الأحكام في سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م سعى في عزل قضائهم، فتوذي في شوارع المدينة بتبديل أحكامهم، والإعراض عن حكمهم، فكان ذلك من أسباب قوة أهل السنة وعلو أمرهم وإخماد البدعة.^(٣) ومن ذلك ما قام به محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يحيى^(٤)، الذي ولي القضاء والخطابة والإمامة بالمدينة الشريفة، واشتد على الشيعة، وكان مهاباً فسطا على فقهاء الإمامية وسبهم في المحافل، ونزل إحدى الموات عن المنبر وضرب رجلاً من الإمامية تنقل أربعاً كهيئة الظهر زيادة على تحية المسجد، وتوذي ظهر الجمعة أربعاً في أثناء ذلك التنقل؛ لأنهم لا يعتقدون إقامة الجمعة إلا خلف إمام معصوم، ومع ذلك لم يتمكن من رفع حكم الإمامية ولم يزل على ولايته وشهامته حتى مات،^(٥) كما أبطال صلاة النصف من شعبان، وكان إبطالها عزيزاً على نفوسهم؛ فقد اعتادوا صلاتها مع مبدعات كانت معها، منها زينة المسجد الشريف، وكثرة الوقيد، وكثرة النساء واختلاطهم بالرجال، والصباح من الصغير

(١) نصيحة المشاور، ص ١٨٩

(٢) عبدالله بن محمد بن أبي القاسم، فرحون بن محمد بن فرحون، أبو عبدالله بن أبي الفضل اليعمري، نزيل المدينة المنورة، وقاضيا المالكي، ومقرخها، ولد سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، أقام بالمدينة المنورة من سنة بضع وعشرين إلى أن مات، لم يخرج إلا للحج، سمع الحديث على جماعة، وأخذ في الفقه والعربية، وحدث ودرس وأفاد، وأقام مدرساً للمالكية، ومصدراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من حسين سنة، حج نحو خمس وخمسين حجة، السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٠٨/٢)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥٥/٥)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، (٤٥٤/١).

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٠٧/٢).

(٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يحيى بن أبي الجعد عبدالله اللخمي الشافعي شرف الدين أبو الفتح بن عز الدين بن كمال الدين الأميوطي، ولد بالقاهرة سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، رجع في الفقه، وسمع الحديث على عدد من العلماء، ولي القضاء والخطابة بالمدينة الشريفة، فباشرها إلى أن مات سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، ابن حجر: الدرر الكامنة، (١٥٩/٤).

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، (١٥٩، ١٦٠/٤).

والكبير، حتى لا يتبقى للحريم حرمة، وكان له غيرة على أهل السنة، وإن كان يعلم من كثير منهم كراهة له، فيسدد أحوالهم، ويقيم حرمتهم عند أمراء المدينة، ويجاهد بنفسه في حقهم^(١)، وكذا مختار الأشرافي شيخ الخدام بالمدينة النبوية، تعصب لأهل السنة، وقمع الرافضة، وكثر في أيامه الجاورون، وعمرت الأوقاف إلى أن مات سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م.^(٢)

وقد ذكر ابن فرحون " أنه أدرك جماعة من الجاورين و الخدام لا يقرؤن كتابهم، ولا يسمعون سنة نبيهم إلا في خفية حتى قدم الصاحب ابن حنا وأقام بالمدينة المنورة فكثرت من قراءة المواعيد، وقام على آل سنان و القياشين فهابوا مكانه من السلطان، وأذعنوا واستعملوا التقية حتى رجعوا فيما زعموا كلهم سنة، وكانت تأتيه من يتبع قوافل الدقيق والقمح والأرز فيعطون منها الخدام الجاورين ورؤساء الإمامية، حتى شهدوا على أنفسهم أنهم مسلمون، فلما سافر الصاحب عنهم عادوا إلى حالهم؛ لكن بعد هضم جانبهم وكسر شوكتهم استمرت المواعيد والقراءات والاستماعات والسماعات".^(٣)

كما عمل بعض العلماء من أصحاب الوظائف ببناء المساجد، ومن ذلك ما قام به الناظر بزم خجما الذي عمر مسجد الخيف بمنى، وصرف مالا عظيما في جهات البر^(٤).

ومن الأثر لتولي الوظائف على الجوانب الدينية تحول بعض العلماء من مذهب إلى مذهب آخر؛ الذي كان سفي الغالب- من أجل تولي بعض الوظائف الدينية، ومن ذلك عمر بن عبدالله بن محمد بن عيسى، قاضي الطائف، الذي تحول من مالكي إلى شافعي، وتولى منصب القضاء ومن بعده بنوه^(٥)، وكذلك عبد اللطيف الحسيني الفاسي، كان أبوه مالكيًا فتحوّل حنبليًا وتولى إمامة مقام الحنابلة في مكة؛ فكان أول حنبلي ولي قضاء مكة المكرمة، واستمر فيه حتى مات.^(٦)

(١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٩٦

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٤/٣٤٥).

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٢

(٤) النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٦٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٢)، التهرواني: الإعلام، ص ٢٣٧.

(٥) عمر بن عبدالله بن محمد بن عيسى بن موسى بن عبد الرحمن شجاع الدين، أبو حفص قاضي الطائف، المغربي الأصل، توفي سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، السخاوي: الضوء اللامع، (٦/٣٠٩).

(٦) عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الحسيني الفاسي الأصل المكي الحنبلي، ولد سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٣٣٣).

فقد تمثل أثر تسنم العلماء للوظائف والمهن والحرف على الجانب الديني في أن منحهم تولى الوظائف خاصة العليا منها - إلى جانب عمل البعض منهم بالمهن والحرف لاسيما العلمية - مكانة كبيرة في مجتمعهم مكنتهم من القيام بدور كبير في الجانب الديني من إنكار للبدع والقضاء على الكثير منها؛ فضلا عن التصدي للمذهب الشيعي، والعمل على إضعافه، ومن أهم جهودهم في ذلك تحويل القضاء والخطابة والإمامة في المدينة المنورة التي كانت بأيدي آل سنان إلى أهل السنة؛ فضلا عن دورهم في خدمة الناحية الدينية بالجمع من خلال تسنمهم للمهن والوظائف المختصة بالجانب الديني.

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية:

أسهم علماء الحجاز سواء كانوا من أهلها أو المجاورين والوافدين والرحالة في النشاط الاقتصادي في هذا الإقليم؛ فكانت لهم إسهاماتهم الواضحة في هذا الجانب، وذلك من خلال عمل العلماء بعدد من الوظائف والمهن والحرف المرتبطة بالنواحي الاقتصادية، ومنها نظر الأوقاف وذلك برعاية مصالح الوقف، والقيام بتعميره، ومراقبة موظفيه، وتحصيل إيراده، والقيام بشؤونه الأخرى^(١)، ومن ذلك الإسهام تولى وظيفة نظر الأربطة، ومن مهامهم إصلاح وترميم الربط، واستلام مخصصاتها من الأوقاف وصرفها في شؤونها^(٢)، وقد تولى بعض القضاة هذه الوظائف، وكانت ضمن المهام المضافة إليهم إلى جانب القضاء، ومنهم من جمع بين القضاء ونظر الأوقاف والربط^(٣)، ناهيك عن الخطابة والحسبة^(٤)، ولعل من الوظائف ذات الأثر في النشاط الاقتصادي التي عمل بها العلماء وظيفة الحسبة، وما كان يقوم به صاحبها من الإشراف على الأسواق، والمكاييل، والموازين، ومراقبة الأسعار، ومنع الاحتكار، ومراقبة أصحاب الحرف على اختلافهم، والحرص على تعيين عريف على كل صناعة أو حرفة من بين أفرادها يطلعهم على أخبارهم وخبائهم وحيلهم وطرق غشهم^(٥)، ولم تقتصر وظيفة الحسبة على القضاة؛ بل قام الأمير الراكر - كذلك - بدور الحسب لمراقبة الأسواق بنفسه، وضبطها ومعاقبة المخالفين، ومن ذلك في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ما قام الأمير الراكر بجمع الكثير من التجار وعابن موازينهم فوجد بعضها محتلاً فأمر بتعزيرهم وطاف بهم مكة^(٦).

ومن الموظفين الذين كان لهم أكبر الأثر في النشاط الاقتصادي في بلاد الحجاز في العصر المملوكي ناظر جدة، وشاد جدة، اللذين ارتبطت وظيفتهما بالازدهار التجاري لمدينة جدة^(٧)، كما مارس عدد من العلماء العمل في العديد من

(١) أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٥

(٢) حسن محمود: الرسولين والمعاليك، ص ٩٤

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٨٧).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (١/٤٧).

(٥) ليلي عبد المجيد: التنظيمات السياسية والإدارية، ص ٦٦٨؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة في الحجاز، ص ١١٢

(٦) عدنان الشريف: وظيفة الأمير الراكر، ص ٢١١

(٧) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٩٢١)؛ هند الضيف: أسواق الحجاز في العصر المملوكي، ص ١٥١؛ محمد العنقارة: الحياة الاقتصادية،

المهن والحرف، وأسهموا من خلالها بدعم الاقتصاد في إقليم الحجاز، ومن العلماء من جمع بين عدد من الحرف في آن واحد، ومنهم من جمع بين حرفة أو مهنة ووظيفة، فمنهم من جمع بين الوظيفة والعمل بالتجارة^(١) ومنهم من عمل بزازاً^(٢) ومنهم من عمل بالنسخ^(٣) أو التجليد وتجارة الكتب^(٤) والعطارة^(٥) والعمر^(٦)، وغيرها من المهن والحرف التي أسهمت في النشاط الاقتصادي في بلاد الحجاز.

كما قام العلماء الذين عملوا بالوظائف بإصلاحات اقتصادية كان لها أثر اقتصادي كبير، ففي سنة ١٣٤٧/٧٤٨م زار القاضي شهاب الدين المدينة النبوية في قافلة كبيرة وجدد بئر رومة، وكثر ماؤها بعد أن خربت^(٧)، ومن الإصلاحات ذات الأثر الاقتصادي ما قام به التاجر وناظر العمارة في الحرمين ابن الزمن الذي أشرف على عمارة عين بازان^(٨)، وعلى عمارة سبيل بالمسعى في سنة ١٤٧٩/٨٨٤م عندما قدم السلطان قايتباي لأداء فريضة الحج، كما أشرف على عمارة العين الزرقاء سنة ١٤٨١/٨٨٦م^(٩)، وفي سنة ١٤٨٢/٨٨٧م بنى يرم خواجا ناظر المسجد الحرام سبيلاً بالمعلاة وبجواره حوض ينتفع بها الناس والبهائم على يمين الصاعد إلى المعابدة^(١٠)، كما عمر الناظر يرم عين حنين، وأصلح مجراها، ورممها ترميماً محكماً، كما عمر جانباً كبيراً من عين عرفة وعدة من البرك بأرض عرفات كانت الرياح قد

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٢١/٩٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣/١٥٣)؛ السخاوي: التبر المسبوك، (١/٢٧٠).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٥٨، ٣٣.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٩٧)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٠٢).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢/١٢)؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٤٩؛ الزركلي: الأعلام، (٧/٥٠).

(٥) الفاسي: العقد الثمين، (٣/١٥٧).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (٤/٥٣).

(٧) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٢٣٥).

(٨) عين بازان: من العيون التي أجرت بمكة، وهي في غالب الظن من عمل زبيدة، ولها في عينها نفقة عظيمة يقال: إنها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وقد عمرت عين بازان مرات عديدة من قبل الخلفاء والملوك والأعيان، الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة، ص ٢٠٠.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، (٣/٢٢)؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٥٨؛ حسين شافعي: الخواجا ابن الزمن، ص ٨٦، ٩٢.

(١٠) النهرواني: الإعلام، ص ٢٣٦، والمعابدة حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنبان اليوم في الأبطح وجانبه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها الجميزة والجعفرية، البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٦١٥.

طعمتها بالتراب، فأخرج ذلك منها وعمر ما كان فيها من الخراب، وأصلح وساق الماء من الآبار التي بقربها لشرب الحجاج^(١)، وكذا شاهين الجمالي اجتهد في إجراء عين حنين، وله بالمدينة المنورة مآثر وقرب مع تجديد أماكن وأحياء أخرى.^(٢)

ومن الأثر الاقتصادي للعلماء أن منهم من كان يُقرض الأموال للناس؛ كالفاضي شهاب الدين الذي كان له ملاءة كبيرة وتعاملات مع الناس، وكان يقصده الناس كثيراً ليرهنوا عنده أموالهم، وكان يقرض غالب أرباب الوظائف بالحرم وأهل الضرر، وأمره كل منهم بقبض ما يصل إليه في الصندوق الحكمي^(٣) من القاهرة، وربما حمل الصندوق إلى منزله في بعض السنين لاستحقاقه لما فيه بسبب مدينته لهم، وكان إذا قبض ذلك أعطى كل منهم ما يحتاجه، وصبر عليه إلى العام القابل، وأذن له في قبض ما يصل إليه.^(٤)

كما أسهم الخدام في بناء الأوقاف كإنشاء الأريطة، ومن ذلك ما قام به الخادم خالص أمين الله خالص البهادي الذي أوقف الأوقاف على أعمال البر، وكان له رباط باب البقيع، وله عمقاء من عبيد وإماء،^(٥) وكذلك الشيخ يعقوب الشريف^(٦) الذي أوصى بجزء من ماله بقدر بخمسائة دينار لأجل وقف يشتري بالمدينة بصرف ريعه على من بالمدينة في المدرسة الشهابية؛^(٧) لأنها كانت مستقرة، ولم يكن في وقته غير هاتين الطائفتين،^(٨) كما أسهمت بعض الأسر العلمية في دعم

(١) النجم بن فهد: الدر الكمين؛ ص ٦٥٨، السخاوي: الضوء اللامع، (٢٢/٣)، النهرواني: الإعلام، ص ٢٣٧.

(٢) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٥٠٩/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٣/٣).

(٣) هو المعروف بالمودع الحكمي الذي تودع فيه أموال اليتامى والغائب، وكان تحت مباشرة أمين الحكم بالقاهرة، وكان مكانه بخان مسرور، بقرب خان الخليلي في الطريق إلى الأزهر، الفاسي: العقد الثمين، هامش (١٦٤/٣).

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (١٦٣/٣)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٩٧/١).

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٥٦.

(٦) الشيخ يعقوب الشريف فقه بمكة، وكان ذو علم واشتغال، وأقام بالمدرسة الشهابية سنين كثيرة، ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٥٨.

(٧) المدرسة الشهابية: بنى هذه المدرسة الملك المظفر شهاب الدين غازي الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادي بجوار المسجد النبوي وتم سنة إنشائها عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م، خصصت هذه المدرسة لنشر المذهب السني من خلال تدريس المذاهب الفقهية الأربعة، اشتهرت هذه المدرسة بمكتبتها الكبيرة التي كانت سبباً في إقبال العلماء، وطلبة العلم عليها، وكان بهذه المدرسة سكن للطلاب والمجاورين، واشترط بالسكن بها حضور الدروس الملقاة بالمدرسة والحاضرة بها إذا كان الساكن من أهل العلم، كما أن تعيين المدرسين بها لا =

الجانب الاقتصادي في الحجاز؛ فقد اشتهرت أسرة ابن فرحون بحرفة التجديد، كما كان من أسرة المشاكير^(١) من عمل وتسبب في العطارة^(٢) وكذا القاضي عبدالله بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون الذي نزل المدينة، كان من أعظم أهلها يساراً، وأكثرهم عقاراً، كتب وصيته بيده، وأخرج من ماله وصايا وبرعات وصدقات وأوقافاً كثيرة، ووقف على الفقراء قرناً تصرف غلته عليهم، وأعقق عدداً من الإماء والعبيد، (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م).^(٣)

كما أن من العلماء من كان له دور في إسقاط المكوس عن الناس، ومن ذلك ما قام به السهمودي عندما تحدث إلى السلطان قايتباي الذي جاء للحج عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م في رفع مكوس المدينة وتعويض أميرها عن ذلك، فأصدر السلطان المراسيم بإبطال المكوس وتعويض أمير المدينة عنها، كما ذكر الصدقة التي وزعها السلطان بالمدينة على عدد من فقراء المغاربة ولم يأخذوا شيئاً مما لزمهم لرباطهم، وتوسط السهمودي لأحدهم لدى السلطان، وذكر بأنه يؤد الحصول على أكثر مما دفع له، فأمر لهم السلطان بمائة دينار فقسما عليهم كل واحد عشرون ديناراً.^(٤)

وختاماً يمكن القول أن أثر العلماء على الحياة الاقتصادية تمثل في عدد من الإسهامات، منها العمل ببعض المهن والحرف التي تخدم الاقتصاد الحضاري؛ إلى جانب تحقيق النفع المادي للعاملين بها، وكانت مصدر دخل لهم؛ إضافة لقيام بعض العلماء من أصحاب الوظائف وكذا العاملين بالمهن أو الحرف بإصلاحات اقتصادية؛ كإنشاء العيون، أو المياضي، أو الأبرطة التي تعود بالنفع على أهل الحجاز والوافدين إليها، كما كان للعلماء دور في أوقات الأزمات الاقتصادية؛ سواء

يتم جزافاً؛ بل كان لابد من شهادة اثنين من العلماء أو القضاة بثبوت أهلية المدرس للتدريس، وساعدت الأوقاف التي رصدت لهذه المدرسة من قبل الواقف أو بعض المحسنين على بقائها لفترة طويلة حيث استمرت قرابة ثلاثة قرون تؤدي رسالتها العلمية على أكمل وجه، علي بن علي؛ المدرسة الشهابية وأثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي، ص ١٠، ١٥، ٤٦، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب - جامعة القاهرة، جمادى الأولى ١٤٣٧هـ، فبراير ٢٠١٦م؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٤٠٨.

(١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٨٥.

(٢) أسرة المشاكير: أسرة علمية جاور أجدادها في المدينة، ويقال: إن أصلهم من مكة ينسبون إلى قرش، وكان اسم جدهم مشكور، ابن

فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٦٩.

(٣) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٦٩.

(٤) ابن فرحون: الديباج المذهب، (١/٤٥٤).

(٥) السهمودي: وفاة الوفاء، (١/٢٣٢).

على مستوى البلد من القيام بحفر الآبار أو تجديددها، أو مجيء بعضهم بالقوافل المحملة بالمواد الغذائية والقيام بتوزيعها؛ إلى جانب دورهم في إدارة الأزمات الاقتصادية على مستوى الأفراد، فممنهم من كان يقصده الناس للاقتراض المال، ومن التجار من أوصى بتوزيع جزء من تركته على الفقراء .

المبحث الثالث: الآثار العلمية :

شهدت بلاد الحجاز خلال العصر المملوكي نشاطاً علمياً ملحوظاً؛ حيث كثر توافد العلماء وطلاب العلم عليه؛ فضلاً عن كثرة المساجد والمدارس والأربطة وغيرها من دور العلم التي كانت تؤدي دوراً علمياً واجتماعياً، مع ما صاحب ذلك من كثرة المؤلفات وتنوع المكتبات، فكان إسهام العلماء فاعلاً في العديد من النواحي؛ فمن العلماء من عمل بهم وحرف ذات صلة بنشاطهم العلمي، ومن أبرز تلك الحرف حرفة الوراقة، وهي من الحرف الوثيقة الصلة بالجانب العلمي، فموضوعها الكتاب نسخاً وتجليداً وتجارة، وقد أسهم الوراقون في إثراء الحركة العلمية وتطويرها، ونشر العلم والثقافة في أسواق مكة والمدينة وجدة وغيرها؛ حيث حملت هذه الفئة على عاتقها مد المشتغلين بالعلم من العلماء والطلاب بما احتاجوا إليه من الكتب، كما أسهم الوراقون في نسخ وتوفير عدد من الكتب والمصنفات المهمة في مختلف العلوم؛ فضلاً عن الدور الذي قامت به حركة الوراقة والوراقين وأسواق الكتب في مجال الكتب والمكتبات طوال العصر المملوكي، وهذه الأسواق تشبه ما يقوم بالعصر الحالي من معارض تعرض فيها الكتب بصفة مؤقتة؛ لكن هذه الأسواق لها صفة الدوام، وكانت هذه الأسواق مركزاً للنسخ والتجليد، كما كانت مراكز علمية يفد إليها العلماء وطلاب العلم من كل مكان؛ إما للشراء، أو الاطلاع، أو القراءة.^(١) ومن المهن العلمية التي عمل بها العلماء العمل بمهنة التأديب؛ فإلى جانب تعليم الصغار الآداب ومكارم الأخلاق علموهم القرآن، والكتابة، والقراءة، والحساب، والخط، والإملاء، وغيرها من العلوم.^(٢) ومن العلماء من عمل بمهنة الإعادة، ومنهم من عمل بالتدريس في الحرمين سواء في الدروس الخاصة أو العامة؛ فضلاً عن العمل بالتدريس بالمدارس^(٣)، وكذا النظر بأوقافها أو تولي نظرها،^(٤) وقد اشتهرت العديد من الأسر العلمية بتولي أبنائها مهنة التدريس؛ مثل: أسرة ابن فرحون بالمدينة، ومنهم عبدالله بن محمد بن أبي القاسم، فرحون بن محمد بن فرحون البدر أبو محمد بن أبي عبدالله، قاضي المدينة المنورة ومقرخها، أقام مدرساً مالِكياً متصديراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر

(١) أمانة جلال: المكتبات في المكتبات في المدينة المنورة، ص ١٧١؛ ربما قرناس: الرعاية الاجتماعية في مكة والمدينة، ص ٢٩٤

(٢) محمد فهم: ملاح النشاط الاجتماعي في مكة، ص ١٩٩؛ ابن دهب: الكتائب، ص ٩

(٣) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٥

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٤٨٩/٥)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٨١/٧).

من خمسين عاماً^(١) وكذلك أسرة بني فهد بمكة المكرمة، وكانت من الأسر العلمية التي اختص أفرادها بعلمي الحديث النبوي، وكذا بالتاريخ المكي.^(٢) وفي مدينتي الخلف والخليف اشتهرت أسرة آل عمران في الخلف، وأسرة ابن جميع في الخليف وتوارث أفرادها التدريس والاشتغال بالأمور الفقهية،^(٣) وفي منطقة المخلاف السليماني أسرة آل الحكمي التي اشتهر أفرادها بالإفتاء والتدريس،^(٤) وغيرها من الأسر التي توارث أفرادها المهن العلمية، كما أسهم أصحاب الوظائف في الجانب العلمي، وذلك من خلال الجمع بين وظائفهم وبين المهن العلمية، وكذا من العلماء من جمع إلى وظائفه -سواءً الدينية أو الإدارية- عدداً من التداريس؛ فقد تصدر القضاة والأئمة في التدريس بالحرمين في الدروس العامة والخاصة، وكذا بالمدارس، وكانت مهنة التدريس تستند إليهم على الرغم من توليهم لعدد من الوظائف، وكانت التداريس التي يتولونها متوارثة يرثها أبناؤهم من بعدهم،^(٥) ومن هؤلاء القضاة الذين عملوا بالتدريس عبد القادر بن عبد اللطيف الحسني الفاسي الذي ولي تدريس الغياثية البنجالية، وتدرس خاير بك من واقفة، والمدرسة الأشرفية ودرس فيها وفي المسجد في الفقه والعربية والمعاني والبيان.^(٦) ومن العلماء من جمع بين الخطابة والإمامة إلى جانب الإعادة والتدريس بالمسجد الحرام، ومنهم محمد بن يعقوب بن إسماعيل الشيباني الطبري المكي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)، كان إماماً وخطيباً بسولة من وادي نخلة، تولى الإعادة بدرس الحنفية الذي قرره الأمير بلبغا الخاصكي، وتدرس الحنفية بالمسجد الحرام الذي قرره الأمير أسمش،^(٧) ومحمد بن أحمد المعروف بابن البرهاني الفقيه المفتي، ناب في الخطابة، ودرس بالحرم الشريف وحدث وأفتى،^(٨) ومنهم

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٠٣/٢).

(٢) سعاد الحسن: النجم ابن فهد مؤرخاً، ص ٦٩.

(٣) أحمد الزبلي: الخلف والخليف، ص ٢٩.

(٤) غيثان بن جرس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٧٨.

(٥) السخاوي: الضوء الالامع، (١١٦/٦)، (٤٢/٩).

(٦) عبد القادر بن عبد اللطيف بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي عبد الله الحسني الفاسي المكي الحنبلي قاضي الحرمين الشريفين. النجم

بن فهد: الدر الكمين، ص ٨٦٧، السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥١/٣)؛ السخاوي: الضوء الالامع، (٢٧٢/٤).

(٧) الفاسي: العقد الثمين، (٣٥٠/٢)؛ السخاوي: الضوء الالامع، (٧٩/١٠).

(٨) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يعقوب المعروف بابن البرهاني الطبري، المكي، الشافعي، الفقيه، المفتي، توفي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م، الفاسي:

العقد الثمين، (٢٨٥/١).

الحسن بن علي الأسواني، أم بالحروب الشريف وشغل الناس بالفقه.^(١) ومن إسهامات العلماء في الحياة العلمية المشاركة ببناء المدارس، ومن ذلك ما قام به ابن الزمن (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م) ناظر عمارة المسجد النبوي ببناء مدرسة في المدينة المنورة أطلق عليها المدرسة الزمنية نسبة إليه، كما بنى مدرستي السلطان قايتباي بمكة والمدينة.^(٢)

والذي يمكن أن تخرج به الباحثة من هذا العرض هو أن اشتغال العلماء بالوظائف وامتهانهم لبعض المهن والحرف لم يمنعهم من الإسهام في تطوير الحركة العلمية في مدن الحجاز؛ بل كان للمردود المادي الذي يحصلون عليه من وظائفهم ومهنتهم وحرفهم أثره البالغ في تحفيزهم على تطوير الحياة العلمية بمدنهم، كما يمكن القول أن ما كانت تتمتع به بعض الأسر جراء عملها بالتجارة وغيرها كان دافعاً لهم للإسهام في إقامة خلق العلم وبناء المدارس والإنفاق على الدروس التي كانت تعقد في المساجد والأربطة، أو بعض البيوتات، أو ما يعرف منها "بالميعاد".

كما عمل العلماء أصحاب الوظائف أو المهن والحرف على منح الإجازات العلمية، وأثروا بذلك حركة التدريس في مدن الحجاز وقراه وهجره، إذ إن المعروف في مثل هذه الحالات أن الطالب حديث العهد بالإجازة كان يتدرب للتدريس في المدن والقرى النائية التي كانت تنشأ بها ما يعرف "بالمقاربة" أو "المعلامة".^(٣) ومن العلماء الذين منحو الإجازات العلمية عبد الوهاب الكتاني، تآب في الخطابة والإمامة، وحدث، وأجاز،^(٤) وكذلك عبد اللطيف الفاسي، قاضي الحرمين الشرقيين^(٥)، حدث باليسير وأجاز في

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٤٧١/٧)، (٢٨٥/١).

(٢) الحسن بن علي الأسواني، كان فقيهاً فاضلاً، جاور بالمدينة المنورة، توفي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٩/٢).

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٦٤/١)؛ ريم الساج: الموقوفون في المسجد النبوي، ص ٢٦٢.

(٤) الوقوف على المزيد عن ذلك انظر أحمد الزبلي الخلف والخليف، ص ٣٠.

(٥) عبد الوهاب ابن محمد بن محمد بن صالح بن إسماعيل الكتاني المدني الشافعي تآب في الخطابة والإمامة، حدث، أجاز، وجمع وجاور مرات، توفي سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م. النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٩٥٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، (١١٠/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (١٠٩/٥).

(٦) عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي الحنبلي، توفي سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، النجم بن فهد: الدرر الكامنة، ص ٨٩٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣٣٣/٤).

استدعاءات،^(١) ومحمد بن علي النويري، قاضي القضاة، الذي أجاز لعمر ابن فهد، مؤلف الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،^(٢) وأحمد بن علي بن محمد المصري، المكي الشافعي (ت ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) الذي عمل بنبابة القضاة في جدة، وكان ممن أجاز للسخاوي،^(٣) وأحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة، كان ممن حدث وأجاز،^(٤) وقد امتازت الإجازة العلمية في العصر المملوكي بالمزيد من عناية العلماء بالعلم الذي يجيزون فيه فمثلاً علم الحديث يشترطون فيه عدم انقطاع سلسلة الإسناد فتوسع المحدثون في إجازة الطلاب فأجازوا الغيب والأطفال الذين لا يزالون في المهد، وقد شاع هذا وازداد في عصر المماليك أكثر مما مضى.^(٥)

كما أن العمل الوظيفي والمهني والحرفي للعلماء لم يمنهم من الاشتغال بالعلم بل كان دافعاً لهم لمزيداً من النشاط العلمي الذي لم يكن مقتصراً على التدريس والتحديث فقد أسهم علماء الحجاز من الوافدين والحجّاورين إلى جانب العلماء من أهل الحجاز في التأليف، فتنوعت طبيعة المؤلفات ما بين كتب المعاجم والمشيخات التي تقابل كتب البرامج والفهارس^(٦)، وكتب التراجم^(٧) والطبقات^(٨) وغيرها، كما تنوعت العلوم التي

(١) الإجازة في استدعاءات بأن يتقدم أحد أولياء أمور الأبناء، أو علماء بلدهم إلى عالم أو عدد من العلماء بعريضة مكتوبة يطلب فيها واحد أو أكثر من الأبناء والمتعلمين في رواية وتحمل ما يجوز لذلك العالم روايته أو بعضه، فيستجيب العالم لذلك الطلب، فيكتب إجازته لأولئك الأبناء والمتعلمين، محمد آل عمرو: التعليم في الحجاز، ص ٢٦٨.

(٢) محمد بن علي أحمد بن عبد العزيز الهاشمي العقيلي النويري المكي المالكي، توفي بمكة سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م، النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٠٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢/ ٣٤).

(٤) أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المخزومي اليماني الزبيدي ثم المكي الشافعي، توفي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م، السخاوي: التبر المسبوك، (٢/ ١٩١).

(٥) صالح معوق: علم الحديث في العصر المملوكي، ص ١٠٥.

(٦) كتب المعاجم والمشيخات أو كتب البرامج والفهارس: نوع من الرحلات قائم بذاته، ينصب اهتمام مؤلفه في الجانب العلمي فقط، وسميت هذه الكتب عند أهل المشرق بالمشيخات أو المعاجم، وعند أهل المغرب كتب البرامج أو الفهارس، وهي أكثر شيوعاً عند المحدثين، ويغلب على البرنامج الإكثار من جمع الأحاديث والرواية ولقاء العلماء؛ فهو سجل علمي جمع فيه تراجم العلماء، وكانت التراجم مادة أساسية في كتب التراجم والمشيخات، الوادي أشي: برنامج الوادي أشي، ص ٣٢.

أنفوا فيها كعلوم القرآن، والفقه، والحديث، واللغة العربية وغيرها، وإن كان يغلب عليهم التأليف في العلوم الدينية من الحديث والفقه والقراءات؛ إلى جانب التأليف في التاريخ واللغة العربية وغيرها من الفنون، ولاشك أن اشتغال هؤلاء بالوظائف أو في غيرها من المهن التي تدر عليهم مردوداً مالياً قد أسهم في حركة التأليف.

ومما تميز به العلماء في العصر المملوكي أنهم كانوا موسوعيين؛ فكان العالم يؤلف في مختلف العلوم؛ كالحديث، والفقه، والعربية، فغالباً لا يقتصر العالم على التأليف في علم واحد. ومن العلماء الذين عملوا بالتأليف إلى جانب عملهم الوظيفي والمهني والحرفي محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) الذي كان شيخ الحرم، وكان له العديد من المصنفات، منها السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين^(١)، والرياض النظرة في مناقب العشرة^(٢)، والقرى لقاصد أم القرى^(٣)، وغاية الأحكام في سبع مجلدات، وله كتب أخرى منها خلاصة السير في أحوال سيد البشر، وله قصيدة في نحو مئة وستون بيتاً ذكر فيها المنازل بين مكة والمدينة^(٤)، ومحمد المطري (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) تآب في الحكم والخطابة، وأحد رؤساء المؤذنين^(٥) الذي ألف التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة في تاريخ المدينة المنورة^(٦)، وإبراهيم بن علي بن فرحون

=

(١) علم التراجم هو العلم الذي يعنى ببيان سير الأعلام عامة، وذكر حياتهم الشخصية ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم، إبراهيم الرس: علم تراجم الرواة والأعلام أهمية وفائدته، بحث، جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ.

(٢) علم الطبقات، أي: طبقات كل صنف من أهل العلم؛ كالأدباء، والأصوليين، والأطباء، والأولياء، والبيانين، والتابعين، والحفاظ، والحكام، والحنفية، والحنابلة، والمالكية، والشافعية، والمفسرين، والحديث، والخطاطين، والرواة، والخواص، والشعراء، والصحاب، والمجاهدين، والصوفية، والأئم، والعلوم، والفرسان، والعلماء، والفقهاء، ورؤساء الزمن، والقراء، والنحاة، واللغويين، والمنكلمين، والمعبرين، والمعتزليين، والممالك، والنسائين، والنسائك إلى غير ذلك، وفي كل من هذا كتب مستقلة تكفلت ببيان طبقة من هذه الطبقات، الفوجي: أجد العلوم، (٣٦٢/٢).

(٣) طبع بتحقيق محمد علي قطب، المكتبة التجارية بمكة، طبعة أولى، ١٤٠٨هـ.

(٤) طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥هـ.

(٥) طبع بدار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ.

(٦) الزركلي: الأعلام، (١٥٩/١).

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، (٣١٥/٣)؛ كحالة: معجم المؤلفين، (٦٢/٣)؛ الزركلي: الأعلام، (٣٢٥/٥).

(١) حققه سليمان الرحيلي، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

(ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) ولى قضاء المالكية بالمدينة المنورة، ومن مؤلفاته الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي، كما ألف تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب^(١). ومحمد النجم الأنصاري، الذروي الأصل المكي (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م) الذي عمل بالتدريس بالمدرسة المنصورية بمكة المكرمة مع نظر الدارس الرسولية، ونظم قصيدة مفيدة سماها مساعدة الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب، ضمتها ما ذكره ابن هشام من معاني الحروف في كتابه معني اللبيب وقواعد الإعراب وما غيره في المعنى وشرحها، وكذا نظم أبياتاً في دماء الحج وشرحها^(٢)، ومنهم التقي الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) الذي تولى قضاء المالكية، وكان يبدأ طويلاً في الحديث والتاريخ فاعتنى بأخبار مكة وبين معالمها وما أثرها وتراجم أعيانها، وكان له العديد من المؤلفات، منها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام في مجلدين^(٣)، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين في أربعة مجلدات^(٤)، وصنف ديلاً على سير النبلاء للذهبي^(٥)، وفي الأذكار والدعوات والمناسك على المذهب الشافعي ومالك، وغيرها من التصانيف الكثيرة^(٦). ومحمد بن أحمد بن الضياء (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) الذي ناب في القضاء بمكة عن أبيه ثم استقل به، ثم أضيف إليه نظر الحرم والحسبة، ألف البحر العميق في مناسك حج البيت العتيق في أربعة مجلدات^(٧)، تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهالة العوام في مجلدين^(٨)، وجمال الدين الشيباني (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م)

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١٣١)؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، (٢/١١٠٦)؛ البغدادى: هداية العارفين، (١/٦٨)؛ الزركلي:

الأعلام، (١/٥٢)، طبع بتحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، مصر.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (٧/١٨٢).

(٣) الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ.

(٤) تحقيق فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٥) تعرف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء، وهو ذيل على سير أعلام النبلاء، تحقيق محمود الأرتاؤوط، أكرم البوشي، الطبعة الأولى،

دار الصادر للنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

(٦) الشوكاني: البدر الطالع، (٢/١١٤).

(٧) طبع بتحقيق الدكتور عبدالله نذير أحمد عبد الرحمن، مؤسسة الرمان، المكتبة المكية، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٨) طبع بتحقيق الدكتور نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٦٢٥، ٥٤٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٧/٨٤)؛ البغدادى: هداية العارفين، (٢/١٩٧)؛ ابن تغري بردي:

المهمل الصافي، (٩/٢٥٣).

الذي تولى قضاء مكة وحجاية البيت من مؤلفاته طيب الحياة مختصر حياة الحيوان، وتعليق على الحاوي^(١). ومحمد بن أحمد المقدسي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) الذي ولي قضاء الحنابلة، وكان له عدد من التصانيف، منها الشافي والكافي في الفقه في مجلد، وكشف الغمة بتيسير الخلق لهذه الأمة في مجلد، وسفينة الأبرار الجامعة للآثار والأخبار في المواعظ في ثلاثة مجلدات^(٢). ومحمد بن محمد بن ظهيرة (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م) قاضي مكة، من كتبه ذيل على طبقات السبكي، وتعليق على جمع الجوامع للسبكي^(٣). وعلي بن عبدالله السمهودي (ت ٩١٢هـ/١٥٠٦م) الذي عمل خازناً للكتب بمدرسة السلطان قايتباي بالمدينة المنورة، وذلك عندما أوقف السلطان قايتباي على مدرسته بالمدينة المنورة (أنشأها سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م) أحمالاً من الكتب في العلوم الشرعية^(٤) وصنف تاريخاً للمدينة المنورة سماه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى^(٥)، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى^(٦)، كما ألف في الفقه حيث أضاف حاشية على إصباح النووي في المناسك^(٨).

ومن العلماء من ألف في المجال المتعلق بوظيفته أو مهنته، ومنهم عبدالله النكراوي (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الذي امتن الإقراء وألف في القراءات عدة مصنفات، منها الكامل في القراءات، والافتداء في معرفة الوقف والابتداء^(٩). وسليمان بن خليل بن إبراهيم الكثاني العسقلاني (ت ٦٦١هـ/١٢٦٢م) الذي كان مفتي الحرمين، وألف كتاباً في

(١) المقرئ: درر العقود، (١٢٩/٣)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٢٥/٩)؛ ابن شهاب: طبقات الشافعية، (١٣٦/٤).

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، (١١٩/٣، ١٢٠).

(٣) الزركلي: الأعلام، (٤٨/٧).

(٤) محمد آل عمرو: التعاليم في الحجاز، ص ٢٣٤؛ يحيى ساعاتي: الوقف وبنيّة المكتبة العربية، ص ٩٠، أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٢١.

(٥) طبع بالمكتبة العلمية، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٦) الشوكاني: البدر الطالع، (٤٧٠/١)، كحالة: معجم المؤلفين، (٤٦٣/٢)؛ الزركلي: الأعلام، (٣٠٧/٤).

(٧) طبع حققه الدكتور قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

(٨) الشوكاني: البدر الطالع، (٤٧٠/١).

(٩) حققه الدكتور مسعود أحمد إلياس في رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

(٢) عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكراوي المدني الأضاري الإسكندراني، معين الدين، أبو محمد، مقرئ، نحوي، توفي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، كحالة: معجم المؤلفين، (٢٨٥/٢).

المناسك في مجلدين، أثنى عليه غير واحد.^(١) والقاضي جمال الدين الشيباني المكي (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) الذي ألف في آخر حياته كتاباً سماه اللطيف في القضاء^(٢). ومن العلماء من ألف في مذهبه، ومنهم إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) الذي ولى قضاء المالكية بالمدينة المنورة وألف كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي^(٣)، ومحمد بن محمد بن ظهيرة الشافعي (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م) قاضي مكة، من كتبه ذيل على طبقات السبكي، وتعليق على جمع الجوامع للسبكي.^(٤)

وقد أسهم المردود المالي للعلماء من عملهم الوظيفي والمهني في مساعدتهم على اقتناء الكتب وتكوين مكتبات خاصة لهم، ومن العلماء الذين عملوا بالمهن والوظائف وحرصوا على اقتناء الكتب، وأن تكون له مكتبة الخاصة عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله بن مسلم (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الذي تولى قضاء المدينة، واشتغل في فنون العلم، وصنف ودرس وأفتى، كانت له مكتبة الخاصة التي قال الكبي عنها: إنه خلف كتباً كثيرة من عهد أبيه وحده قيل: إنها فوق خمسين ألف مجلد^(٥)، وعلي بن محمد بن سند المصري الفراهي (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م) الذي اقتنى مكتبة خاصة تبرع بها وفقاً على رباط ربيع^(٦)، ومحمد بن فهد الهاشمي المكي (ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م) الذي كتب بخطه الكثير، وجمع بيته مكتبة ثرية وصفها السخاوي بقوله: " واجتمع له من الكتب الحسان ما لم يكن في وقته عند غيره من أهل بلده، وكثر انتفاع المقيمين والغرباء بها فكانت أعظم قرية؛ خصوصاً وقد حبسها بعد موته"، وقد استفاد منها المقريزي والسخاوي والسيوطي وغيرهم، وهي أساس مكتبة بني فهد التي ذكرت في تراجمهم، اعتنى بها بعده ابنه النجم، ثم حفيده العز، ثم

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٧٩/٢).

(٢) المقريزي: درر العقود، (١٢٩/٣)؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٣٢٥/٩)؛ ابن شهيبة: طبقات الشافعية، (١٣٦/٤).

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٣١/١)؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، (١١٠٦/٢)؛ البغدادي: هداية العارفين، (٦٨/١)؛ الزركلي: الأعلام، (٥٢/١).

(٤) الزركلي: الأعلام، (٤٨/٧).

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٥٥٧/٢).

(٦) عبد العزيز السديدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة، ص ٢٤٠.

جار الله بن العز، وقال النجم بن فهد: " إنه أوقف كتبه على أولاده الذكور وأولادهم لتستمر العارية على عاداتها وليحصل الثواب"^(١)

كما أسهم العلماء في وقف الكتب على المساجد أو الأربطة أو المدارس؛ مما كان له الأثر في نشأة المكتبات؛ حيث يُعد وقف الكتب الأساس الذي قامت عليه المكتبات،^(٢) ورغم أن المدارس والأربطة كان منشؤها من السلاطين والأمراء وغيرهم من الأعيان؛ إلا أن العلماء -وخاصة ممن عمل بالوظائف المرموقة- كان يوقفون الكتب على الأربطة والمدارس، ولم يقتصر ذلك على أصحاب الوظائف فقد شاركهم في وقف الكتب بعض أصحاب المهن؛ لاسيما أصحاب المهن المرتبطة بالجانب العلمي كحرفة النسخ. ومن العلماء أصحاب الوظائف والمهن الذين على وقفوا الكتب على المساجد؛ التي تعد هي أول المكتبات نشوءاً في الإسلام^(٣) إبراهيم بن رجب الرواشي الكلابي (ت ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) الذي عمل بالتدريس بالمسجد النبوي، ووقف كتبه به وبالمدرسة الشهابية^(٤). ومن وقف على المدارس والأربطة الشيخ الفقيه الأديب أبو عبدالله محمد بن محمد الغرياطي؛ الذي كان من الخدام ودخل في جملة المؤذنين أصحاب المعلوم، وقد أوقف كتبه وجعل مقرها المدرسة الشهابية،^(٥) ومنهم محمود بن جمال الدين الحروي (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) الذي احترف النسخ، وعمل على وقف كتب في الحديث والفقه جعل مقرها برباط الخوزي، وكان يسكن فيه^(٦)، وعلي بن محمد بن سند المصري الفراش (ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) الذي وقف كتباً على رباط ربيع، ولم يكتفِ العلماء بنسخ الكتب ووقفها؛ بل منهم من عمل على شراء كتب العلم ووقفها على الطلبة، ومنهم شهاب الدين بن رشيد بن عبدالله السعدي أحد الخدام بالمسجد النبوي الذي صحب العلماء واشتغل عليهم، كان يشتري كتب العلم ووقفها، وكان له خزانة جيدة فيها كتب غريبة^(٧).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٨١، ٢٨٢)؛ محمد الحيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٣٧.

(٢) سحر صديقي: أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية في المدينة، ص ٥٥.

(٣) محمد ماهر: المكتبات في الإسلام، ص ٨٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١/١١٤).

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٤٤.

(٦) القاسي: العقد الثمين، (٧/١٣٧).

(٧) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤٨.

أما عن المكتبات في باقي المدن الحجازية فأغلب الظن أن العديد من مدن وقرى تهامة قد ضمت بين منشأتها التعليمية وخاصة المساجد والجامع عدداً من المكتبات التي ضمت بدورها مؤلفات متنوعة، لاسيما التفسير وكتب الفقه التي توضع على صورة أوقاف وأحباس في المساجد لانتفاع طلاب العلم؛ أما عن العلماء وخاصة الكبار منهم فبدون شك كانوا يفتنون مكتبات خاصة يطالعونها ويعودون إليها عندما يريدون التأليف والتدريس أو وعظ الناس وإرشادهم^(١).

وقد حرص العلماء من أصحاب الوظائف والمهن على نشر كتب العلم، فمنهم من عمل إلى جانب مهنته أو وظيفته على نسخ الكتب العلمية؛ كعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت ٨٣٤هـ/١٤٣٠م) كان ممن درس بالمسجد الحرام، وكتب بخطه الكثير من كتب العلم، وكذا ابنه قاضي مكة (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) كان ممن عني بكثير من العلوم، وكتب بخطه الكثير من الكتب المتخصصة في مجال الأدب الذي مهر فيه^(٢)، وعبد الواحد الجزولي الذي كان عالماً بالقراءات والحديث، وعين قارئاً قرأ حزمة قبل صلاة الجمعة في المسجد النبوي، وكان مكياً على نسخ كتب العلم، ووقف كثيراً مما كتبه^(٣). وقد حرص العلماء الذين احترفوا النسخ على الاستفادة من هذه المهنة علمياً، ولم يقتصروا على الفائدة المادية، ومنهم أبو بكر بن سليمان بن علي السلمي الذي احترف النسخ، وكان ممن لازم السخاوي، وكتب تصانيفه فضلاً عن تصانيف علماء آخرين، فبملازمته لعالم كالسخاوي وكتابة تصانيفه فمن المؤكد أنه حقق أكبر قدر من الاستفادة العلمية^(٤).

وقد بلغ من حرص العلماء على نشر الكتب والمؤلفات والاستفادة منها ما ذكر عن السخاوي الذي عرف بالحرص الشديد على نشر كتبه، وتغطية الإقبال المتزايد عليها في مكة آنذاك بتوزيعها بنفسه، أو عن طريق نساخ يكتفهم

(١) غيثان بن جريس: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص ٢٩٤

(٢) عبد العزيز السندي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة، ص ٨

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، (١٠٤/٣).

(٤) عبد العزيز السندي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة، ص ٨

بذلك العمل^(١)، ومن العلماء من كان يعمل على كتابة الكتب لنفسه وإعارتها لطلبة العلم، كما عمل على التبرع بمعلومة من النظر والتدريس لمن ليس له في المدارس اسم من الطلبة ونحوهم^(٢).

ومن أصحاب الوظائف من تميز بالاشتغال بالعلم والإقبال عليه؛ مثل: شاهين الجمالي الذي عمل بمشيخة الخدام، كما عمل شاداً بجدّة، مع ذلك كله كان له إقبال على العلم وأنفذ أوقاته بالتلاوة والعبادة والمطالعة وسماع الحديث، وعنده عدة من تصانيف السخاوي مضافة لما حواه من كتب العلم^(٣)، وكذلك أبو البقاء بن الشهاب أبي العباس الصاغاني (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) الذي تولى القضاء والحسبة ونظر المسجد الحرام، قال عنه أحد المقرّبين إليه: "أعرفه منذ خمسين سنة ما دخلت عليه قط إلا ووجدته يطالع أو يكتب"^(٤) ولم يزل مكباً على الإقراء والتصنيف إلى أن توفي^(٥). ومن العلماء من عمل بالقضاء وحضر مجالس العلم ومهنتهم القاضي نور الدين علي بن يوسف الزرندي الحنفي (ت ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) الذي كان أول من تولى قضاء الحنفية بالمدينة، ذكر عنه ابن العراقي: "بأنه قدم القاهرة قبيل وفاته بمدة يسيرة وسمع الحديث على عدد من شيوخنا"^(٦).

وقد تجلّى أثر العلماء في الجانب العلمي وحركة التأليف من خلال توليهم المهن العلمية، وزيادة إقبالهم على النشاط العلمي تحديداً وتدرّساً وإجازة، وتأليفاً في مختلف العلوم، ووفقاً للكتب على مكاتب المساجد والأربطة والمدارس؛ سواء كانت من مؤلفاتهم، أو كتب العلم التي كانوا يعملون على نسخها ووقفها؛ إلى جانب شراء كتب العلم ووقفها على الطلبة.

(١) عبد العزيز السديدي: الفراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة، ص ٢٠.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، (١٨٣/٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٩٣/٣).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، (٨٥/٧).

(٥) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، (٢٥٣/٩).

(٦) ابن العراقي: الذيل على العبر، (٥٢٦/٢).

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية:

كان لتولي العلماء للوظائف وبعض المهن والحرف أثره في تحقيق مكانة اجتماعية كبيرة لهم في مجتمعاتهم، فكانوا يحظون بالتقدير من سلاطين الممالك وأمراء الحجاز ومختلف طبقات المجتمع، وتجلى الدور الاجتماعي للعلماء من خلال عمل العلماء بمهن وحرف اجتماعية؛ مثل: عقد الأنكحة، والإصلاح بين الناس،^(١) والعمل بحرفة الشهادة وكتابة الوثائق،^(٢) وغيرها من الحرف والمهن الاجتماعية، كما أن من العلماء أصحاب الوظائف من جمع بين وظيفته وبعض المهن الاجتماعية، فمن القضاة من عمل إلى جانب وظيفته بالنظر في أموال الأيتام، والإشراف على الأوقاف،^(٣) ومنهم من تولى قضاء مكة المكرمة، ونظر الأوقاف، ورعاية الربط.^(٤) ومن العلماء من تولى مشيخة الأربطة،^(٥) وقد حظي هؤلاء بتقدير واحترام أفراد المجتمع، ولم يكونوا بمعزل عن مجتمعاتهم فكانوا يشاركونهم مناسباتهم المختلفة؛ سواء كانت دينية، أو اجتماعية، أو سياسية، وكان للقاضي مكان الصدارة في المناسبات كافة، فلا تكاد تخلو الاحتمالات أو المناسبات الدينية من وجود القضاة وكذلك الأئمة الأربعة، كما شاركهم في عدد من المناسبات الدينية نائب جدة، وأمير الترك، وناظر الحرم، والمحاسب؛ فضلاً عن بعض أصحاب المهن خاصة التجار، وكذلك من عمل بها من العلماء الذين كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة، واللافت للنظر - هنا - أن ابن فهد أشار إلى مشاركة عدد من العلماء سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م في زفة المولد النبوي، ومنهم قاضي القضاة الشافعي، والقضاة الثلاثة، وشيخ الحرم النبوي، ونائب جدة، والمحاسب، وجمع غفير من الناس على العادة،^(٦) وكذا في سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م شارك في هذه الزفة المزعومة عدد من القضاة والأمراء والترك وغيرهم،^(٧) ومن المناسبات الاجتماعية التي شارك فيها العلماء من القضاة والأئمة وأصحاب المهن مناسبات الخطبة، والزواج، وختان المواليد وغيرها؛ فكانوا يحضرون مناسبات علية القوم ومناسباتهم؛ إلى جانب القضاة، والفقهاء، والتجار

(١) الفاسي: العقد الثمين، (٢٥/٥).

(٢) النجم بن فهد: معجم الشيوخ، ص ٦١؛ النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٤٦٩.

(٣) محمد غرابية: تعدد منصب قاضي القضاة، ص ٢٧٢.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، (٢٨٧/٢).

(٥) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ١٤٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣٥/٥).

(٦) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٦١/٢).

(٧) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٣٧٩/٢).

وغيرهم،^(١) كما كان القضاة والفقهاء وأصحاب الوظائف الدينية يشاركون في احتفالات ختم القرآن أو الكتب الدينية التي كانت تقام بالحرمين الشريفين وغيرهما من مساجد مدن الحجاز الأخرى، كما كان يحضر ذلك الاحتفال جمع غفير من طلبة العلم وغيرهم، ومن تلك الاحتفالات ما كان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م عندما ختم القاضي الصلاحي صلاح الدين محمد بن قاضي القضاة الجمالي أبو السعود بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي على العلامة الحافظ شيخ الإسلام شمس الدين السنخاوي كتاب الشفا للقاضي عياض بالمسجد الحرام في جمع حافل جداً، ومنهم والده القاضي المالكي والفقهاء والطلبة وغيرهم، وأنشد المذاحون القصائد،^(٢) كما شارك بعض أصحاب المهن في المناسبات الاجتماعية ومنهم التجار بصفتهم طبقة هامة في المجتمع الحجازي،^(٣) ومن المناسبات التي كان يحضرها العلماء أنهم كانوا من أوائل مستقبلي السلطان إذا قدم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، أو من ينوب عنه من أمراء الحج، سواء بسواء مع الأمير؛ بل إن الأمير عند مقابلة السلطان يمشي عن يمينه والقاضي عن يساره،^(٤) كما كان القضاة يخرجون لملاقاة أو استقبال الأمير، ومن ذلك ما كان في سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م عندما دخل مكة المكرمة الشريف بركات وإخوانه السيد قاتباي وعسكرهم وعبائهم، وخرج للقائهم القاضي الشافعي والمالكي ودخلا معهم،^(٥) كما كان يخرج القضاة مع أمير مكة لاستقبال الحمل في حال قدومه لمكة المكرمة،^(٦) وكان القاضي الشافعي في المرتبة الثانية بعد الأمير أو مساوياً له؛ فقد كان في أغلب المراسيم أو كلها يتصدرها مرسوم الشريف والقاضي الشافعي، وغالباً ما يكون مقترناً بينهما بإقرارهما على وظيفتهما، أو الثناء عليهما وخلع عليهما،^(٧) وكذلك من الأثر الاجتماعي لتولي العلماء للوظائف أن الأمير كان يخرج لاستقبال باش الترك وكذا الخنسب، وكانوا يجتمعون على الأمير عند خروجه لاستقبالهم، وعلى ولده، وعلى قاضي القضاة الشافعي،^(٨) وكذلك الحال

(١) البيهقي بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٥٢٤).

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/٧٤٥)؛ محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٨٣.

(٣) عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ١٣٧.

(٤) محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٦١؛ شريع الشهراني: الحياة الاجتماعية، ص ٩٢.

(٥) العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٢١٠).

(٦) محمد شجاع: القضاء والقضاة، ص ٢٧٤.

(٧) البيهقي ابن فهد: إتحاف الوري، (٤/٤٨٣)؛ العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/٣٩٣).

(٨) العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٣٣٣).

بالنسبة للباش والمحسب وناظر جدة حيث يكوفون في استقبال الأمير عند قدومه، كما في عام ٩٢١هـ/١٥١٥م عندما خرج الباش والمحسب وناظر جدة والقضاة والنواب والمباشرين لملاقة أمير مكة والسلام عليه،^(١) وكذلك أصحاب المهن وخاصة التجار حيث كان التجار يخرجون في الاستقبال للسلطان المملوكي عند قدومه، ومن ذلك أن ابن الزمن كان من ضمن الشخصيات التي كانت في استقبال السلطان قايتباي عند قدومه للحج سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م،^(٢) وكذلك شارك في هذه المناسبات أصحاب المهن العلمية الذين كانوا - غالباً - من القضاة وأئمة المذاهب الأربعة، كما شارك العلماء من أصحاب الوظائف والمهن في بعض المهام التي تدل على مكانتهم الاجتماعية، ومن ذلك المشاركة في غسل الكعبة؛ فكان يشارك في غسل الكعبة كبار الشخصيات من أصحاب الوظائف الهامة، ومن ذلك ما كان في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م عندما هطلت أمطار غزيرة على مكة المكرمة وما صاحبها من سيول أدت إلى إحداث أضرار بالمسجد الحرام، فكان القضاة وبنو شعبة من ضمن من شارك في غسل البيت وغيرهم من الأعيان،^(٣) ومن ذلك - أيضاً - مشاركة الأمير الراكز في غسل الكعبة في سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م عندما أمر السلطان قايتباي بغسل الكعبة من داخلها بقدر قامة؛ حيث شارك قاضي القضاة، والأمير الراكز، وجماعة الشيبين، وعدد من أعيان مكة المكرمة في غسل أرضها قدر قامة،^(٤) كما شارك عدد من العلماء من أرباب المهن التجارية، ومنهم ابن الزمن في تغيير كسوة الكعبة التي أرسلها قايتباي مع أمير الحج المصري قجماس الإسحاق في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، كما شارك - أيضاً - في الإشراف على بعض أعمال عمارة تمت داخل الكعبة المشرفة هذه السنة.^(٥)

والملاحظ أن تولي العلماء لبعض الوظائف أضفت عليهم مكانة اجتماعية مثل وظيفة السدانة؛ فنتيجة لتولي أسرة بني شعبة سدانة الكعبة فقد تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة استمدوها من خدمتهم للكعبة المشرفة؛ حيث إن بيدهم

(١) العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٣٢٠).

(٢) حسين شافعي: الحواجا شمس الدين بن الزمن، ص ٨١.

(٣) الدجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٢١٤).

(٤) الدجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٦٢١).

(٥) حسين شافعي: الحواجا شمس الدين بن الزمن، ص ٨١.

سُلطة الإذن للناس بالدخول إليها.^(١) ومن مظاهر المكانة الاجتماعية لبعض من تولى الوظائف من العلماء أن من توفي منهم كان ينادى للصلاة عليه من فوق قبة زمزم، ومن ذلك ما حدث عندما توفي شيخ الحجة وفتح الكعبة محمد بن علي بن أبي راجح بن محمد بن إدريس العبدري الشببي الحنفي المكي، الذي نادى المؤذن للصلاة عليه من فوق قبة زمزم.^(٢) وتلاحظ الباحثة أن هذه الميزة التي أعطيت للعلماء تضاهاى ما كان يختص به أمراء مكة الذين كان ينادى للصلاة على ميتهم من على قبة زمزم، وهذا دليل على المكانة التي كانت للعلماء في مكة المكرمة في ذلك الزمان.

كما حظي العلماء -سواء من تسنم الوظائف، أو اشتغل بالمهن والحرف- بمكانة مرموقة لدى أمراء الحجاز عامة، ومن ذلك أنهم كانوا يحرسون على تهنيتهم بمناسبةاتهم، وتعزيتهم عند وفاة أحد أقاربهم كما حدث في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م عندما ماتت أم راجح سببت بنت القاضي نور الدين علي بن أبي البركات، وصلي عليها ودفنت بالمعلاة، فلما أهل جمادى الآخرة سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م وصل الشريف محمد بن بركات صاحب مكة لعزاء القاضي، وحلف أنه لم يبلغه الخبر إلا في اليوم الذي قبله.^(٣)

ومن مظاهر اهتمام أمراء المدينة بالعلماء ما كان في سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م عندما توجه قاضي مكة أبو الفضل النويري وصحبه الشيخ بهاء الدين السبكي إلى المدينة الشريفة وتزاملوا في قافلة كبيرة، فاعترض لهم السيد محمد بن عجلان، وقصد نهب القافلة فصالحه القاضي أبو الفضل بألف وسبعمائة درهم على ترك القافلة، فأخذ الدراهم وترك القافلة، ولما دخل القاضي إلى المدينة أرسل إلى الأمير عجلان يخبره بذلك، فتوجه هو وولده محمد إلى المدينة فأتاهم في المدينة فزأهم وترضاهم واستعطفهم، وأصلح بين ولده وبين القاضي أبي الفضل والشيخ بهاء الدين، وتعد له بعدم تكرار ذلك، والإقلاع عن ظلم الناس.^(٤)

كما اعتاد بعض أمراء المدن حضور مناسبات أفراح أصحاب الوظائف، ومن ذلك ما كان في سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م عندما حضر السيد بركات والسيد قاتباي والسيد حميضة وإخوانهم عقد القاضي جلال الدين ابن

(١) شرح الشهابي: الحياة الاجتماعية في مكة، ص ٤٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، (٢/٢٠٠)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٨/١٨٢).

(٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/١٢٨).

(٤) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٣/٣١٥).

قاضي القضاة الخطيب فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة على ابنة القاضي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة بالمسجد الحرام،^(١) كما اعتاد بعض الأمراء على قبول شفاعاة العلماء وكذلك شهادتهم، ومنهم أبو عبدالله الغماري (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م) الذي تولى مشيخة رباط ربيع سنين كثيرة، ولم يكن أحد من القضاة يعارضه فيما يختاره؛ بل كان أمير مكة حسن بن عجلان يكرمه ويقبل شفاعته،^(٢)

كما حرص بعض الأمراء على عدم المساس بكرامة العلماء من أرباب الوظائف، ومن ذلك ما ذكره ابن فرحون حول ما جرى لشيخ الخدام عز الدين الواسطي في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م عندما تحامل عليه بعض القضاة ورموه عند الأمير طفيل^(٣) ببلية، وذكروا أن شخصاً مات وترك عنده ما لا كثيراً، ولم يكن من ذلك شيء إلا أن ذلك الشخص أودعه مبلغاً قليلاً وصلى به في شراء نجيلات تكون وفقاً على رباط السبيل، فقال ابن فرحون للأمير: إنه ليس عنده غير هذا المال، وقد أوصي فيه بكذا، وأن معه شهوداً أحدهم الشيخ عز الدين دينار شيخ الحرم، والآخر الشيخ عز الدين الواسطي، وكان الأمير طفيل غائباً، وذكر ابن فرحون ما مر من اشتغال ذلك القاضي وتلك الجماعة به، وشكا ابن فرحون ذلك لشيخ الخدام عز الدين، وقد جاء مرسوم من الأمير طفيل بأن يتعرض أحد لابن فرحون حتى يأتي الأمير طفيل للمدينة المنورة، فلما قدم الأمير واجتمع به فقال له الأمير: لن لم تأتي على ما قلت بشهود ولا الذي يقال عنك صحيح، فذكر له ابن فرحون الشيخ عز الدين الواسطي، فقال له الأمير: اقبله، فلما جاءه عظمه الأمير طفيل وقام له، ومن ضمن ما قال الشيخ عز الدين للأمير: ليس لك عند هذا الفقيه شيء ولا دعوى، ذلك الرجل الميت كان فقيراً من الفقراء والذي يقول لك الفقيه هو الصحيح والسلام، فقبل الأمير شهادته.^(٤) ولم يقتصر هذا التكريم على علماء مدن الحجاز وفي مقدمتها مكة؛ بل تعدى ذلك إلى خروج الأمراء لاستقبال العلماء القادمين من مصر، وخاصة من يتم من قبل السلطة للتأدية مهام

(١) العز بن فهد: غايه المرام، (١١٠/٣)؛ العز بن فهد: بلخ القوي، (٣٥٠/٣).

(٢) النجم بن فهد: الدر الكمين، ص ٢٣٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٥٥/١٠).

(٣) الطفيل بن منصور بن حجاز بن شبيحة الحسني، استقر في إمرة المدينة المنورة سنة ثمان وعشرين وسبعائة، وعزل سنة خمسين وسبعائة بسعد بن ثابت بن حجاز، وخرج الطفيل من المدينة المنورة بعد أن نهبا أصحابه قبل دخول المنبئي، ثم قصد مصر فاعتقل فيها حتى مات سنة اثنين وخمسين وسبعائة، السخاوي: التحفة اللطيفة، (٢٥٨/٢).

(٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٦٥، ٦٧.

موكله إليهم؛ مثل: ناظر جدة، ومباشر جدة، أو تولي وظائف؛ مثل: الأمير الراكر، ومن ذلك ما حدث في عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م لما وصل مباشر جدة، وناظر جدة خريج للقائهما السيد محمد بن بركات فخلع عليهما ودخلا مكة، واجتمعوا بالحطيم تحت زمزم، وقرئت المراسيم الواردة للشراف وللقاضى الشافعي^(١) ولأهمية الوظائف وللمكانة الاجتماعية لأصحابها عند السلاطين المماليك فإن التعيين والعزل لأصحاب الوظائف يكون من قبل السلطة بمصر وبمرسوم سلطاني؛ هذا فضلاً عما تضمنته مراسيم بعض أصحاب الوظائف من التوصية عليهم؛ مثل: نائب جدة، وأمير الترك الراكرين، حيث تضمنت مراسيمهم المهام الموكلة لهؤلاء الموظفين، والتوصية عليهم، ومساعدتهم لإتمام المهام التي جاؤوا لأجلها،^(٢) كما كانوا يحضرون قراءة المراسيم وتصلهم الخلع وكان يحضر قراءة المراسيم؛ إلى جانب القضاة الباش والمحاسب، وكانت تصلهم الخلع ويلبسونها،^(٣) كما تمتع بعض القضاة بمكانة كبيرة عند الحكام بمصر، ومنهم أبو الفضل النويري قاضي مكة المكرمة وخطيبها وعالمها ومفتيها، كان معظماً عند أهل الدولة بمصر، وتصل منهم الكتب إلى أمير مكة السيد أحمد بن عجلان بن رميثة باستأل كل ما يقوله له، وألا يتعرض لحكم على أحد من أهل الحرم، وقصد القاضي أبو الفضل بذلك تعظيم أهل الحرم، وكان أحمد بن عجلان يكثر الإتيان لمنزل القاضي أبي الفضل؛^(٤) فضلاً عن ذلك فإن أصحاب الوظائف والمهنة كانوا ممن تشملهم الصدقات والهبات والهدايا المرسله من السلطة بمصر، ففي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م بعث الأشرف برسباي مركباً فيه صدقة على أهل الحرمين، وبدأ بالمدينة ففرق بها خمسمائة أردب قمح صدقة على القضاة والعلماء، والفقهاء، والخدام، والأشراف، ثم وصل لمكة المكرمة وفرق خمسمائة أردب من القمح على أهل الحرم كلهم، وعلى الأربطة والجاورين.^(٥)

أما مكانة أصحاب الوظائف وكذلك بعض المهنة والحرف من العلماء عند حكام العالم الإسلامي فكان يحظى القضاة والأئمة بنصيب وافر من الصدقات والهبات، كما كان يعهد للقاضي الشافعي بتوزيع الصدقات التي كانت تأتي من

(١) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٤٨٢).

(٢) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٤/٦٢٢)؛ العز بن فهد: بلوغ القرى، (٢/٦٤٧، ٥٠٥)؛ العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٧٣).

(٣) العز بن فهد: غاية المرام، (٣/٧٣).

(٤) القاسي: تعرف ذوي العال، ص ٣٢٧.

(٥) النجم بن فهد: إتحاف الوري، (٢/٦٣٤).

حكام البلاد الإسلامية^(١)، ومن هذه الصدقات التي كانت تأتي من حكام البلاد الإسلامية^(٢)، ومن هذه الصدقات التي بعث بها السلطان العثماني في سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م التي قدرت بنحو ثلاثمائة دينار فوقت على مستحقيها على يد قاضي القضاة الشافعي^(٣)، وكذا تلك التي وصلت في سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، وكانت ذات قيمة كبيرة، وشملت حتى أمير مكة وبعض قضائها^(٤)، وفي سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م وصلت إلى مكة صدقة كبيرة قيل أنها من صاحب كنيابة^(٥)، ووزعت على عدد كبير في مكة، ووزعها القاضي على مستحقيها^(٦)، وكذا في سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م فرق قاضي القضاة الشافعي ناظر المسجد الحرام أبو السعود بن ظهيرة الصدقة البنجالية^(٧)، ويذكر أنها كانت كبيرة جداً، يقال: إنها وصلت ستين ألف دينار^(٨)، كما أسند لباش الترك في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م توزيع بعض الصدقات، وذلك عندما أرسل السلطان المؤيد صدقة كثيرة لتفريق في المسجد الحرام، فتولى تفريقها الأمير تغري بومنش باش الترك على المقيمين بمكة المكرمة^(٩). ومن المهام التي اضطلع بها العلماء من أرباب الوظائف أو المهن وقف الأملاك لأعمال البر والسعي لعنق العبيد والإماء، ومما يذكر في هذا

(١) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٥٧/٢).

(٢) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٥٧/٢).

(٣) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٤٥٧/٢).

(٤) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٣٢/١).

(٥) غياث الدين محمد شاه بن السلطان شمس الدين مظفر شاه، صاحب كنيابة من بلاد الهند، أمر بإنشاء المدرسة الكنيابية، حيث استأجر البيت الذي بين البيمارستان وباب الدرية الملاصق للمسجد الحرام، وشرع في بنائها سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م، وأكملت في سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م، كما أرسل صدقات للحرمين، ابن فهد: بلوغ القرى، (٥٣٣/١)، خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٤٠٠.

(٦) العز بن فهد: بلوغ القرى، (٥٣٣/١).

(٧) أعظم شاه بن إسكندر شاه، السلطان غياث الدين أبو المظفر، صاحب بلجالة من بلاد الهند، بعث إلى الحرمين غير مرة بصدقات طائلة، ففرقت بهما، وعم بذلك النفع، كما بعث بمال لعمارة مدرستين: مدرسة بمكة، ومدرسة بالمدينة، وشراء عقار يوقف عليهما، وفعل ذلك من نديه، توفي سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، الفاسي: العقد الثمين، (٣٢٠/٣)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٣١٣/٢).

(٨) ابن فهد: بلوغ القرى، (٥٤٨/٢)، وكانت توزع الصدقات على أعيان الناس، وأهل الحرم والفقراء، والغرباء، والعاملين بالوظائف في المسجد الحرام.

(٩) التهرولي: الإعلام، ص ٢٢٥.

الشان أن أحد خدام المسجد النبوي ويدعى عز الدين دينار^(١) الذي أوقف أملاكاً ونخيلاً، وأعتق ما يزيد على ثلاثين عبداً وأمة، وكلل أيتاماً وأنعم عليهم بالمأكّل والملبس والمسكن حتى كانوا يعدّون من عياله،^(٢) كما أسهم عز الدين دينار البدري^(٣) بدور كبير في علاج المرضى وخاصة الفقراء والمجاورين، ومضى وصف دواء للفقير سعى في تحصيله، وكان يطبخ الموائد في منزله ويحملها بنفسه على يده، ولا يستعين بعبده ولا بغلامه، وهذا فعله مع جميع الناس حتى مع ساكني الربط والمدارس، فيأتيهم ويرفق لهم ويشفق عليهم؛ إلى جانب مساعدة الضعفاء والقيام مع المنكسر بدين أوفق؛ إضافة لسعيه في التأم الكلمة، وإصلاحه بين الناس،^(٤) كما ذكر ابن فرحون أن الحرم الشريف كان يعج بجماعة كثيرة من الخدام الذين كانت لهم الحسنات الكثيرة الظاهرة والخفية، والأوقاف العظيمة من التخيّل والدور والعقار،^(٥) كما أسهم الأمير الراكز باستقبال الصدقات، وكان يتولى توزيعها على مستحقيها من الفقراء والحجاج وغيرهم، كما تولى أحياناً إلى جانب وظيفته الأساسية العمل بالحسبة فكان يراقب الموازين والباعة في أسواق مكة المكرمة وغيرها^(٦).

كما كان من الآثار الاجتماعية الهامة لتولي العلماء للوظائف والحرف والمهن لاسيما العليا منها المصاهرات الاجتماعية، ومن هذه المصاهرات ما كان بين أصحاب الوظائف والحكام؛ فقد صاهر قاضي مكة الشهاب أحمد بن نجم الدين بن جمال الدين محمد الطبري (ت ٧٦٠هـ/١٤٠٢م)^(٧) الشريف عجّلان^(٨) على ابنته زينب^(٩)، كما صاهر القاضي

(١) دينار العز، الحبشي الشهابي، المرشدي، الشافعي، استقر في مشيخة الخدام بالمسجد النبوي في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، صاحب المشايخ الكبار من المجاورين وتأدب بأدبهم، توفي سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٠/٢).

(٢) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٤١، ٤٢.

(٣) دينار المعري البدري، كان من خدام المسجد النبوي، توفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٢/٢).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، (٤٢/٢)؛ ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٥٢.

(٥) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٥٦.

(٦) شريح الشهري: الحياة الاجتماعية بمكة، ص ١٠٧؛ عدنان الشريف: وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص ٢١١؛

فاطمة الكبرى: الوظائف السياسية والإدارية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص ٨٠.

(٧) القاسي: العقد الثمين، (١٦١/٣)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٩٧/١).

الشهاب أبو العباس أحمد بن علي بن محمد الحسيني القاسمي المكي (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٦) أمير مكة حسن بن عجلائن^(٧) على ابنه أم هانئ^(٨)، ومن المصاهرات ما كان بين أصحاب المهن وأصحاب الوظائف، فقد ارتبط التجار بمصاهرات مع بعض الأعيان؛ فقد صاهر التاجر محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ولقب بالجمال القاضي شهاب الدين الطبري على ابنه السيدة خديجة^(٩)، كما صاهر محمد بن صدر الدين البخاري (ت ٨١٨هـ/١٤١٥م) إمام مقام الحنفية بالمسجد الحرام الخواجا شمس الدين بن الزمن بزواجه من أخته^(١٠).

وختاماً يمكن القول أنه كان لتولي العلماء للوظائف واشتغالهم ببعض المهن والحرف أثره البالغ في خدمة مجتمعاتهم من خلال عملهم بوظائف ومهن وحرف اجتماعية، كما أن العلماء لم يكونوا بمعزل عن مجتمعاتهم؛ بل شاركوا في المناسبات المختلفة؛ سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو دينية، كما أکسبهم العمل الوظيفي مكانة اجتماعية مرموقة؛ حيث كان يُنظر للعلماء من أصحاب الوظائف نظرة إجلال وتقدير ليس على مستوى مجتمعاتهم فحسب؛ بل على مستوى العالم الإسلامي، واستمدوا هذه المكانة من توليهم للوظائف في الحرمين.

(١) عجلائن بن رميثة بن أبي نفي محمد بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة الحسيني المكي، يلقب بجز الدين، ويكنى أبا سريح، أمير مكة المكرمة، ولها غير مرة نحو ثلاثين سنة، مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقيبة مدة، وشريكاً لابنه أحمد بن عجلائن مدة، كان ذا عقل ودعاء وسياسة، توفي سنة ٨٧٧هـ/١٣٧٥م، القاسي: العقد الثمين، (٣/٣٩٩)؛ العز بن فهد: غايۃ المرام، (٢/١٣٧).

(٢) نوال الفانز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٩٣.


(٣) القاسي: العقد الثمين، (٣/١٠٩)؛ السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٣٥).

(٤) حسن بن عجلائن بن رميثة بن أبي نفي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسيني المكي، يلقب بهدر الدين، أمير مكة المكرمة، نائب السلطنة بالأقطار الحجازية، ولد سنة ٨٧٥هـ/١٣٧٣م، ولي إمرة مكة المكرمة سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م، وكانت وفاته سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م، القاسي: العقد الثمين، (٤/٨٦)؛ العز بن فهد: غايۃ المرام، (٢/٢٤٦).

(٥) نوال الفانز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٩٤.

(٦) القاسي: العقد الثمين، (١/١٠٤)؛ عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ٢٤٩.

(٧) عائشة قيسي: تجار الحجاز، ص ٢٤٩.



الخاتمة

وبعد؛ فبعد إتمام هذه الدراسة المعنوية بوظائف علماء الحجاز ومهنتهم وحرفهم وأثرها على الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م فقد توصلت الباحثة - بحمد الله وتوفيقه - إلى نتائج مهمة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- حرص السلطة المملوكية وكذلك بعض أمراء الحجاز على إسناد الوظائف للعلماء الذين كانوا من منظورها هم الأجدر والأكثر للقيام بالمهام الوظيفية على أكمل وجه، وكانوا يعتنون بمردود سلطاني.
- بينت الدراسة تنوع مصادر دخل علماء الحجاز ما بين العمل الوظيفي والمهني والحرفي، ولم يكن دخلهم مقتصرًا على ما يصلهم من الحبات والصدقات وغيرها.
- تنوع فئات العلماء في الحجاز فإلى جانب العلماء الحجازيين كان هناك العلماء الوافدون والمجاورون، وعليه فلم تقتصر السلطة هذه الوظائف على علماء الحجاز الأصليين؛ بل عيّن فيها العلماء من الوافدين إلى الحجاز أو المجاورين فيها.
- يُعد العمل الوظيفي من أهم مصادر دخل علماء الحجاز فتسمنوا عددًا من الوظائف الدينية والإدارية والعسكرية، وكان الأساس لتولي هذه الوظائف هو الجانب العلمي، يلي ذلك الجانب المذهبي الذي كان سمت العصر المملوكي.
- إسناد العديد من الوظائف للقضاة؛ حيث استأثروا بالنصيب الأوفر من الوظائف الدينية والإدارية على الرغم من وجود كفاءات علمية بإمكانها تولي بعضًا من الوظائف التي كانت تجمع للقضاة، وكان بعض القضاة يوزعون هذه الوظائف لأبنائهم من بعدهم، حيث ظهرت أسر تكاد تكون بعض الوظائف مختصة بهم ولا يشاركون فيها أحد غيرهم؛ فما إن تذكر الوظيفة إلا وتذكر مرتبطة بهذه الأسر؛ مثل: اشتهار أسرة النويريين والطبريين والظهريين بمنصب القضاء.
- أن تولي العلماء للوظائف التي لا تتطلب قدرًا كبيرًا من العلم لاسيما الوظائف المتعلقة بأعمال الخدمة في الحرمين الشريفين كالبوابة والقراشة وغيرها؛ كان ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، وتعبيرًا عن الاحترام لقدسية المكان.
- أن التعيين في الوظائف كان له أكبر الأثر في استقرار واستيطان العلماء بمدن الحجاز وعدم العودة إلى أوطانهم التي وفدوا منها.

- أن تعيين العلماء في الوظائف الهامة في مدن الحجاز كان له أكبر الأثر في الهجرة من البلدان الخارجية إلى الحجاز طمعاً في الحصول على هذه الوظائف، كما كان له دوره في زيادة تحصيلهم العلمي في الحجاز، وكذلك إسهامهم في التدريس بدور العلم بالحجاز.
- لم يقتصر دور العلماء على الجانب العلمي والديني؛ بل أسهموا من خلال تسنمهم للعمل الوظيفي والمهني والجرفي في مختلف مجالات الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.
- لم يقتصر عمل العلماء الذين تسنموا الوظائف على الجمع بين الوظائف؛ بل إن منهم من جمع بينها وبين بعض المهن والحرف الأخرى.
- إسناد المهن العلمية خاصة التدريس بالحرمين الشريفين والمدارس لكبار العلماء خاصة القضاة والأئمة الأربعة، وكانوا يُعينون من قبل السلطان، أو من قبل الواقف، وكانوا يتولون المهن العلمية إلى جانب وظائفهم، وغالباً ما كان يوارثها أبناؤهم من بعدهم.
- أن العلماء الذين عملوا بالمهن والحرف المتعلقة بالجال الصناعي كانوا سفي الغالب- من الواقدين على الحجاز، ولعل مرد ذلك هو نظرة العرب الدونية للعمل المهني والجرفي، كما جمع العلماء العاملون بهذه النوع من الحرف بين أكثر من حرفة أو مهنة؛ إلى جانب عمل بعضهم بالوظائف، هذا إلى جانب الاشتغال بالعلم.
- تميزت الوظائف الإدارية بوجود منصب "الشيخ"، وهو الذي تولى الإشراف على العاملين بالوظيفة؛ كشيخ الفراشين، وشيخ الواقدين، ومن هذه المشيخات ما استحدثت في العصر المملوكي؛ كمنصب شيخ السدنة، وشيخ الخدام، وكذلك الحال في المهن والحرف التي تميزت بوجود منصب شيخ الحرفة أو المهنة؛ كشيخ العطارين، وشيخ الدلائن وغيرهم، وهي من المناصب التي تولّاها العلماء.
- ممارسة العلماء للعمل الوظيفي أو المهني أو الجرفي لم تمنعهم من مواصلة نشاطهم العلمي؛ بل كانت دافعاً لهم لمواصلة نشاطهم، كما أن ما كان يتحقق لهم من الاستقرار المالي من العمل بهذه الوظائف والمهن والحرف كان دافعاً لهم لمواصلة نشاطهم العلمي تدريساً وتأليفاً وإجارة وغيرها من أوجه النشاط العلمي.
- على الرغم من عمل العلماء بالمهن والحرف المختلفة إلا أن معظم المهن والحرف التي عملوا بها كانت من المهن المتعلقة بالجانب العلمي؛ وذلك لقربها من ميولهم ومجالاتهم العلمية.

- انعكس العمل الوظيفي خاصة المتعلق بالحرمين الشريفين على حياة العلماء؛ فقد جعلهم محل احترام وتقدير في مجتمعاتهم من الأشراف والسلاطين المماليك، وحكام العالم الإسلامي، وهذه المكانة الاجتماعية جعلتهم متصددين في المناسبات الدينية والاجتماعية.
- بتولي العلماء للعمل الوظيفي لا يكونون - فقط - حققوا استقراراً مالياً لهم، أو على الأقل تأمين قوتهم؛ بل أسهموا من خلال ذلك في النشاط الاقتصادي لبلاد الحجاز؛ فضلاً عن أثرهم في الجوانب السياسية والعلمية والاجتماعية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الملاحق

ملحق (١) سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م):

السلطان المملوكي	سنوات الحكم	مدة الحكم
السلطان الملك المعز عز الدين أيبك الجاهشكير التركماني الصالحى	٦٤٨-٦٥٥ هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧ م قتل	مدته سبع سنين تنقص ثلاث وثلاثين يوماً
السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك	٦٥٥-٦٥٧ هـ / ١٢٥٧-١٢٥٨ م خلع	مدته سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام
السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧-٦٥٨ هـ / ١٢٥٨-١٢٥٩ م قتل	مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوماً
السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبس البندقداري الصالحى	٦٥٨-٦٧٦ هـ / ١٢٥٩-١٢٧٧ م مات	مدته سبع عشر سنة وشهرين واثني عشر يوماً
السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان	٦٧٦-٦٧٨ هـ / ١٢٧٧-١٢٧٩ م	كانت مدته سنتين وشهرين وثمانية أيام
السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبس	٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م خلع	تولى وعمره سبع سنين وأشهر ، كانت مدته مائة يوم
السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتقي العلاتي الصالحى	٦٧٨-٦٨٩ هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠ م مات	كانت مدته إحدى عشر سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً

السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩-٦٩٣ هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣ م قتل	كانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م خلع	تولى وعمره سبع سنوات ، خلع بعد سنة تنقص ثلاث أيام
السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصوري	٦٩٤-٦٩٦ هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦ م طرده لاجين	كانت مدته سنين وسبعة عشر يوماً
السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري	٦٩٦-٦٩٨ هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨ م قتل	مدته سنين وشهرين وثلاثة عشر يوماً
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٨-٧٠٨ هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨ م خلع نفسه	كانت مدته تسع سنين وسنة أشهر وثلاثة عشر يوماً
السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩ هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩ م ترك الحكم	مدته عشر أشهر وأربع وعشرين يوماً
السلطان الناصر محمد بن قلاوون	٧٠٩-٧٤١ هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠ م مات	مدته اثنان وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوماً
السلطان الملك المنصور سيف الدين	٧٤١-٧٤٢ هـ / ١٣٤٠-١٣٤١ م خلع	خلع بعد تسع وخمسون يوماً

السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن الناصر محمد بن قلاوون	٧٤٢هـ / ١٣٤١م خلع	تولى ولم يكمل ثمان سنين، مدته خمسة أشهر وعشرة أيام
السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون	٧٤٢-٧٤٣هـ / ١٣٤١-١٣٤٢م خلع	مدته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً
السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل	٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥ قتل	مدته ثلاث سنين وشهرين وأحدى عشر يوماً
السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان	٧٤٦-٧٤٧هـ / ١٣٤٥-١٣٤٦ خلع	مدته سنة وثمانية وخمسون يوماً
السلطان المظفر زين الدين حاجي	٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦-١٣٤٧م قتل	مدته سنة وثلاثة أشهر وأثنا عشر يوماً
السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حس بن محمد	٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م خلع	تولى وعمره أحدى عشر سنة، مدته أربع سنين تنقص خمسة عشر يوماً
الملك الصالح صلاح الدين صالح	٧٥٢-٧٥٥هـ / ١٣٥١-١٣٥٤م سجنه الأمراء	مدته ثلاث سنين وثلاث أشهر وثلاث أيام
السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦٠م قتل	مدته ست سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام

السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون	٧٦٢-٧٦٤ هـ / ١٣٦٠-١٣٦٢ م خُلِع	مدته سنتين
السلطان الملك الأشرف زين الدين أبي المعالي شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون	٧٦٤-٧٧٨ هـ / ١٣٦٠-١٣٧٦ م قُتِل	مدته أربعة عشر سنة وشهرين وخمسة عشر يوماً
السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين	٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م مات	مدته خمس سنوات وثلاثة أشهر وعشرون يوماً
الملك الصالح زين الدين حاجي	٧٨٣-٧٨٤ هـ / ١٣٨١-١٣٨٢ م خُلِع	مدته سنة وشهرين بنقصان أربعة أيام وبه انقضت دولة المماليك البحرية

ملحق (٢) سلاطين المماليك البرجية: (٧٨٤هـ/٩٢٣ - ١٣٨٢ - ١٥١٧م)

السلطان المملوكي	سنوات الحكم	مدة الحكم
السلطان الملك الظاهر أبو سعيد بريقوق بن أنص	٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٣-١٣٨٨م خلع ثم عاد	مدته ما يقارب الثمان سنوات
المتصور ناصر الدين حاجي الثاني (من المماليك البحرية)	٧٩١-٧٩٢هـ/١٣٨٨-١٣٨٩م خلع	حكم سنة وعدة أشهر
السلطان بريقوق (السلطنة الثانية)	٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٨٩-١٣٩٨م مات على عرشه	مدته أتابكياً وسلطاناً إحدى وعشرون سنة عشرة أشهر وستة عشر يوماً
السلطان ناصر الدين فيرج بن بريقوق	٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م خلع ثم عاد	خلع ثمانية أشهر وتسعة أيام
السلطان الناصر فيرج بن بريقوق بن أنص (السلطنة الثانية)	٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م قتل	حكم ثمانية سنوات
الخليفة العادل المستعين بالله أبو الفضل العباسي (الخليفة العباسي)	٨١٥هـ/١٤١٢م خلعه المؤيد شيخ	حكم عدة أشهر من محرم إلى شعبان
السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ	٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م	مدة حكمه ثمان سنوات

المحمودي	توفي على عرشه	وخمسة أشهر وسنة أيام
السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات أحمد	١٨٢٤هـ/١٤٢١م تولى وعمره سنة واحدة ونصف/ خلع	مدته ثمانية أشهر تنقص سبعة أيام
السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر	١٨٢٤هـ/١٤٢١م توفي	مدته ثلاثة أشهر وربعين
السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	١٨٤٢هـ/١٤٢١م ، كان عمره عشر سنوات/ خلع	مدته أربعة أشهر ، وأربعة أيام
السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي	١٨٢٥-١٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م توفي على عرشه	مدته ستة عشر سنة وتسعة أشهر
الملك العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	١٨٤١هـ-١٨٤٢هـ/١٤٣٨-١٤٣٩م كان عمره خمسة عشر سنة/ خلع	مدته ثلاثة أشهر
الملك الظاهر سيف الدين جقمق	١٨٤٢-١٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م خلع نفسه	مدته أربعة عشر سنة وعشرة أشهر
الملك المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	١٨٥٧هـ/١٤٥٣م، خلع	خلع بعد واحد وأربعين يوماً
الملك الأشرف سيف الدين إينال	١٨٥٧-١٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م خلع نفسه	مدته ثمان سنوات وشهرين

الملك المؤيد شهاب الدين أحمد بن إبنال	٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م خلع	مدته أربعة أشهر
الملك الظاهر سيف الدين خشمقدم	٨٦٥-٨٧٢ هـ / ١٤٦١-١٤٦٧ م توفي	مدته ست سنوات ونصف
الملك الظاهر سيف الدين يلبي	٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م خلع	مدته ست وخمسون يوماً
الملك الظاهر ترمغا	٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م خلع	مدته تسع وخمسون يوماً
الملك الأشرف سيف الدين قايتباي	٨٧٢-٩٠١ هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦ م توفي	مدته تسع وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام
الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قايتباي	٩٠١-٩٠٤ هـ / ١٤٩٦-١٤٩٨ م خلع ثم عاد	مدته سنتين وثلاثة أشهر وأيام
الملك الظاهر قانصوة الأشرفي قايتباي	٩٠٤-٩٠٥ هـ / ١٤٩٨-١٥٠٠ م خلع	مدته عشرين شهراً
الملك الأشرف جان بلاط الأشرفي قايتباي	٩٠٥-٩٠٦ هـ / ١٥٠٠-١٥٠١ م قتل	مدته ستة شهور وأيام

الملك العادل طومان باي بن قانصوه الأول ،العادل	٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م قتل	مدته ستة يوم
الملك الأشرف قانصوة الغوري الأشرفي قائباي	٩٠٦-٩٢٣ هـ / ١٥٠١-١٥١٧ م قتل في مرج دابق	مدته ثمانية عشر عام
الملك طومان باي الثاني ، الأشرف	٩٢٢-٩٢٣ هـ / ١٥١٦-١٥١٧ م شنق على باب زويلة	عدة أشهر

المقبري: المواعظ، ص ٢٣٦، ٢٤٤، خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٨٩٦، أحمد بدرشيني: أوقاف

الحرمين، ص ٣٣٥

ملحق (٣) أمراء مكة المكرمة اللذين تولوا الحكم خلال العصر المملوكي:

الشرف	مدة الحكم
أبو سعد الحسن بن قتادة	٦٣٩-٦٥١هـ/١٢٤١-١٢٥٣م
جمار بن الحسن بن قتادة	شعبان-ذو الحجة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
راجح بن قتادة	ذو الحجة ٦٥١-ربيع أول ٦٥٢هـ/١٢٥٤م
غانم بن راجح	ربيع ثاني - شوال ٦٥٢هـ/١٢٥٤م
أبو نبي محمد (الأول) بن أبي سعيد علي	شوال ٦٥٢- صفر ٧٠١هـ/١٢٥٤-١٢٧٠م
إدرس بن قتادة	٦٥٢-٦٦٩هـ/١٢٥٤-١٢٧٠م
غانم بن إدرس	٦٧٠هـ/١٢٧١م
رميثة بن أبي نبي (فترات متقطعة)	صفر ٧٠١- ذو القعدة ٧٤٦هـ/١٣٠١-١٣٤٥م
حميضة بن محمد	صفر - ذو الحجة ٧٠١هـ/١٣٠١م
محمد بن إدرس	ذو الحجة ٧٠١-٧٠٣هـ/١٣٠١-١٣٠٣م
حميضة بن محمد (للمرة الثانية)	٧٠٣-٧١٣هـ/١٣٠٣-١٣١٣م
أبو الغيث بن محمد (للمرة الثانية)	٧١٣-٧١٤هـ/١٣١٣-١٣١٤م
حميضة (للمرة الثالثة)	صفر ٧١٤-شعبان ٧١٥هـ/١٣١٣-١٣١٤م
حميضة (للمرة الرابعة)	محرم-ربيع الثاني ٧١٨هـ/١٣١٨م

محرم ٧١٩ - محرم ٧٢١/١٣١٩-١٣٢٠م	عطيفة (للمرة الثانية)
٥٧٣٧/١٣٣٦م	رميثة
٥٧٤٥/١٣٤٣م	عجلان بن رميثة (في فترات متقطعة)
٧٤٧-٧٥٠/١٣٤٦-١٣٤٩م	سند ومغاسم أبناء رميثة
٧٤٨-شوال ٧٥٠/١٣٤٧-١٣٤٩م	نقبة بن رميثة (للمرة الثانية)
٧٥٣-٧٥٤/١٣٥٢-١٣٥٣م	نقبة بن رميثة للمرة الثالثة
ذو الحجة ٧٥٨-٧٦٢/١٣٧٥-١٣٦٠م	نقبة بن رميثة للمرة الرابعة
جمادى الآخرة - ذو الحجة ٧٦٠/١٣٥٨م	محمد بن عطيفة
٧٦٠-٧٦٢/١٣٥٨-١٣٦٠م	سند بن رميثة (للمرة الثانية)
شوال ٧٦٢-شوال ٧٨٨/١٣٦٠-١٣٨٦م	أحمد شهاب الدين بن عجلان
٧٦٢-٧٧٧/١٣٦٠-١٣٧٥م	عجلان بن رميثة (للمرة الثانية)
٧٨٠-ذو الحجة ٧٨٨/١٣٧٨-١٣٦٨م	محمد بن أحمد بن عجلان
ذو الحجة ٧٨٨/١٣٨٦م	عقيل بن مبارك وعلي بن مبارك
٧٨٨-٧٨٩/١٣٨٦-١٣٨٧م	عنان بن مغاسم
ذو الحجة ٧٨٨/١٣٨٦م	أحمد بن نقبة
شعبان ٧٨٩-شوال ٧٩٧/١٣٨٧-١٣٩٤م	علي بن عجلان (المرة الأولى)
شعبان ٧٩٢-٧٩٤/١٣٨٩-١٣٩١م	عنان بن مغاسم (المرة الثانية)

محمد بن عجلان (المرة الأولى)	٥٧٩٤/١٣٩١م
محمد بن عجلان (المرة الثانية)	٧٩٧-٧٩٨هـ/١٣٩٤-١٣٩٥م
الحسن بن عجلان	٧٩٨-٨٢٩هـ/١٣٩٥-١٤٢٥م
بركات بن حسن	٨٠٩-٨٥٩هـ/١٤٠٦-١٤٥٤م
أحمد بن الحسن	٨١١هـ/١٤٠٨م
رميثة بن محمد بن عجلان	٨١٨-٨١٩هـ/١٤١٥-١٤١٦م
الحسن بن عجلان	٨١٩هـ/١٤١٦م
علي بن عثان بن مغاس	٨٢٨هـ/١٤٢٤م
علي بن عجلان	٨٢٨هـ/١٤٢٤م
علي بن الحسن	٨٤٥هـ/١٤٤١م
أبو القاسم بن الحسن	٨٤٦-٨٥٠هـ/١٤٤٢-١٤٤٦م
محمد بن بركات	٨٥٩-٩٠٣هـ/١٤٥٤-١٤٩٧م
بركات بن محمد	٩٠٣-٩٣١هـ/١٤٩٧-١٥٢٤م
هزاع بن محمد،	٩٠٦-٩٠٧هـ/١٥٠٠-١٥٠١م
أحمد جازان بن محمد	٩٠٨-٩٠٩هـ/١٥٠٢-١٥٠٤م
حميضة بن محمد	٩٠٩-٩١٠هـ/١٥٠٣-١٥٠٤م
قاسم بن محمد	٩١٠-٩١٨هـ/١٥٠٤-١٥١٢م

علي بن بركات	١٥٠٤/٥٩١٠م
أبو نمي بن محمد (الثاني) بن بركات	٩١٨-٩٧٤هـ/١٥١٢-١٥٦٦م

^١ أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٣٣٠؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٨٨، ٥٨٦؛ ريم القواس: الرعاية الاجتماعية

في مكة والمدينة، ص ٣١٧

ملحق (٤) أشرف المدينة المنورة في العصر المملوكي:

الشرف	مدة الحكم
عميسى بن شيخة بن هاشم بن قاسم بن مهنا	٦٤٧-٦٤٩هـ/١٢٤٩-١٢١٥م
منيف بن شيخة	٦٤٩-٦٥٩هـ/١٢٥١-١٢٦٠م
جماز بن شيخة	٦٥٩-٧٠٠هـ/١٢٦٠-١٣٠٠م
منصور بن جماز بن شيخة	٧٠٠-٧٢٥هـ/١٣٠٠-١٣٢٤م
كبيش بن منصور بن جماز بن شيخة	٧٢٥-٧٢٨هـ/١٣٢٤-١٣٢٧م
طفيل بن منصور بن جماز بن شيخة (المرة الأولى)	٧٢٨-٧٣٦هـ/١٣٢٧-١٣٣٥م
ودي بن جماز بن شيخة	٧٣٦-٧٤٣هـ/١٣٣٥-١٣٤٢م
طفيل بن منصور بن جماز بن شيخة (المرة الثانية)	٧٤٣-٧٥٠هـ/١٣٤٢-١٣٤٩م
سعد بن ثابت بن جماز بن شيخة	٧٥٠-٧٥٢هـ/١٣٤٩-١٣٥١م
فضل بن قاسم بن جماز	٧٥٢-٧٥٤هـ/١٣٥١-١٣٥٣م
مانع بن علي بن مسعود بن جماز بن شيخة	٧٥٤-٧٥٩هـ/١٣٥٧-١٣٥٧م
جماز بن منصور بن جماز بن شيخة	٧٥٩هـ/١٣٥٧م
عطية بن منصور بن جماز بن شيخة (مرة أولى)	٧٦٠-٧٧٣هـ/١٣٥٨-١٣٧١م
هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيخة	٧٧٣-٧٨٣هـ/١٣٧١-١٣٨١م

٧٨٣-١٣٨١هـ/م	عطية بن منصور بن جهمار بن شبيحة (مرة ثانية)
٧٨٣-٧٨٥هـ/١٣٨١-١٣٨٣م	جهمار بن هبة بن جهمار بن منصور (مرة أولى)
٧٨٥-٧٨٩هـ/١٣٨٣-١٣٧٨م	محمد بن عطية بن منصور وجهمار بن هبة
٧٨٩-٨٠٥هـ/١٣٨٧-١٣٩٥م	جهمار بن هبة (المرة الثانية)
٧٨٩-٨٠٥هـ/١٣٩٥-١٤٠٢م	ثابت بن نعيم (المرة الأولى)
٨٠٥-٨١١هـ/١٤٠٢-١٤٠٨م	جهمار بن هبة (المرة الثالثة)
٨١١هـ/١٤٠٨م	ثابت بن نعيم (المرة الثانية)
٨١١-٨١٦هـ/١٤٠٨-١٤١٣م	عجلان بن نعيم (المرة الأولى)
٨١٦-٨١٩هـ/١٤٠٨-١٤١٦م	غريو بن هيارع
٨١٩-٨٢١هـ/١٤١٦-١٤١٨م	عجلان بن نعيم (المرة الثانية)
٨٢١-٨٢٤هـ/١٤١٨-١٤٢١م	غريو بن هيارع (المرة الثانية)
٨٢٤-٨٢٩هـ/١٤٢١-١٤٢٥م	عجلان بن نعيم (المرة الثالثة)
٨٢٩-٨٣١هـ/١٤٢٥-١٤٢٧م	خشم بن دوغان بن هبة بن جهمار بن منصور
٨٣١-٨٣٩هـ/١٤٢٧-١٤٣٥م	مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جهمار
٨٣٩-٨٤٢هـ/١٤٣٥-١٤٣٨م	أميان بن مانع
٨٤٢-٨٤٦هـ/١٤٣٨-١٤٤٢م	سليمان بن غريو

١٤٤٢هـ/١٤٤٢م	حيدرة بن دوغان بن هبة
١٤٤٣-١٤٤٢هـ/١٤٤٣-١٤٤٢م	يونس بن كيش بن جمار
١٤٤٦-١٤٤٣هـ/١٤٤٦-١٤٤٣م	ضغيم بن خشرم بن نجاح بن ثابت بن نعيم بن منصور (مرة أولى)
١٤٥٠-١٤٤٦هـ/١٤٥٠-١٤٤٦م	أميان بن مانع (المرة الثانية)
١٤٥٥-١٤٥١هـ/١٤٥٥-١٤٥١م	زيري بن قيس بن ثابت بن نعيم بن منصور (المرة الأولى)
١٤٦٥-١٤٦٠هـ/١٤٦٥-١٤٦٠م	زهير بن سليمان بن هبة بن جمار بن منصور (المرة الأولى)
١٤٦٩هـ/١٤٦٩م	ضغيم بن خشرم (المرة الثانية)
١٤٦٩-١٤٦٥هـ/١٤٦٩-١٤٦٥م	زهير بن سليمان (المرة الثانية)
١٤٧٠هـ/١٤٧٠م	ضغيم بن خشرم (المرة الثالثة)
١٤٧٠-١٤٦٥هـ/١٤٧٠-١٤٦٥م	زهير بن سليمان (المرة الثالثة)
١٤٧٤-١٤٦٩هـ/١٤٧٤-١٤٦٩م	ضغيم بن خشرم (المرة الرابعة)
١٤٨٣-١٤٧٨هـ/١٤٨٣-١٤٧٨م	قسطل بن زهير بن سليمان
١٤٨٧-١٤٨٣هـ/١٤٨٧-١٤٨٣م	زيري بن قيس (المرة الثانية)

^١ السخاوي: التحفة اللطيفة، (٩٧-٩٢/١)، ربحا القرناس: الرعاية الاجتماعية في مكة والمدينة، ص ٣٢٠، ٣٢١

حسن بن زيري بن قيس	١١٨٨-٩٠١هـ/١٤٨٣-١٤٩٥م
قارس بن شامان بن زهير بن سليمان	٩٠١هـ/١٤٩٥م
مانع بن زيري بن قيس بن ثابت بن نعيم	٩٠١-٩١٩هـ/١٤٩٥-١٥١٣م
ثابت بن ضعيف بن خشموم بن نجاد بن ثابت	٩١٩-١٥١٣هـ/١٥٠٠-١٥١٣م

- ٤٠٥ -

نص من الوثيقة حجة رقم (١٠٥) دار الوثائق القومية

المتصرف : الجمالي يوسف^(١) ناظر الخواص الشريفة^(٢).

تاريخ التصرف : ٢ من ذي القعدة سنة ٨٤٩ هـ .

التصرف : وقف .

شكل الوثيقة : ملف . (١٥٧٢ مم × ٢٨ سم) .

حال الوثيقة : فاقد أولها وأجزاء من هامشها ، وهي قطعان ، وتشتمل على عدة وثائق في تواريخ مختلفة .

المتصرف فيه : الأعيان الموقوفة :

- مدرسة بالقاهرة (خانقاه)
- جميع المسجد المعمور بذكر الله تعالى وجميع عات السبيل وحوض السبيل والبر الماء المعين بناحية الرحمانية بالبحيرة
- جميع المكان المستجد الإنشاء الكامل أرضا وبناء الكابن طاهر القاهرة الخروسة خارج باب الخرق بقطر فم الخور ملاحقا لمسجد أرض هناك من قبلة المشتمل على صهريج وسبيل وحوض وحائوت وطباق أربعة
- جميع المكان الكامل أرضا وبنا خلا الاستطراق وسهم واحد من أرض المكان من حلة أربعة وعشرين سهما الكابن ذلك داخل القاهرة الخروسة بقطر البندلين بزقاق الكنيسة التي هناك
- جميع المكان الكامل أرضا وبنا خلا قطعة الأرض المبنية المشتمل على طاحون وأربعة حوائت وثلاث طباق طاهر القاهرة خارج باب الفتوح بقطر سويقة الذين المشتمل على حوائت وطاحون
- جميع البنا طاهر القاهرة فيما بين باب القنطرة وباب الشعيرة المشتمل على أربعة حوائت وفندق وثلاثة عتازن وثلاث طباق
- قطعة أرض بناحية طهرمس بالجيزة مساحتها ثلاثون فدانا
- قطعة أرض بناحية أبي صير بالهساية
- قطعة أرض بناحية قرقشندة (قلشندة) من أعمال القليوبية
- حصة قدرها نصف عشر وثمن عشر من أراضي ناحية منيل بدر سلسيل بالدقهلية
- حصة قدرها النصف من أراضي ناحية بجاية بالدقهلية
- جميع أراضي ناحية التركمانية بالبحيرة
- جميع أراضي ناحية كناسة بالغربية
- حصة في أراضي شبرا قنوج بالغربية

(وجه الوثيقة)

- أنه شرط أن يصرف
- من ريع الوقف المذكور أعلاه بعد ادخار ما شرط ادخاره في كل سنة من السنين العربية ما جلتته من الذهب المعين المصري المحتوم الظاهري المتعامل به يومئذ بالدينار المصرية حرسها الله تعالى
- جسون دينارا تصلفها خمسة وعشرون دينارا أو ما يقوم مقام ذلك من النقود في ملء الفسافي بعرفة بثناء العذب وغيره في كلقة عوامل وعدة ورجال في التاء السنة لتكون مملوءة بالمياه عند
- قدوم الحاج للوقف بعرفة بجهز الناظر على الوقف المبلغ المذكور ويرسله صحية موقوف به ليسلمه لمن يعينه الناظر لتتولى صرف ذلك في التصرف المعين فيه ويكون الإرسال في زمن مع السفر
- وملء الفسافي المذكورة فإن تعذر ملأ الفسافي المذكورة يشتري بذلك ماء وينقل إلى عرفة ويسبل للحجاج يوم الوقف بما بحيث يعم النفع به

السطور (من الهامش)

- سطر ٢٨١- ويصرف ذلك في جامكية
- ٢٨٢- قارئ مصحف وصحيح البخاري وتخير الحجرة الشريفة
- ٢٨٣- وتعمير ثوبا بهاها وأجرة جمال لحمل المنقطعين
- ٢٨٤- من الحجاز الشريف والمتاجين إليه ويصرف
- ويصرف لقارئ
- ٣٢٧- المصنف الشريف المنسوب لهذا الوقف
- ٣٢٨- الذي مقره مكة المشرفة في كل سنة اثنا عشر
- ٣٢٩- دينارا ذهبا ظاهريا ويصرف لقارئ المصنف
- ٣٣٠- المنسوب للوقف المشار إليه أيضا الذي مقره
- ٣٣١- بالمدينة الشريفة مدينة طيبة على صاحبها
- ٣٣٢- أفضل الصلاة والسلام كل سنة اثنا عشر دينارا
- ٣٣٣- يرسل الناطر معلوم القارئين المذكورين كل سنة
- ٣٣٤- صحة الركب الشريف الموصى على يد مولوق بأمانته
- ٣٣٥- وملاطه ليوصل ذلك لهما على أن يقرأ كل منهما في
- ٣٣٦- ثواب ذلك للوقف المشار إليه ولوالده
- ٣٣٧- ويهدى
- ٣٣٨- وأخيه وأموالهم وأموات المسلمين ويصرف أيضا
- ٣٣٩- من ريع جميع الموقوف المشار إليه في ثمن ماء عذب
- ٣٤٠- لئلا الصهرج الكائن بالقاهرة المروسة بسوقه صاحب
- ويصرف أيضا من ريع الوقف المذكور في كل سنة
- ٣٥٩- ثمن أربعمائة قميص خاما ترسل إلى مكة المشرفة
- ٣٦٠- ومدينة طيبة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام
- ٣٦١- صحة الركب الموصى كل سنة على يد مولوق به بالسوية
- ٣٦٢- بين الحرمين الشريفين المذكورين لكل حرم مائة قميص
- ٣٦٣- وتفرق على فقراءه من المقيمين وغيرهم ويصرف منه أيضا
- ٣٦٤- ما يحتاج إليه في كلفة حمل ذلك ويصرف أيضا منه
- ٣٦٥- كل سنة ثمن ألفي راوية من الماء العذب زمن النيل
- ويصرف أيضا في كل سنة ثمن خمس مائة وطل
- ٣٨٠- بالمصري زينا طيبا من الزيت المذكور يعمل في
- ٣٨١- كل سنة إلى الحرم الشريف النبوي يستصحب فيه به
- ٣٨٢- ويصرف ما يحتاج إليه في كل سنة في ثمن ظروف
- ٣٨٣- وأجرة حمل ويصرف من مجموع الربيع المذكور أعلاه
- ٣٨٤- في كلفة نقل الماء إلى السيل الكائن ببندر
- ٣٨٥- الينوع المعروف بانشاء مولانا المقر الأشرف
- ٣٨٦- الجمالي الوقف المشار إليه منه وملو الصهرج ويصرف
- ٣٨٧- في كل سنة ما يحتاج إليه بالغ ما بلغ بحيث يعم
- ٣٨٨- النفع بذلك للصادر والوارد ويصرف
- ٣٨٩- من الربيع المذكور جامكية من يتولى تسيل الماء
- ٣٩٠- من الصهرج المذكور وتنظيفه ومشارفته عند ملته
- ٣٩١- وعمل مصالحة في كل سنة ما جملته من الذهب المصري
- ٣٩٢- المختوم الظاهري أربعة وعشرون دينارا ومن الفصح
- ٣٩٣- الطبيب السائم من عيب مثله ست أرداب بالكيل المصري
- ٣٩٤-

- ٤٠٧ -

- ٣٩٨- والواردين إلى البندر المذكور ولن يظهر احتياجه لذلك
 ٣٩٩- ويصرف أيضا من ذلك ثمن ألف رطل وجس مائة
 ٤٠٠- رطل بالمصري بقسطا طيب سالم من عيب مثله
 ٤٠١- يفرق عليهم أيضا ويصرف أيضا من ريع الموقوف
 ٤٠٢- المذكور في كل سنة ثمن قنطارين بالنقار المصري زيت
 ٤٠٣- طيب مستخرج من الزيتون يرسم الاستصباح منه
 ٤٠٤- في قنديل معلق على الصهرج المذكور في إصلاح
 ٤٠٥- الدخيشة المذكورة أعلاه ويصرف منه أيضا
 ٤٠٦- أجرة من يتولى دس القمح فيه وطحن الدخيشة المذكورة
 ٤٠٧- ويمن حطب في كل سنة عشرة دنانير ذهباً طاهراً
 ٤٠٨- ويصرف منه أيضا ما يحتاج إليه في ثمن ماعون
 ٤٠٩- وأجرة جل ذلك إلى البندر المذكور بالغاً ما بلغ
 ٤١٠- ويصرف أيضا من ريع الموقوف المذكور فيه
 ٤١١- لمصالح السبل الكائن بمنشأة الخلفاء الناصرية
- ٤٤٥- ويصرف في كل سنة (عشرون) مشطوبة في الأصل
 ٤٤٦- من الفلوس الجدد عشرون ألف درهم لرجلين ممن لم ينجح حجة الإسلام يستعين بذلك على حجة الإسلام وعمرته في سنة قبض
 ذلك ويكون الأخذ لذلك ممن يظهر احتياجه إليه
 ٤٤٧- ويكون حسن السيرة والسريرة من أهل القرآن ومطلب العلم الشريف وأرباب البيوت العاجزين عن القيام بتأدية الغرض المذكور
 ويقدم من يظهر احتياجه لذلك وشوقه إليه
 ٤٤٨- على غيره لكل رجل عشرة آلاف درهم على أن يدعو للوقوف المشار إليه فيه ولوالديه بالغرفة في مواطن الإجابة بتلك الأماكن
 الشريفة وعند النبي ... ويبلغه
 ٤٤٩- السلام عن الوقف مادام حيا ومهما تعذر صرفه من الذهب والفلوس المشروط صرفها فيه يصرف من ريع الوقف ما يقوم مقامها
 من النقود ويصرف أيضا من ريع
 ٤٥٠- الوقف المذكور فيه من جامكية قارئ يقرأ في مصحف شريف بالروضة الشريفة تجاه قبر النبي ﷺ كل يوم ما تسر له قراءته من
 القرآن العظيم ويهدي ثواب ذلك للنبي صلى الله
 ٤٥١- عليه وسلم ويدعو للوقوف والناظر وأموات المسلمين في كل سنة من الذهب الطاهري المتعامل به يومئذ بالديار المصرية اثنا عشر
 ديناراً وهي المشروطة أعلاه ويصرف منه أيضا
 ٤٥٢- لرجل من أهل الخير والدين له إلمام بقراءة الشريف النبوي يقرأ في الروضة الشريفة تجاه القبر الشريف كل سنة في شهر
 من رجب سنة الفرد وشعبان الموك وشهر رمضان
 ٤٥٣- المعظم صحيح الإمام العالم الحافظ أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنه ويهدي ثواب ذلك في الصحايف
 الشريفة ويدعو للوقوف وللناظر وأموات المسلمين
 ٤٥٤- في كل سنة من الذهب الطاهري عشرون ديناراً ويصرف منه أيضا في كل سنة من الذهب الطاهري الموصوف بأعاليه اثنا عشر
 ديناراً في ثمن عود قافلي طيب
 ٤٥٥- يبحر به في الروضة الشريفة والحجرة الشريفة في طول السنة وفي ثمن فحم وجامكية مبحر نقي الأثواب نصف المبلغ المذكور فيه
 في ثمن العود والقحم والنصف الآخر في
 ٤٥٦- جامكية المبحر ويصرف منه أيضا في تكلفة تعمير ثريا سبعة قناديل بباب الحجرة الشريفة في كل ليلة من ليالي السنة من الذهب
 الطاهري سنة دنانير ثمن يتولى غسل القناديل
 ٤٥٧- المذكورة وتنظيفها وتعميرها بالماء والزيت والقناديل ووقودها وطيها على العادة في ذلك ويصرف منه أيضا في ثمن زيت طيب
 يستصح به في الثريا
 ٤٥٨- المذكورة في كل ليلة رطل واحد بالمصري وما يحتاج إليه في ثمن ظروف خمله وأجرة حملته وغير ذلك مما يحتاج إليه ويصرف من
 ريع الوقف المذكور أجرة عشرين رجلاً
 ٤٥٩- عرباً مرحلة بشقاف حطائي موطاه حمل المنقطعين العاجزين عن الكرى ومن له احتياج إلى ذلك من عتبة إيلا إلى القاهرة
 المحروسة ومن ظهر استغناؤه عن ذلك
 ٤٦٠- استبدل به غيره ممن يظهر احتياجه إلى ذلك ويصرف من ذلك ما يحتاج إليه المنقطعون ومن يظهر حاله واحتياجه بالفقر والمسكنة
 ما يحتاج إليه يقوم به أوده في
 ٤٦١- ثمن بقسطا وماء عذب وفي ثمن تاربين للمنقطعين ومن يظهر احتياجه إلى ذلك وكى جامكية من يقوم بذلك يصرف في ذلك كل
 ما تدعو الحاجة إليه بالغاً ما بلغ وما
 ٤٦٢- فضل بعد صرف المصارف المعينة وبعد ادخار ما عين الممر الأشرف الجمالي المشار إليه ادخاره يرسم عمارة الموقوف المنسوب إليه
 ولولا مقام الشريف المشار إليه
 ٤٦٣- أعلاه خلد الله تعالى ملكه وعمل مصالحه

ملحق (٥) حجة وقف الجمالي يوسف ناظر ناظر الخواص السلطانية نقلاً عن أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٤٠٥

- ٤١٠ -

نص الوثيقة حجة رقم (١٢٣) دار الوثائق القومية

المتصرف : عائشة بنت بركك بن عبدالله الأقبغاوي^(١) وزوجها ثاني بك بن عبدالله الإلياسي^(٢) .

تاريخ التصرف : ١٢ من جمادى الثاني سنة ٨٦٤هـ .

التصريف : وقف .

شكل الوثيقة : ملف .

حال الوثيقة : فاقد أولها وجزء من هامشها ، وبها توثيق آخر مؤرخ في ١٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ .

المتصرف فيه : الأعيان الموقوفة :

- جميع أراضي ناحية حصنة خلف بالندقية
 - وحصنة قدرها قيراط ونصف في أراضي ناحية در بحطهر من عمل القلوية
 - وحصنة قدرها قيراط ونصف في أراضي ناحية الطوقلة بالزياتون الغربية
- (بعد انقراض العتقاء يصرف للحرمين ما يلي) :

- صرف الناظر المذكور
- ما كان يصرف للعتقاء المذكورة أعلاه لرجل من أهل الخير حافظا لكتاب الله العزيز يكون مقيما بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والرحمة
- والروضان في كل سنة من الفلوس الجدد المضروبة ألفا درهم وأربعمائة درهم أو ما يقوم مقامها من النقود على أن يقرأ اتجاه الحجرة الشريفة النبوية
- في كل يوم نصف حزب من القرآن العظيم في مصحف شريف بعد صلاة الصبح ويحتم دعائه بالصلاة على النبي محمد ﷺ وللرضى عن الصحابة أجمعين فإن تعذر القراءة بعد الصبح قرأ القارئ
- في أي وقت تيسر له قراءته فيه وما فضل بعد ذلك يصرف لجهة الحرمين الشريفين نصفين بالسوية فيصرف من ذلك (لمستقر بالمكان المذكور فيه في كل سنة)
- من الفلوس الجدد المضروبة ثمانمائة درهم أو ما يقوم مقامها من النقود وما فضل يصرف للحرمين المشار إليهما أعلاه فيوزع نصف للحرم المكي في (جامكية) المؤذنين
- والفراشين والوقادين ونصف للحرم المدني يصرف للفقراء والمساكين الجاورين بالحرم المدني من الفقهاء وغيرهم كل ذلك حسب ما يراه الناظر ويؤدى
- إليه أجهاده من الزيادة والتقصان فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر فإن تعذر والعياذ بالله تعالى صرف إلى الفقراء والمساكين
- أينما كانوا وحيث ما وجدوا

حجة وقف عائشة الأقبغاوي وزوجها ثاني بك الإلياسي، نقلا عن أحمد البدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٤١

ملحق (٧) الوظائف التي عمل بها علماء الحجاز في العصر المملوكي :

نوع الوظيفة	مسمى الوظيفة
الوظائف الدينية	القضاء - الإمامة - الخطابة - الأذان - المكبر - المؤقت الإفتاء - الحسبة - الطوافه .
الوظائف العلمية	المؤدب - التدريس بالدروس العامة والخاصة - التدريس بالمدارس .
الوظائف الإدارية	سدانة الكعبة - ناظر الحرم - ناظر الوقف - الفراشة - البوابة - الوقادين - السقاية - خدام درجة الكعبة - خدام المسجد النبوي .

ملحق (٨) المهن والحرف التي عمل بها علماء الحجاز في العصر المملوكي:

نوع المهنة أو الحرفة	مسمى المهنة أو الحرفة
الحرف الصناعية	البناء - الدهان - الهندسة - التجارة - الخياطة - الخزارة - النساجة والصباغة - الحدادة - الصياغة .
المهن والحرف التجارية	التجارة - العطارة - النسخ - التجليد - التذهيب - تجارة الكتب - الدلالة - الصيرفة - القبانى - البزاز .
المهن والحرف الاجتماعية	الواعظ - الميعاد - المادح - الشهادة - عقد الأنكحة وتوثيق العقود - الإصلاح بين الناس - كتابة الوثائق .
المهن والحرف العلمية	الإعادة - المحدث - المقرئ - الفقيه - الطب
حرفة الطب	شيخ البيمارستان - الأطباء - ناظر البيمارستان - الصيدلي أمين الخواصل

ملحق (٩) وظائف علماء الحجاز وما استحدث فيها :

الوظيفة	ما استحدث في الوظيفة
القضاء	تعدد منصب قاضي القضاة على المذاهب الأربعة. تحول القضاء في المدينة من أيدي الإمامية لأهل السنة.
الإمامة	في مكة المكرمة تعدد الأئمة على المذاهب الأربعة وتعددت المقامات والصلوات تبعاً لذلك، وتحول القضاء في المدينة من أيدي الإمامية إلى أهل السنة على المذاهب الأربعة، واستحدثت وظيفة المكبر لكل أمام من أئمة المقامات ليوصل صوت الإمام للمصلين.
الخطابة	تحولت الخطابة من أيدي الإمامية إلى أهل السنة في المدينة المنورة
الأذان	أضيف لرئيس المؤذنين الدعاء فوق زمزم للشرىف، والتداء بالصلاة على من مات من الأشراف والأعيان، وأضيف للمؤذنين بعض البدع كالتمسيح والتهليل وإنشاد المدائح النبوية
الإفتاء	كان قضاة المذاهب الأربعة هم المتصدرون للفتوى، وكانت الفتاوى على المذاهب الأربعة، كان قضاة المذاهب الأربعة ممن تكتب فتاواهم وكذا من اشتهر بالفتوى من العلماء .
الحسبة	في عصر المماليك البحرية الجمع بين الحسبة والقضاء . في عصر المماليك الجراكسة الجمع بين الحسبة والباشية .
السدانة	استحدثت منصب "شيخ السدنة" في العصر المملوكي.
ناظر الحرم	كان صاحبها يعرف بشيخ الحرم واستحدث في العصر المملوكي تسمية هذه الوظيفة " بناظر الحرم " .
الخدام	استحدثت مشيخة للخدام في العصر المملوكي ، كان يعرف " بشيخ الخدام " .

الفراشة	عرفت نظام المشيخة والتوارث .
البوابة	استندت هذه الوظيفة للقضاة وانتقلت من القضاة للعامة ومن لا حرفة له .
ناظر جدة	أصبحت وظيفة سلطانية يخضع على متوليها .
شاد جدة	من الوظائف التي استحدثت في العصر المملوكي .
الأمير الراكر	استحدثت في العصر المملوكي وكانت في البداية من الوظائف المؤقتة ثم أصبحت من الوظائف التي يقيم متوليها بصورة دائمة بمكة المكرمة .

ملحق (١) نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام، بالبلد الحرام، وأيد كلمة الشرع في بلده ومنشئه بين الركن والمقام، وجعل الإنصاف الجزيل، حول حجر إسماعيل، مُسَقِّمَ النظام .

نحمده حمدا حسن الدوام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد قائم بحققها أحسن القيام، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السامي من ولد سام، والذي قام لله حتى ورمت منه الأقدام، وأسرى به من مكة إلى السماء مرتين في البقعة والمنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الصلاة والصيام وسلم تسليمًا .

وبعد فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح، ونورها في الجبين لأمج، فإن الشرع نشأ منها والوحي أنزل فيها فزهيت البطائح، وظهرت النصائح، وأطربت الصوايح، واسكنت النوايح، وغمرت المنايح، واشتريت المصالح، فمن ولي بها الحكم وعدل فذلك هو العدل الصالح، وكيف لا؟ وماء زمزم شرايه، واستار البيت تمس أنوابه، وعلى الله أجره وثوابه، وفي ذلك الجانب الشريف كرم جنابه، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع الدوحة المثمرة، ومحصل العلوم الشرعية المادة الموقرة، وله البحوث التي هي عن أحسن الفوائد وغرر القرائد مُسَفِّرة، وورضي أهل الحرم، لما جيل عليه من خير وكرم، (تمسك) بالعروة الوثقى والفقوى الأتقى فلا جرم .

فلذلك رسم - لازل.....

فليكن في أم القرى كالوالد المشفق على الوري، وليتمسك من التقوى بأوثق العرا، وليخش رب هذا البيت إنه يسمع ويرى، وفد الله قطعوا إليه المراحل في السرى، ليصافحوا كلمه المضمخ عنبرا، وليقبض بين الخصوم بالحق، فعلمه من درأ الباطل، قد جعله الله بيت عالي الذرا، وفي أرض شرف الله جبالها، وقدس غيرانها فعمتها غار ثورٍ وغار حراء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في غار حراء، وأوى إلى غار ثورٍ لما هاجرا مؤيدا مطلقا، والوصايا كثيرة وملاكها تقوى الله فليتمسك بها من أمام ووراء، والله تعالى يجعل نهاره، متورا، وليله مقمرا، بمنه وكرمه.^(١)

^(١) الفقه شدي: صبح الأعشى ج: ١٢، ص ٢٤٠، ٢٤١

ملحق (١١) نسخة توقيع شريف لوظيفة مشيخة الحرم النبوي الشريف:

الحمد لله الذي شرف بخدمته سيد الرسل الأقدار، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من اختار لذلك من المهاجرين والأنصار، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية تهجر لبلوغها الأوطان والأوطار، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة ترونها البصائر وترونها الأبصار.

نحمده على نعمه التي أكملها خدمة نبيه الكريم، وأفضلها التوفر على مصالح مجاوري قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأجملها الانتظام في سلك خدمة حرمه لأنها بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُرَفَّعة لديه، مُقَرَّبة إليه، مُدْخَرة ليوم العرض عليه، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أشرف نبي بُعث إلى الأسود والأحمر، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فخرت الحبشة بهجرتهم الأولى، ونجا التجاشي بما اتخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى، وأولى بلأهم من سبق إلى خدمة أشرف الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل ما يؤتى، صلاة لا يزال شهابها مُرشدًا، وذكرها في الأفاق مُعَبِّراً ومُنْجداً، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد فإن أولى ما اعتمد عليه من أفاء الله عليه من نعمه، وأفاض عليه من ملابس كرمه، وشرف قدره بأن أهله لخدمة سيد الرسل بل لمشيخة حرمه، وخصه برتبة هي أسنى الرتب الفاخرة، وأجمع الوظائف لشرف الدنيا والآخرة - من رجبه لذلك دينه المتين، وورعه المكين، وزهده الذي بلغ به إلى هذه الرتبة التي سيكون بها - إن شاء الله تعالى - وجهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

ولما كان فلان هو الذي أدرك من خدمة سيد الرسل غاية سؤله، وزكت عند الله هجرته التي كانت على الحقيقة إلى الله ورسوله، وسلك في طريق خدمته الشريفة أحسن السلوك، وانتهت به السعادة إلى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرض بجوهرها الأعلى عن عرض خدمة الملوك، وفاز في مجاورة الحجرة الشريفة بما عظمت به المنه، وحل به مما بين القبر والمنبر في روضة من رياض من رياض الجنة، وأقام في مقام جبريل، ومهبط الوحي والتنزيل، يتفياً ظلال الرحمة الوارفة، وبهياً من تلك النعمة بالعارفة بعد العارفة - تعين أن يكون هو المحلى بعقود مشيخة ذلك الحرم، والمتولى لمصالح هذه الطائفة التي له في التقدم عليهم أثبت قدم.

فرسم بالأمر الشريف لازال..... أن تفوض إليه المشيخة على خدام الحرم الشريف النبوي

: للعلم بأنه العامل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك الوظيفة من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم - على ما

شُرع، والزاهد الذي أثر جوار نبهه على ماسواه ، والحاشع الذي تولى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته :
ولكل امرئ مانواه".

فلا يستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تُشَبِّت من خدمته الشريفة بأدائها ، سالكاً
في ذلك ما يجب محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجنب، فاصداً بذلك وجه الله الذي لا يجنب من لراج أملا ،
ولا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ملزماً كلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى ، ويُضاعف الحسنه الواحدة سبعين
ضعفاً ، هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مُبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لم منه أوضح هاد وأنور دليل
، وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجدد القضايا ، والله تعالى يسدد في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ، بمنه وكرمه.^١

^١ القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١

ملحق (١٢) وصية خطيب

" وليرق هذه الرتبة التي رفعت له ذرى أعوادها، وقدمت له من المنابر مقربات جياها، وليصعد منها أعلى درجة، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المشرق مُسرجه، ويرع حق هذه الرتبة الشريفة، والذروة التي ما أعدت إلا لإمام فرد مثله أو خليفة، وليقف حتى تحقق على أسنه الأعلام، ويتكلم فتخرس الألسنة وتجف في فم الذرى الأقاليم، وليقع المسامع بالوعد والوعيد، ويذكر بأيام الله ﷻ من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿ق: ٣٧﴾ ولين القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة أو الحديد، وليكن قد قدم إلى نفسه قبل أن يتقدم، وليسبل عليه درج التوبة قبل أن يتكلم، وليجعل لكل مقام مقالاً يقرم به على رؤوس الأشهاد، ويتفوق منه سهماً لا يخطئ موقعه كل فؤاد، وليقم في المحرب قيام من يخشى ربه، ويخاف أن لا يخطف الوحل قلبه، وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما انفلتت عن مثل دُرته المكنونة، وصناديق الصدور ما أطبقت على مثل جواهرته المخزونة، وليؤم بذلك الجَم الغفير، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير، وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان، وأول الأعمال التي توضع في الميزان، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل اذان، وليقم بالصلاة في أوقاتها، وليخفف مع الإتمام، وليتحمل عمن وراءه فإنه هو الإمام، وعليه فإن التقوى في عقد كل نية، وأمام كل قضية، والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور، ويُنصب له مع الأئمة المقسطين يوم القيامة عن يمين الرحمن منابر من نور"^١

^١ العمري: التعريف، ص ١٦٤

ملحق (١٣) وصية محدث

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطاعاً، وعلى ما جمعه طرق أهل الحديث مطالعاً، وصح في الصحيح أن حديثه الحسن، وأن المرسل منه في الطلب مقطوع عنه كل ذي لسن، وأن سنده هو المأخوذ عن العوالي، وسماعه هو المرقص منه طول الليالي، وأن مثله لا يوجد في نسبه المعرق، ولا يعرف مثله للحافظين: "ابن عبد البر" بالمغرب و"خطيب بغداد بالمشرق، وهو يعلم مقدار طلب الطالب فإنه طالما شذ له النطاق، وسعى له سعيه وتجشم المشاق، وارتحل له يشد به حرصه والمطايا موزمه، وينبهه له طلبه والجفون مقلته والعيون مهمومه، ووقف على الأبواب لا يضجره طول الوقوف حتى يؤذن له ولوجها، وقعد القرفصاء في المجالس لا تضيق به على قصر فروجها .

فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من جرب، ولينبسط الأقرباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلا من طلب آونة من قرب وآونة تغرب، وليسفر لهم صباح قصده عن التجاح، وليتق لهم من عقود الصحاح، وليوضح لهم الحديث، وليرج خواطرهم بتقريبه ما كان يسار إليه السير الحثيث، وليؤتقهم مما وسع الله عليه فيه المجال، ويعلمهم ما يجب تعلمه من المتون والرجال، ويخصرهم بمواقع الجرح والتعديل، والتوجيه والتعليل، والصحيح والمعتل الذي تنثر أعضاؤه سقماً كالعليل، وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عناية، وما ينقب فيه عن دراية أو يقنع فيه بمجرد رواية، ومثله ما يزداد حلقاً، ولا يعرف بمن رخص في حديث موضوع أو كتم علماً^١

^١ العمري : التعريف، ص ١٧٥

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً : المصادر العربية :

ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم، بيروت ، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

ابن لإياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) :

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن بطوطة (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م) :

- رحلة ابن بطوطة المسماء تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، مصر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، حققه محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث (د.ط) ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (د.ط) ، ١٩٩٧م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) :

- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، بيروت، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ط) ، (د.ت) .

ابن الحاج ، محمد بن محمد العبدري (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م):

- المدخل ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكثاني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) :

- رحلة ابن جبير المسماء تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، دار الصادر ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :
- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق : حسن حبشي ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٤٩هـ/١٩٢٩م.
- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم المصري (ت ٧٣٣هـ/١٣٢٢م) :
- تذكرة السامع والمنكلم في أدب العالم والمتعلم ، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي ، دار البشائر الإسلامية، ط ٣ ، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.
- ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) :
- صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، (د. ط) ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :
- تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : أبو صيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، (د. ط) ، (د. ت) .
 - المقدمة ، تحقيق : عبد الله الدرويش ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م) :
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار الصادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.
- ابن زبالة ، محمد بن الحسن (ت ١٩٩هـ/٨١٤م) :
- أخبار المدينة ، جمع وتوثيق ودراسة صلاح عبد العزيز سلامة، ط ١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ابن شداد، يوسف بن رافع الموصلبي (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) :
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- ابن الصباح ، عبد الله الأندلسي :
- نسبة الأخبار وتذكرة الأخبار (رحلة حجازية) : تحقيق : جمعة شيحة، طبع بالمطبعة المغاربية ، تونس ، (د. ط) ، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

- ابن ظهيرة ، محمد بن جابر الله المكي (ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م) :
- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، ط ٥ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ابن العراقي ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م) :
- الذيل على العبر في خبر من عبر ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، حققه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- ابن فرحون ، عبد الله بن محمد المالكي (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) :
- نصيحة المشاور وتغذية المجاورة ، علق عليه حسين محمد علي شكري ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .
 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : محمد الأحمد ، القاهرة ، دار التراث ، (د . ت) .
- ابن فهد ، عز الدين عبد العزيز بن عمر المكي (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) :
- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق : صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم ، عليان بن عبد العالي بن عليان الحلبدي ، عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن أبو الخير ، دار القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .
 - غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهم شلوت ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ابن فهد ، نجم الدين عمر بن محمد المكي (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :
- إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهم شلوت ، عبد الكريم علي باز ، حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
 - الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد الملك بن دهبش ، دار خضر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- معجم الشيوخ ، تحقيق : محمد الزاهي ، المطابع الأهلية للأوقاف ، الرياض ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد الشافعي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧م) :
- طبقات الشافعية ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الحافظ عبدالمعطي خان ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ط١ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م .
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :
- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، (د. ط) ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- ابن الجاور ، جمال الدين يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) :
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ابن ممتي ، الأسعد بن المهذب المصري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :
- قوانين الدواوين ، تحقيق : عزيز سوريال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) :
- لسان العرب ، دار الصادر ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ابن واصل ، محمد بن سالم الحموي (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) :
- مفتاح الكروب في أخبار بني أيوب ، الدار النموذجية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :
- تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- أبي داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) :
- سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل ، دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- الأزرقي ، محمد بن عبد الله المكي (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) :
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- الأوسمي ، السيد محمود شكري :
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، دار الكتاب المصري ، ط٢ ، (د. ت) .

- الأصاري ، عبد الرحمن بن عبد الكريم (ت ١١٩٥هـ / ١٧٨١م) :
- تحفة الحيين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب ، تحقيق : محمد العروسي المطوي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط١ ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- بالحزمة ، الطيب بن عبد الله الحضرمي (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) :
- تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها ، اعتنى به علي حسن علي عبد الحميد ، دار الجليل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) :
- صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- البغداد ، إسماعيل باشا الباباني (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) :
- هداية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .
- البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :
- المسالك والممالك ، حققه أدريان فان ليوفن ، وأندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- البولي ، خالد بن عيسى الأندلسي (ت ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) :
- تاج المشرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق : الحسن السامح ، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- التهانوي ، محمد علي بن علي بن محمد (ت ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م) :
- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، تحقيق : رفيق العجم ، علي دحروج ، مكتبة لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) :
- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) ، تحقيق : محمد إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، (د. ت) .
- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) :
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) :
- معجم البلدان ، دار الصادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
- الحميري ، محمد عبد المنعم (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) :
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- الحزاعي ، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود أبو الحسن (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) :
- تخرّيج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، المحقق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- الحزرجي ، علي بن حسن الزبيدي (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) :
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عنى بتصحيحه وتنقيحه : محمد بسيوني ، صنعاء ، مركز دراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، (د. ط) ، (د. ت) .
- خسرو ، ناصر :
- سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- خليفة ، حاجي :
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق : محمد شرف الدين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- دحلان ، أحمد بن زيني المكي (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) :
- تاريخ أشراف الحجاز المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، تحقيق : محمد أمين توفيق ، دار الساقى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.
- الدمشقي ، محمد ابن طولون الصالحى (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) :
- نقد الطالب لزغل المناصب، حققه محمد أحمد دهمان ، خالد محمد دهمان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) :
- كتاب النبات ، تحقيق: برنهارد لفين ، دار النشر فرانز شتاينر ، (د. ط) ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- الذهبي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) :
- العبر في خبر من عبر ، حققه محمد السعيد بن يسوي زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .
 - معجم شيوخ الذهبي ، تحقيق : روحية عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي الشافعي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) :
- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد ، محمود محمد ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ط) ، (د.ت) .
 - معبد النعم ومبيد النقم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
- السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن المصري (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) :
- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق : لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، (د.ط) ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
 - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عنى بطبعة ونشرة أسعد طرابزونى الحسيني ، (د.ط) ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٨م .
 - الضوء الالاع لأهل القرن التاسع ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
 - وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، تحقيق : بشار عواد ، عصام الحرساني ، أحمد الخطيمي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) :
- الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- السمناني ، علي بن محمد الرحبي (ت ٤٩٩هـ/١١٠٥م) :
- روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق : صلاح الدين الناهي ، مؤسسة الرسالة عمان ، دار الفرقان ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
- السهودي ، نور الدين علي بن عبد الله المدني (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) :

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : قاسم السامرائي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي (١١٢٥هـ / ١٧١٣م) :
 - منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم ، تحقيق : جميل عبد الله المصري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
 - السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر المصري (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :
 - تاريخ الخلفاء ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، (د. ت) .
 - لب الباب في تحرير الأنساب ، تحقيق : محمد أحمد ، أشرف أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
 - نظم العقيان في أعيان الأعيان ، حرره فيليب حسي ، المطبعة السورية الأمريكية ، نيويورك ، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م .
 - الشرحي ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ / ١٤٤٨م) :
 - طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، دار المناهل ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
 - الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ /) :
 - الملل والنحل ، تحقيق : عبد الأمير علي ، علي حسن ، دار المعرفه ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
 - الشوكاني ، محمد بن علي اليمني (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :
 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) .
 - الشيرازي ، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م) :
 - نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (د. ط) ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .
 - الصباغ ، محمد بن أحمد المكي (ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) :
 - تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
 - الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد ، نبيل أبو عمشة ، محمد موعود ، محمود سالم ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- الطبري ، محمد بن جرير الشافعي (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، (د. ت) .
- الطبري ، علي بن عبد القادر المكي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م) :
- الأبرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء ، تحقيق : أشرف أحمد الجمال ، الناشر المكتبة مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- الظاهري ، زين الدين عبد الباسط بن خليل المصري (١٤٤هـ / ١٤٤٠م) :
- نيل الأمل في ذيل الدول ، الدار النموذجية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
- الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين المصري (ت ٨٩٣هـ / ١٥٨٥م) :
- زبدة كشف المعالم وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه : بولس روابيس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٣١١هـ / ١٨٩٣م .
- العبدري ، محمد بن محمد الحيجي (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) :
- الرحلة المغربية ، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، ط١ ، بونة ، الجزائر ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- العجمي ، حسن بن علي المكي (ت ١١١٣هـ / ١٧٠١م) :
- إهداء اللطائف من أخبار الطائف ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة لثقافة الدينية ، مصر ، (د. ط) ، (د. ت) .
- العمرى ، القاضي ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :
- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهم محمد شلتوت ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

- الغازي ، عبد الله بن محمد المكي (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) :
- سكان مكة بعد انتشار الإسلام ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
 - الفاشي ، نقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) :
 - تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء وهو ذيل على سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، أكرم البوشي ، دار الصادر للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
 - الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : الدكتور علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
 - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
 - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
 - الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) :
 - القاموس المحيط ، تحقيق مكتب ، تحقيق : التراث في مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
 - القلصادي ، علي بن محمد الأندلسي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) :
 - تهديد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب (المعروفة برحلة القلصادي) ، دراسة وتحقيق : محمد أبو الأجنان ، الشركة التونسية ، (د . ط) ، (د . ت) .
 - القلقشندي ، أحمد بن علي المصري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :
 - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب المصرية ، (د . ط) ، ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .
 - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
 - القنوجي ، صديق بن حسن (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) :
 - أيجد العلوم ، دار الكتب العلمية ، دمشق ، (د . ط) ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م .
 - الكبي ، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :
 - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات ، اعتناء : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
 - فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) :
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : أحمد بن مبارك البغدادي ، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- مجموعة من المؤلفين :
- ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحاسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
- المسعودي ، علي بن الحسين البغدادي (ت ٣٤١هـ/٩٥٧م) :
- مروج الذهب ومعادن الجواهر، اعتنى به ورأه كمال حسين مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م .
- المطري ، جمال الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) :
- التعرف بما أنست الحجرة من معالم دار الحجرة ، تحقيق : سليمان الرحيلي ، دار الملك عبدالعزيز ، (د. ط) ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
- المقدسي، محمد بن أحمد الشريف (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) :
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مديوني ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- المقريزي ، أحمد بن علي المصري (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة : حققه : محمود الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د. ط) ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ، دار الصادر ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- الميوقي ، أحمد بن علي العبدري (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٩م) :
- بهجة المنهج في فضائل الطائف ووج ، تحقيق : إبراهيم محمد الزيد ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

- التهرواني ، محمد بن أحمد المكي (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) :
- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق : هشام عبدالعزيز ، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة ، (د. ط) ، (د. ت) .
 - الوفائي ، أحمد بن أحمد العجمي (ت ١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م) :
 - ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق : شادي محمد سالم ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
 - اليافعي ، عبدالله بن أسعد اليعني (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) :
 - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر حوادث الزمان ، وضع حواشيه وعلق عليه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

ثانياً: المراجع العربية والمُعربة :

- الألباني ، محمد ناصر الدين (١٤٢٠ / ١٩٩٩م) :
- صحيح الجامع الغير وزيدته ، المكتب الإسلامي ، بيروت - دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
 - إبراهيم ، رجب عبد الجواد :
 - معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
 - أبي علفة ، رائد بن صبري :
 - معجم البدع ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
 - ابن حميد ، صالح بن عبد الله بن محمد :
 - تاريخ أمة في سيرة أئمة ، مركز تاريخ مكة المكرمة ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م .
 - ابن دهب ، عبد اللطيف عبدالله :
 - الكتاب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ط١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
 - المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
 - أحمد ، أحمد رمضان :
 - الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر ، (د. ت) .

أرشيد ، أرشيد يوسف :

- الحضارة الإسلامية (نظم ، علوم ، فنون) ، الناشر العبيكان ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

أكبر ، إلهام : بلاد ينبع (٣٦٣-٩٢٣ هـ / ٩٧٣-١٥١٧ م) :

- كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة بالجامعة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

إمام ، محمد كمال الدين :

- أصول الحسبة في الإسلام ، دار الهداية، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

أنيس ، إبراهيم :

- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م.

باسلامه ، حسين عبدالله :

- تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكنسوتها وسداتها ، المطبعة الشرقية ، جدة ، ط ١ ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

- تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك ، المطبعة الشرقية ، جدة ،

ط ١ ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

باشا ، أحمد :

- أعلام المهندسين في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة- مصر ، (د . ط) ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٢ م.

- نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ، دار القادري ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

الباشا ، حسن :

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، (د . ط) ، (د . ت) .

بدرشيني ، أحمد :

- أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي ، المدينة المنورة ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، إصدار

خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين ، مركز

بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

بركة ، حسن أحمد :

- المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

البلاوي ، عاتق بن غيث :

- معجم القبائل العربية (المتفقة اسماً والمختلفة نسباً أو دياراً ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.

التازي : عبد الحادي :

- رحلة الرحلات ، مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية ورحله ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

التوبجري ، محمد بن إبراهيم :

- موسوعة الفقه الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

الجابري ، خالد محسن :

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الجبوري ، يحيى وهيب :

- الكتاب في الحضارة الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الجدعاني ، صالح بن مده :

- المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

جرس ، غيثان بن علي :

- دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطية ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الجميع ، إبراهيم بن عبد العزيز :

- النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال موسم الحج في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- حلاق ، حسان ، عباس صباغ :
- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- حمادة : محمد ماهر :
- المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصانيرها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- حمدان ، عاصم :
- حارت الأغوات ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الخربوطي ، علي حسني :
- تاريخ الكعبة على مر العصور ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١١١٩هـ/١٧٠٧م
- الخطابي ، محمد :
- علم المواقيت أصوله ومناهجه ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- الخطيب ، مصطفى عبد الكريم :
- المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م
- الدهاس ، فوز :
- المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، دار القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- دهمان ، محمد أحمد :
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- والي ، أغسطس :
- مكة المكرمة في عيون رحالة نصاري ، نقله للعربية حسن غزالة ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.
- الربيعي ، صالح بن محمد :

- الإضاءة في الحرمين الشريفين منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي ، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.
- رضا ، أحمد :
- معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د. ط) ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
- الزركلي ، خير الدين :
- الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
- مآرأيت وما سمعت ، مكتبة المعارف ، الطائف ، (د. ط) ، (د. ت).
- الزهراني ، سارة أحمد :
- الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.
- الزهراني ، ضيف الله يحيى :
- تاريخ مكة التجاري ، حقوق الطبع للغرفة التجارية والصناعية بمكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الزيات ، أحمد ، إبراهيم مصطفى ، محمد النجار ، حامد عبد القادر :
- المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .
- الزيلعي ، أحمد بن عمر :
- الخلف والخليف آثارهما وتقوسهما الإسلامية ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- مكة وعلاقاتها الخارجية (٢٨٧-٣٠١هـ) ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الساج ، ريم بنت فهد :
- الموظفون في المسجد النبوي وأثرهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

ساعاتي ، فوزي محمد :

- الصحن المحيط بالكعبة المشرفة وما استحدث في ساحة الحرم من مباني على اختلاف وظائفها وعن المدرسين والوعاظ في حصوات المسجد الحرام ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ساعاتي ، يحيى محمود :

- الوقف وبنية المكتبة العربية استبطن الموروث الثقافي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

السباعي ، أحمد :

- تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

سعيد ، خير الله :

- موسوعة الوراق والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

السليمان ، ساوى عبدالقادر :

- جدة في العصر المملوكي ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م.

السليمان ، علي بن حسين :

- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

السندي ، عبدالعزيز :

- الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

السيد إدي شير :

- معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨م.

السيوف ، عبدالله :

- الحرف الصناعية في الجزيرة العربية (٤١-٣٥٠هـ/٦٦١-٩٦٠م) ، حقوق الطبع محفوظة للجمعية التاريخية السعودية ، السلسلة العلمية المحكمة ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

شحادة ، نزيه :

- صفحات من الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

الشرف ، أحمد إبراهيم :

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، (د. ط) ، (د. ت) .

الشقيري ، محمد بن أحمد بن محمد :

- السنن والمبدعات ، دار الشريعة ودار الكتاب ، مصر ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨م .

الصافي ، حيدر أحمد :

- الحسبة في العصر المملوكي وواقعنا المعاصر (دراسة تحليلية نقدية) ، (د. ط) ، دار الإعلام الدولي ، القاهرة ،

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

صبرة ، عفاف السيد :

- دراسات في الحضارة الإسلامية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

الصديقي ، سحر عبدالرحمن :

- أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة ، مركز البحوث والدراسات ، المدينة المنورة ، ط ١ ،

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

الصمد ، واضح :

- الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ، دار الثقافة الجامعية للنشر والدراسات ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .

عبد الجواد ، رجب :

- معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

عبد الفتاح ، هدى محمدي :

- معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخرّج الدلالات السمعية للخزاعي (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) ، دار بلنسية

، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

عبد المجيد ، ليلى أمين :

- التنظيمات الإدارية والمالية في مكة في العصر المملوكي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م .

عبد المنعم ، صبحي :

- العلاقات بين مصر والحجاز زمن الأيوبيين والفاطميين ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

البيكان ، طرفة عبد العزيز :

- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

العجلاني ، يحيى بن إبراهيم :

- القنفذة نشأة وتاريخ ، ط٢ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

العري ، محمد :

- جهينة ماضيها وحاضرها ، (د.ط) ، (د.ت) .

العريفي ، السيد البار :

- المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

علي ، جواد :

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط٢ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

العمارة ، محمد عبدالله :

- المعجم العسكري المملوكي ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ١٤٣٢م/٢٠١٠م .

العمد ، هاني صبحي :

- كتب البرامج والفهارس الأندلسية ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ، عمان ، ط١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

العمرى ، عبد العزيز بن إبراهيم :

- الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار إشبيليا ، السعودية ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ

١٩٩٩م/

العناقرة ، محمد محمود :

- الحياة الاقتصادية في الحجاز وعلاقاته في عصر المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ،

١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .

- المدارس في مصر في عصر دولة المماليك ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ط١ ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .

عودات ، أحمد :

- تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري ، دار الكتبي ، إربد ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

الغامدي ، عبدالله سعيد :

- جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، (د. ط) ، (د. ت) .

الغروب ، عبد الباسط بن يوسف :

- الطرفة فيمن نسب من العلماء إلى حرفة أو مهنة ، دار الراوي ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

فهم ، محمد علي :

- مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م .

فياض ، عبدالله :

- الإجازات العلمية عند المسلمين ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

القاسمي ، محمد سعيد :

- قاموس الصناعات الشامية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

القحطاني ، راشد سعد :

- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض (د. ط) ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

الكتاني ، محمد عبد الحي الكتاني (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) :

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تحقيق : عبدالله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط٢ ، (د. ت) .

كحالة ، عمر رضا :

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، (د. ط) ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

الكردى ، محمد طاهر:

- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، تحقيق : عبد الملك بن دهبش، دار خضر للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

المالكي ، سليمان :

- الأغوات دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين، مركز أبحاث الحج ، (د. ط)، (د. ت) .
- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن السابع الهجري)، دار الملك عبد العزيز ، (د. ط) ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الطبريون مؤرخو مكة المكرمة نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي طبع وصدر بمناسبة اختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

محفوظ ، علي :

- الإبداع في مضار الابتداع ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

محمود ، علي السيد :

- الحياة الاقتصادية في جدة في عصر سلاطين المماليك ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، (د. ط) .

مداح ، أميرة علي :

- المشاعر المقدسة عبر العصور ، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

المديرس ، عبد الرحمن مديرس :

- المدينة المنورة في العصر المملوكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

المزني ، عبد الرحمن بن سليمان :

- الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، طبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، (د. ط) ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

مصطفى ، أحمد حلمي :

- أسرار الكعبة المشرفة ، دار الجمهورية ، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م .
- معروف ، ناجي :
- نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، مطبعة الأزهر ، بغداد ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- المعلمي ، عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم :
- قضاة مكة المكرمة من القرن الهجري الأول حتى عصرنا الحاضر ، (د. ط) ، ١٤٣١هـ .
- معلوف ، لويس :
- منجد في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط ١٩ ، (د. ت) .
- مغاوري ، سعيد :
- الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- موريتل ، ريتشارد تي :
- دراسات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة في العصر الإسلامي الوسيط ، ترجمة محمد بن عبدالله القويح ، إصدارات كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م .
- مجموعة من العلماء والباحثين :
- الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- نواب ، عواطف محمد :
- الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- هورخرونية ، سنوك :
- صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة وتعليق علي عودة الشيوخ ، محمد السرياني ، معراج مرزا ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- الهيلة ، محمد الحبيب :

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، (د.ت) .

وجدي ، محمد فريد :

- دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

ثالثاً : الرسائل العلمية :

آل عمرو ، محمد عبدالله :

- التعليم في الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م .

باقاسي ، عائشة عبدالله :

- بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م .
- مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

البدنقن خلود عبد الباقي :

- الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

بكري ، محمد طه صلاح :

- الحجاز (٨٥٩-٩٢٣هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

الثقفي ، خالد :

- المكوس في الحجاز وأثرها على الجوانب السياسية والمظاهر الحضارية خلال المدة (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م .

الجعيد ، وداد عوض :

- الميجرات السكانية إلى مكة المكرمة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.
- الحزيمي، محمد بن عبد الله :
- المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة خلال الفترة (٩٢٣-١٣٤٣هـ/١٥١٧-١٩٢٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.
- الحسن، سعاد إبراهيم :
- النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- النجم ابن فهد مفرخاً، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الدهام، صفاء نزال :
- الجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العامة خلال القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الدوسري، شبيخة :
- أوقاف النساء في الشام وأثرها على الحياة العامة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.
- الربيعي، أحمد بن علي بن عبد العزيز:
- مظاهر العناية بالكعبة المشرفة منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م.
- السالمي، عبد الحفيظ :
- الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- السلمي، محمد بن معاضة :

- الأسرة الظهيرية في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨م .
السلي ، خديجة عبد الإله :
- الأوس العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
شافعي ، حسين عبدالعزيز :
- الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
الشرف ، نوال طلال :
- الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس .
شماخ ، محمد بن عمر :
- القضاء والقضاة في الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
الشهراني ، شريع سعيد :
- الحياة الاجتماعية في مكة في عهد المماليك الجراكمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك خالد ، أبها ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م .
الشهري ، عفاف بن عوضه :
- المجاورون الشاميون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك خالد ، أبها ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م .
الصوفي ، منصور أحمد :
- الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

الضيف ، هند عبدالعزيز :

- أسواق الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

القبلا، غادة عبدالله :

- البيمارسنانا أوضاعها وأثارها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

القواس ، ربا صالح :

- رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الدمام ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

قيسي ، عائشة حسن :

- تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م.

عامر ، جمال سليمان :

- الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، مصر .

العباد ، عير :

- الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصورين الأيوبي والمملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القصيم ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

عيسى ، هيام علي :

- الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القدس يوسف ، بيروت ، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.

الغامدي ، بدرية أحمد :

- الأسرة الطبرية في مكة المكرمة في العهد المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
القائز ، نوال صالح :
- الاوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القصيم ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م .
القبلان ، غادة :
- البيمارستانات أوضاعها وأثارها في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
الكثيري ، فاطمة صالح :
- الوظائف السياسية والإدارية في مكة خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م .
المباركي ، فاطمة :
- الأزمات الاقتصادية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م .
- الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
مختار ، محمد بهجت :
- الصلات السياسية والحضارية بين مصر والحجاز منذ بداية العصر الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس .
معتوق ، صالح يوسف :
- علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
مقابلة ، حسن محمود :

- الرسوليون والمعاليك في الحجاز ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
الهرفي ، سلامة :

- القضاء في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول تاريخه ونظامه ، رسالة دكتوراه منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

رابعاً : الأبحاث المنشورة في المجلات وغيرها :

ابن حسين ، علي بن علي :

- المدرسة الشهابية وأثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي ، حويلات مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، جماد الأول ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .
أمين ، محمد :

- الشاهد العدل في القضاء الإسلامي ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

باز ، عبد الكريم :

- ناظر الحرم في العصر المملوكي ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

التميمي ، عبدالله ، علياء حكيم :

- الأماني والمجالس في آثار الدارسين وقيمها العلمية ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، العدد ٢١ ، حزيران ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .

الجالودي ، عليان :

- سبل عيش العلماء في ضوء كتاب الأنساب للسمعاني ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م .

جلال ، أمنة :

- المكتبات في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد ٢٥ ، ربيع الآخر ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م .

الحيدري ، صلاح :

- المؤيدون ومهنة التعليم في العصر العباسي ، العراق ، مجلة جامعة الموصل ، العدد السابع ، السنة الرابعة ، عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- الدروبي ، سمير :
- لفظة "لمكس" : أصولها وتطورها الدلالي والتداولي في المعاجم العربية ومصادر التراث العربي ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد ١٢ ، ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/فبراير ٢٠١٤م ، مكة المكرمة .
- ابن دهيش ، نعيمة عبدالله :
- الألقاب والحكى وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف بغرب الجزيرة العربية عبر العصور ، مجلة الدرعية ، سنة الثانية عشر ، عدد ٤٦ ، جمادى الآخرة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م.
- الرس ، إبراهيم :
- علم التراجم أهميته ومثرائه ، بحث ، جامعة الملك سعود ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ساعاتي ، فوزي محمد :
- أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين القاسبي ، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- السباعي ، فريج :
- مهنة العلماء وحرفهم في دمشق في العصر المملوكي ، مجلة جامعة أم القرى ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.
- سمسم ، عبد المعطي :
- المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، العدد السادس والعشرون ، نيسان ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.
- سمين ، وسن :
- الزراعة والصناعة في الحجاز خلال العصر الفاطمي ، مجلة أنجاث البصرة ، المجلد ٣٦ ، العدد الثاني ، السنة ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.
- السندي ، عبدالعزيز راشد :

- أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠-٩٢٣هـ) ، مجلة الدرعية ، السنة التاسعة ، العددان الرابع والخامس والثلاثون ، جماد الآخرة - رمضان ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
 - المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ) ، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
 - الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي ، عالم الكتاب ، العدد الاول والثاني ، رجب ، شعبان-رمضان ، شوال ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- السيف ، عبدالله محمد :
- الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي ، جامعة الرياض ، كلية الآداب .
- الطاسان ، محمد :
- التعليم في مكة المكرمة في العهد المملوكي ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، المجلد الثامن ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
 - القضاء في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، مجلة العصور ، المجلد السادس ، الجزء الثاني ، ذو الحجة ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
 - الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك ، مجلة العصور ، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ، ذو الحجة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- شافعي ، حسين :
- الخوارجا شمس الدين ابن الزمن ودوره الحضاري والعمراني في بلاد الحرمين الشريفين في عهد السلطان قايتباي ، مجلة المشكاة المجلد المصرية للآثار والفنون الإسلامية ، العدد الخامس ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م.
- شافعي ، لمياء :
- مكانة المرأة العلمية في الساحة المكية ، النساء الطهريات مثلاً من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الهجري ، كلية الشريعة قسم التاريخ ، جامعة أم القرى .
- الشرف ، عدنان محمد :
- وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد السابع والخمسون ، جماد الآخرة ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

عبد الستار، قسطاس :

- أرباب المهن والحرف في المجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة البصرة ، المجلد الثاني ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م .

غرايبة ، محمد الرحيل :

- تعدد منصب قاضي القضاة في العصر المملوكي وأثاره ، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد الثالث عشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

غنيمات ، قاسم محمد :

- الصناع من الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن .

القناني ، متعب بن حسين :

- بحث (أضواء على الحرف والصناعات في مكة المكرمة من خلال كتاب العقد الثمين للفاسي) . بحث منشور في كلية الآداب، جامعة الاسكندرية .

كعبور، محمود :

- التزوير في المخطوط العربي أسبابه ودوافعه ، مجلة كلية الآداب ، جامعة طرابلس ، العدد الخامس .

المزروع ، وفاء عبدالله :

- إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة المكرمة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

المتديل ، شريفة صالح :

- حِرف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ، مجلة العلوم العربية والإنسانية ، جامعة القصيم ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م .

الناجي ، لمين :

- رحلات علماء المغرب الأقصى والأوسط الملكية ، وأثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، دار الكلمة للنشر، الطبعة الأولى ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م .

النهار، عمار :

- الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك ، جامعة دمشق .
نواب ، عواطف :
- بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري وحتى وقتنا الحاضر ، مجلة الدرعية ،
ع ٣٤٤ ، ٣٥ ، جماد الآخرة / رمضان ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	٣
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٤
شكر وتقدير	٥
المقدمة	٧
التمهيد:	١٧
تعريف الوظيفة والحرفة ومفهومهما	١٧
فئات العلماء في الحجاز خلال العصر المملوكي .	٢٣
الفصل الأول: طبيعة الوظائف والمهن والحرف في الحجاز خلال العصر المملوكي :	٣٩
المبحث الأول: وظائف أصيلة ووافدة ومختلطة .	٣٩
المبحث الثاني: المهن والحرف الأصيلة والمختلطة .	٧٣
الفصل الثاني: وظائف العلماء الدينية والعلمية والإدارية .	١١٠
المبحث الأول: الوظائف الدينية	١١٠
المبحث الثاني: الوظائف العلمية	١٥٠
المبحث الثالث: الوظائف الإدارية	١٦٣

١٧٦	الفصل الثالث: مهن وحرف العلماء الصناعية والتجارية والعلمية والاجتماعية والطبية.
١٧٦	المبحث الأول: المهن والحرف الصناعية.
١٨٢	المبحث الثاني: حرفة التجارة.
١٩٣	المبحث الثالث: المهن والحرف الاجتماعية
١٩٨	المبحث الرابع: المهن والحرف العلمية
٢٠٨	المبحث الخامس: حرفة الطب
١٧١	الفصل الرابع: أثر وظائف العلماء ومهنتهم وحرفهم على الحياة العامة في الحجاز خلال العصر المملوكي.
٢١٣	المبحث الأول: الآثار الدينية
٢٢٤	المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية
٢٢٩	المبحث الثالث: الآثار العلمية
٢٤٠	المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية
٢٥١	الخاتمة
٢٥٤	الملاحق
٢٨٥	قائمة المصادر والمراجع.